

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور المحدث
أبي أسامة
سليم بن عيد الهلالي
كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

الناشر
مركز السلف الصالح للدراسات الاستراتيجية



تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور المحدث
أبي أسامة
سليم بن عيد الهلالي
كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه

الناشر
مركز السلف الصالح
للدراسات الإستراتيجية

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

مركز السلف الصالح
للدراسات الاستراتيجية
عمان - الأردن
Email: SASASA1957@hotmal.com
هاتف: (٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٥١٥٨٠٦)
ص . ب : (٩٨) رمز بريدي: (١٣٧٨١)

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة القول

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله ؛ فلا مضلَّ له؛ ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن سورة البقرة أطول سورة في القرآن، وهي سورة نقضت عقيدة اليهود التي صاغت شخصيتهم التاريخية التي مارست الظلم والعدوان أينما حلُّوا، وحلَّلت عُقَدَهم النفسية التي شكلت عقيدتهم التي عاثت في الأرض فسادًا وإفسادًا.

لقد احتوت هذه السورة الكريمة أحوال بني إسرائيل مع الله جَلَّجَلَالُهُ، وتضمنت مواقفهم مع رسل الله عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي جاءت خلاصتها المركزة في قصة البقرة التي سميت هذه السورة العظيمة باسمها: تنبيهًا على أهمِّ مقاصدها.

لقد ساق القرآن الكريم هذه القصة بأسلوب معجز حكيم بديع؛ يأخذ بمجامع القلوب المؤمنة والنفوس المطمئنة؛ ليقودها إلى مواطن الاعتبار بسنن الله الجارية في الذين خلوا من قبلنا.

فهذه القصة عصارة مسيرة أمة انحرفت عن منهج الله حتى بلغ بها الانحراف إلى الاستخفاف بمقام الربوبية، والتواطؤ على قتل الأنبياء والمرسلين؛ لكن ربك بالمرصاد حيث أجرى فيهم سننه الجارية التي لا تحابي أحدًا، ولا تظلم فردًا.

وأَمْرُ القرآن في بيان هذه القصة عجيب؛ فقد فَصَل بعضها عن بعض حيث قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٥٤] الآيات، ثم قال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]: فوضع نهاية القصة أولًا، وصَدْرَها أخيرًا، وذلك الفصل للدلالة على أن المراد تسجيل سنن بني إسرائيل في حركتهم عبر التاريخ؛ لكي يتفطن المسلم المستخلف في الأرض؛ فيفر منها فراره من الأسد؛ لتستقيم حركته في الاتجاه المستقيم الذي يحقق المقصد القويم من خلقه، والغاية المثلى من وجوده على هذه الأرض.

وبذلك يستطيع المسلم في كل زمان ومكان: أن يتعامل مع هذا العدو التاريخي للأمة الإسلامية؛ فهو يستطيع أن يتوقع تصرفاته من خلال هذه الخبرة الطويلة، التي جعلت لديه القدرة على استشراف المستقبل معهم، دون أدنى شك أو أقل تردُّد.

وفي هذا الكتاب رصدنا الخطوط العريضة لسنن بني إسرائيل عبر التاريخ، وأكدناها بصريح القرآن، وصحيح السنة المطهرة؛ وأحداث التاريخ الموثقة من مصادرهم، والمحكمة بأقوالهم الصريحة التي لا ينكرونها ولا يؤولونها.

فجاء -بحمد الله وعونه وتوفيقه- صورة جلية لمن أراد أن يقف على حقيقة يهود؛ ليتخذ منهم موقفًا يرضي الله ورسوله ﷺ، وينقذ أمة الإسلام من شِباكٍ وضعت في طريقها؛ لتصدها عن دينها، وتقطع صلتها بتاريخها؛ لتصير كالريشة في مهب الريح، أو كالأيتام على مآدب اللئام؛ أمّة مريضة: لا وزن لها بين الأمم، ولا منبر لها من سيف أو قلم . . وعندئذٍ تتداعى عليها الأمم؛ كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

وما أردت إلا النصح لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ فإن أصبت ووفقت؛ فمن الله وحده، وإن أخطأت وجمحت؛ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك.

وأسأل الله جَلَّجَلَالُهُ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى: أن يحقق هذا الكتاب غايته التي صُنِّف من أجلها، وَوُضِع لبيانها، وأن يجعله لوجهه خالصًا، ولدينه ناصرًا، وأن يدَّخر لي ثواب ذلك إلى يوم لقائه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨و٨٩].

وعلى الله قصد السبيل

وكتبه
حامدًا ومصليًا ومسلمًا
سليم بن عيد الهلالي
أبو أسامة
يوم الأربعاء -عصرًا- (٢٤ / ١١/ ١٤٣٣هـ)
الموافق (١٠/ ١٠/ ٢٠١٢م)
في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام
-المحمية بإذن رب البرية من كل شر وأذية-

قصة البقرة في القرآن الكريم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧٣].

التفسير المأثور

١ - عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: «كانت مدينتان في بني إسرائيل: إحداهما: حصينة، ولها أبواب، والأخرى: خربة [١].

فكان أهل المدينة الحصينة إذا أمسوا؛ أغلقوا أبوابها، وإذا أصبحوا؛ قاموا على سور المدينة ينظرون: هل حدث فيما حولها حدث؟ فأصبحوا يومًا؛ فإذا شيخ قتيل، مطروح بأصل مدينتهم، فأقبل أهل المدينة الخربة، فقالوا: أقتلتم صاحبنا؟

وابن أخ له شاب يبكي عنده، ويقول: قتلتم عمي! قالوا: والله ؛ ما فتحنا مدينتنا منذ أغلقناها، وما تندَّينا[٢] من دم صاحبكم هذا بشيء، فأتوا موسى ﷺ، فأوحى الله جَلَّجَلَالُهُ إلى موسى ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً [٣] قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا [٤] قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ [٥] ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ

---

(١) ادّعى القاصُّ المصري عمرو خالد في الحلقة التي بثت - فضائيًا- في (٢٥/ رمضان/ ١٤٣٠هـ) - حيث تناول قصة بقرة بني إسرائيل-: أن قرى بني إسرائيل كانت في منطقة البتراء الأردنية، وعند كل قرية نبع ماء، ولذلك قام بتصوير هذه الحلقة في منطقة البتراء، وهناك أخذ يرفع عقيرته بتزييف التاريخ، وتحريف الدين؛ ليخدم المشروع اليهودي الذي لا يخفى أطماعه في الأراضي الأردنية شرقي النهر.

وقد فصلت هذه الأطماع بالوثائق وشرحتها بالحقائق في كتابي: «أفيقوا يا أهل الأردن.. بلادكم أرض الحشد والرباط».

(٢) أي: لم نصب منه شيئًا،ولم ينله منا شيء؛ كأنهم نالتهم نداوة الدم وبلله.

(٣) مشتق من (البَقْر)؛ وهو: الشَّق، سميت به؛ لأنها تشق الأرض شقًّا للحراثة، والبقر اسم جنس، والبقرة تقع على الذكر والأنثى والهاء للإفراد؛ انظر «المعجم الوسيط» (١/ ٦٥)

(٤) أي: أتستهزئ بنا؟ نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة! إنما قالوا ذلك؛ لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا الحكمة فيه.

(٥) قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «معالم التنزيل» (١/ ١٠٦): «أي: من المستهزئين بالمؤمنين. وقيل:

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ (١) بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٢) ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٣) ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ (٤) فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ (٥)﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧١].

= من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال؛ لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل. فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله جَلَّجَلَالُهُ استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها؛ لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم، وكانت تحته حكمة».

(١) الفارض: الهرمة التي لا تلد.

البكر: التي لم تلد إلا ولدًا واحدًا.

العوان: النصف التي بين ذلك، التي قد ولدت، وَوَلَدَ ولدُها.

انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٩٩).

(٢) فاقع لونها: نقي لونها؛ وتسر: تُعجبُ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥١٠): «وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: لكثرتها، فَمَيِّزْ لنا هذه البقرة وَصِفْها وَجَلِّها لنا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إذا بينتها لنا ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها».

(٤) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥١١-٥١٢): «أي: إنها ليست مذلَّلة بالحراثة، ولا معدة للسقي في السانية؛ بل هي مكرمة حسناء، صبيحة مُسَلَّمة، صحيحة لا عيب فيها.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: أي: ليس فيها لون غير لونها».

وقال في «البداية والنهاية» (٢/ ١٦٧): «هذه الصفات أضيق مما تقدم؛ حيث أُمروا بذبح بقرة ليست بالذلول؛ وهي: المذلَّلة بالحراثة وسقي الأرض بالسانية. مسلَّمة؛ وهي: الصحيحة التي لا عيب فيها. وقوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾؛ أي: ليس فيها لون يخالف لونها، بل هي مسلَّمة من العيوب، ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها».

(٥) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٥١٣-٥١٤): «يعني: أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد.

وفي هذا ذمٌّ لهم؛ وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت؛ فلهذا ما كادوا يذبحونها».

قال: وكان في بني إسرائيل غلام شاب يبيع في حانوت له، وكان له أب شيخ كبير، فأقبل رجل من بلد آخر وطلب سلعة له عنده، فأعطاه فيها ثمنًا، فانطلق معه ليفتح حانوته، فيعطيه الذي طلب، والمفتاح مع أبيه، فإذا أبوه نائم في ظل الحانوت، فقال: أيقظه، فقال: والله ؛ إن أبي لنائم كما ترى، وإني أكره أن أُرَوِّعه من نومه، فانصرف إلى الشيخ وهو يغط نومًا، قال: أيقظه، قال: والله ؛ إني لأكره أن أَروِّعه من نومته، فانصرفا، فأعطاه ضعف ما أعطاه، فعطف على أبيه، فإذا هو أشد ما كان نومًا، فقال: أيقظه، قال: لا، والله ؛ لا أوقظه أبدًا، ولا أُرَوِّعه من نومه، قال: فلما انصرفا، وذهب طالب السلعة؛ استيقظ الشيخ، فقال له ابنه: يا أبتاه! والله ؛ لقد جاء ههنا رجل يطلب سلعة كذا وكذا، فكرهت أن أروِّعك من نومك؛ فلامه الشيخ، فعوَّضه الله من بره لوالده: أن نتجت[1] بقرة من بقره تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل، فأتوه، فقالوا: بعناها؟ فقال: لا أبيعكموها، قالوا: إذًا نأخذها منك؟ قال: إن غصبتموني سلعتي؛ فأنتم أعلم. فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: اذهبوا، فأرضوه من سلعته، فقالوا: حكمك؟ قال: حكمي أن تضعوا البقرة في كِفَّة الميزان، وتضعوا ذهبًا صامتًا في الكفة الأخرى، فإذا مال الذهب أخذته. قال: ففعلوا، وأقبلوا بالبقرة، حتى أتوا بها إلى قبر الشيخ، وهو بين المدينتين، واجتمع أهل المدينتين، وابن أخيه عند قبره يبكي، فذبحوها، فضرب ببضعة من لحمها القبر؛ فقام الشيخ ينفض رأسه يقول: قتلني ابن أخي! طال عليه عمري، وأراد أخذ مالي، ومات».

حسن، وهو مرفوع حكمًا: أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٧٩-٨١/ ٥٤) - ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٢٣)- بإسناد حسن على شرط مسلم، وله حكم الرفع كما هو ظاهر.

٢- عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

---

(١) أي: ولدت.

«إنَّ أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة، حتى وجدوها عند رجل في بقر له، وكانت بقرة تعجبه؛ قال: فجعلوا يعطونه بها ويأبى، حتى أعطوه ملء مَسْكها[1] دنانير، فضربوه بعضوٍ منها[2]؛ فقام تشخب[3] أوداجه دمًا، فقالوا له: من قتلك؟ قال: قتلني فلان».

حسن، مرفوع حكمًا: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٩-٢٣٠/ ٧٥٥ - البقرة) بإسناد حسن على شرط البخاري، وله حكم الرفع كما لا يخفى.

٣- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

«لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها؛ لكنهم شدَّدوا؛ فشدَّد الله عليهم»[4].

حسن- أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢/ ٩٨) - ومن طريقه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (٢/ ١٦٨)- بإسناد حسن على شرط البخاري.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥٠٤): «إسناده صحيح».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا موقوف صحيح».

---

(١) بفتح الميم وسكون المهملة: الجلد.

(٢) كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥٢٠): «هذا البعض؛ أي: شيء كان من أعضاء هذه البقرة؛ فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معينًا في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود لنا في أمر الدين أو الدنيا؛ لَبَيَّنَهُ الله جَلَّجَلَالُهُ لنا، ولكنه أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه؛ فنحن نبهمه كما أبهمه الله».

(٣) الشَّخْب: السيلان، وأصل الشَّخْب: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كلِّ غمزة وعصرة لضرع الشاة.

«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٤٥٠).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٥٠٣): «أخبر جَلَّجَلَالُهُ عن تعنت بني إسرائيل، وكثرة سؤالهم لرسولهم؛ ولهذا لما ضيَّقوا على أنفسهم ضيَّق الله عليهم، ولو أنهم ذبحوا أيَّ بقرة كانت؛ لوقعت الموقع عنهم - كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد -؛ ولكنهم شدَّدوا؛ فشُدِّدَ عليهم، فقالوا: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾؛ أي: ما هذه البقرة؟ وأيُّ شيء صفتها؟».

إبراز الإعجاز وإنجاز الإيجاز
في قصة بقرة بني إسرائيل

جاءت قصة بقرة بني إسرائيل بأسلوب قرآني موجز معجز على غير نمط أصحاب القصص، وعلى غير نسق ترتيب أهل البلاغة والفصاحة:

فسببها جاء في آخرها: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢ و ٧٣].

وآخرها في أولها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

وحلُّ العقدة في وسطها: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ مقدَّم في التلاوة، وقوله: ﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ مقدَّم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿قَتَلْتُمْ﴾ في النزول مقدمًا، والأمر بالذبح مؤخرًا.

ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها؛ فكأنَّ الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها، ثم وقع ما وقع من أمر القتل، فأُمروا أن يضربوه ببعضها؛ ويكون ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ مقدمًا في المعنى على القول الأول حسب ما ذكرنا؛ لأن الواو لا توجب الترتيب.

ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضائه في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. فذكر إهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه

بقوله: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [هود: ٤١]؛ فذكر الركوب متأخرًا في الخطاب؛ ومعلوم أن ركوبهم كان قبل الهلاك.

وكذلك قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ [الكهف: ١ و ٢]، وتقديره: أنزل على عبده الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجًا.

ومثله في القرآن كثير»[1].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو جرى على النظم؛ لكانت قصة واحدة، ولذهبت تثنية التقريع، وقد وقع في النظم من فك التركيب والترتيب ما يضاهيه في بعض القصص، وهو من المقلوب المقبول؛ لِتَضَمُّنِهِ نكتًا وفوائد»[2].

وهذا الأسلوب يتسق مع الغايات المنهجية لهذه القصة حيث يتضح بجلاء خطط المكر، وبروتوكولات التحايل التي وضعها بنو إسرائيل في التعامل مع الله ورسله وخلقه على طريقتهم الملتوية وَتَمَحُّلِ المعاذير، التي تدل على طبيعة بني إسرائيل وجبلَّتهم الموروثة، ولذلك جاءت قصة البقرة في إثر تذكيرهم بقصة أصحاب السبت التي تدور أحداثها على صناعة الحيل عند بني إسرائيل: **﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾** [البقرة: ٦٥ و ٦٦].

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن صناعة الحيل المحرمة منهج لبني إسرائيل[3]:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول -وهو بمكة عام الفتح-: «**إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**» فقيل: يا رسول الله!

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٤٤٥).

(٢) «روح المعاني» (١/ ٣٨٧).

(٣) وانظر تفضلًا (ص١١٤).

أرأيت شحوم الميتة؛ فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: **«لا، هو حرام»** ثم قال رسول الله ﷺ -عند ذلك-: **«قاتل الله اليهود؛ إن الله لما حرم شحومها؛ جملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه»**[1].

وقد فهم أصحابه ﷺ من ذلك أن رسول الله ﷺ يحذر أمته مما صنعوا.

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمرًا[2]، فقال: قاتل الله سمرة؛ ألم يعلم أن رسول الله ﷺ؛ قال: **«لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم؛ فجملوها، فباعوها»**[3].

ولذلك؛ كان أسلوب القرآن في عرض هذه القصة يأخذ بمجامع القلوب، ويهز النفوس، ويحرك الفكر للنظر والاعتبار: أن تقديم وسيلة الخلاص على ذكر السبب الذي من أجله أُمروا بذبح البقرة؛ هو: الاستجابة لله، والتسليم لأمر رسوله، وعدم التلكؤ في تطبيق شرعه، والتلوُّن في دينه، والانتقاء في أحكامه.

قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ونكتة ذلك: أن الاستجابة لله وللرسول تحيي القلوب الميتة، وتجعلها تخشع بعد قساوتها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) ذكر أهل العلم جملة تأويلات في كيفية بيع سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخمر؛ انظر: «فتح الباري» (٤/ ٤١٤)، و«جامع المسائل» لابن تيمية (١/ ٢٧٥- المجموعة الثامنة)، و«إعلام الموقعين» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٠٩).

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يرد الدعاء على سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل هي كلمة تقولها العرب للزجر على طريق التبسط في الكلام.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٠)، ومسلم (١٥٨٢).

أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ كما أحيا الله قتيل بني إسرائيل ببقرتهم: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وهذا أمر ينسجم ومقاصد سورة البقرة التي وردت القصة فيها، ويدُلّ على ذلك أمور؛ منها:

١- أن السورة سميت بهذا الاسم؛ لورود قصة بني إسرائيل فيها؛ وفي ذلك جملة أحاديث؛ منها:

عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرءوا القرآن؛ فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صوافٍّ تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة؛ فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»**.

قال معاوية: بلغني أنَّ البطلة: السحرة[1].

عن النواس بن سمعان الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران»**.

ضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثالٍ ما نسيتهنَّ بعد؛ قال: **«كأنهما غمامتان أو ظلَّتان سوداوان، بينهما شرق[2] أو كأنهما حِزقان[3] من طيرٍ صوافٍّ تحاجَّان عن صاحبهما»**[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أي: ضوء وانفراج؛ لتميز إحدى السورتين عن الأخرى؛ كما فصل بينهما في المصحف بالتسمية.

انظر: «شرح مصابيح السنة» لابن ملك (٣/ ١٩).

(٣) مثنى خرق، والمراد: جماعة وقطيع.

انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/ ٩٠-٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٥).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النَّبيِّ ﷺ سمع نقيضًا من فوقه؛ فرفع رأسه؛ فقال: **«هذا باب من السَّماء فُتح اليوم لم يُفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلَّم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة؛ لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيته»**(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ؛ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إنَّ الشيطان يفرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»**(٢).

عن عبد الرحمن بن يزيد؛ قال: لقيت أبا مسعودٍ عند البيت؛ فقلت: حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة؛ فقال: نعم؛ قال رسول ﷺ: **«الآيتان من آخر سورة البقرة مَنْ قرأهما في ليلة كفتاه»**(٣).

٢- التناسب بين اسم السورة ومضمونها مع قصة البقرة:

لما كان الاسم كالرمز يدل على معناه ومقصده؛ فإن سورة البقرة هي سورة توضيح منهج الالتزام بأمر الله وشرعه، ومخالفات بني إسرائيل من أشد المخالفة لأمر الله جَلَّ جَلَالُهُ، والمناكفة لرسله عليهم الصلاة السلام.

ومن أوضح مخالفاتهم: قصة البقرة؛ ولذلك سميت السورة باسمها؛ لتحذير الأمة المسلمة من خطورة عدم الالتزام بأمر الله وشرعه.

٣- تناسب السورة ومقاصدها مع قصة البقرة:

سورة البقرة مقصدها الأعظم: توجيه مسيرة الالتزام بأمر الله نحو الصواب، وتوضيح منهج الله في ضوء السنة والكتاب؛ بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، أخرجه مسلم (٨٠٧).

وبيان ذلك: أنّ الله جَلَّجَلَالُهُ لما أمر الناس بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم في فاتحة الكتاب بيّن لهم سبيل ذلك في السورة التي تليها؛ ولذلك افتتحت بقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ و ٢].

ودائمًا سور القرآن الكريم تتبين مقاصدها في فواتحها، وتؤكدها في خواتيمها، وذلك واضح في سورة البقرة:

فقد جاء في بدايتها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وختمت بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ و ٢٨٦].

وقصة البقرة خلاصة لتعاطي بني إسرائيل مع منهج الله ، وطرائقهم في التعامل معه، وطرقهم في التخلص من الالتزام به، والعمل بمقتضاه.

وهذه البداية غير التقليدية توضح أن نقطة الارتكاز في قصة البقرة ليس موضوع القتل الذي استشرى في بني إسرائيل، وإنّما موضوع البقرة وصاحبها الذي ترك مغنمًا زائلًا برًّا بوالده؛ فعوضه الله أضعاف أضعاف ما ترك.

وبذلك؛ ينبهنا السياق القرآني إلى القضية الجوهرية في القصة؛ حيث جعل المحور الرئيس؛ هو: البقرة وصاحبها، وبقية الأحداث: القتلة، والقتيل، والتنازع مكملات للقصة؛ مما يؤكد أن أهل التقوى والصلاح والإصلاح هم أصل الموضوع، وأن أعداءهم بتخطيطهم ومكرهم إنما يمهدون -وهم لا يشعرون- لخدمة ما أراد الله من خير لأهل

طاعته، وعاقبة حميدة لدينه[١]؛ كما في قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧].

وبهذه الحقيقة تتجلى سنة الله في هذا الدين العظيم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٣٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ و ٣٣].

وهذه البداية المعجزة حيث سبق الأمر علَّته وسببه يدلُّ على عظمة القرآن؛ لأن السؤال عن العلَّة والسبب معناه: أن الأمر صادر من مخلوق مثلك، وبشر مساوٍ لك.. ولما كان الأمر من الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فإنه لا يسأل عن علَّته قبل تنفيذه؛ لأن الله أعلم وأحكم من الذين صدر إليهم الأمر؛ فهو يعلم وهم لا يعلمون.

ومن ربط تنفيذ الأمر بعلَّته؛ فكأنه قد فعله من أجل علَّته، وهذا يناقض الإيمان؛ لأنه يستوي فيه المؤمن والكافر؛ لأن تنفيذ الأمر من أجل السبب والعلَّة ليس إيمانًا بالله وتصديقًا برسله؛ وقد تخطئ العلَّة والسبب أذهان البشر، وتغيب عنها!

وأما المؤمن؛ فإنه يتلقى أمر الله طائعًا؛ عرف علَّته أو لم يعرف، ويقوم بتنفيذه؛ أدرك السبب أم لم يدرك؛ لأنه من الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولذلك؛ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ يبدأ التكاليف الشرعية دائمًا بخطاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢]، ولهذا جاء الأمر بذبح البقرة أولًا، ثم بالعلَّة التي ختمت بها القصة، والله أعلم.

---

(١) انظر –غير مأمور– كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام».

(٢) وقد أفردت «نداءات الرحمن لأهل الإيمان في القرآن» في مصنف جامع؛ يسَّر الله نشره على خير وبركة.

إعجاز علمي في قصة بقرة بني إسرائيل
بين كتب أهل الكتاب والقرآن الكريم

قصة بقرة بني إسرائيل ذكرت في كتب مختلفة من كتب أهل الكتاب:

التلمود البابلي.

كتاب القدوسين.

المشنا (PAR ١:٢).

التكوين (٩:١٥).

العدد (١٩:١-١٠).

التثنية (٢١:١-٧).

ذكر سفر التكوين والمشنا: عمر هذه البقرة.

وذكر سفر العدد والتلمود: لون البقرة.

وقد روى التلمود قصة (داما) الذي رفض شراء مجوهرات بسعر زهيد؛ لأن مفاتيح ماله كانت تحت رأس أبيه النائم؛ حتى لا يوقظه؛ فكافأه الله بعجلة حمراء في قطيعه.

أما رواية (سفر العدد ١٩:١-١٠) فتتكلم عن «ذبيحة خطيئة»:

«وقال الرب لموسى وهارون: هذه هي متطلبات الشريعة التي أمر بها: قل لبني إسرائيل: أن يأتوك ببقرة صفراء، سليمة، خالية من كل عيب، لم يعلها نير، فتعطونها لأليعازر؛ ليأخذها إلى خارج المخيم وتذبح أمامه، ويَغمس الكاهنُ إصبعه بدمها، ويرش منه نحو وجه خيمة الاجتماع سبع مرات، وتحرق البقرة بجلدها ولحمها ودمها وفرثها على مشهد منه، ثم يأخذ خشب أرز وزوفًا، وخيطًا أحمر، ويطرحها في وسط النيران، ثم يغسل الكاهن ثيابه ويستحم بماء، وبعد ذلك يدخل المخيم، ويظل الكاهن

نجسًا حتى المساء، ويجمع رجل طاهر دماء البقرة ويلقيها خارج المخيم في موضع ظاهر، فيظل محفوظًا لجماعة إسرائيل لاستخدامه في ماء التطهير.

إنها ذبيحة خطيئة، وعلى من جمع رماد البقرة أن يغسل ثيابه، ويظل نجسًا إلى المساء...».

وأما رواية سفر التثنية (٢١: ١-٧)؛ فتتكلم عن ذبيحة القاتل المجهول: «إذا وجدتم قتيلًا ملقى في حقل في الأرض التي يهبها الرب إلهكم لكم لامتلاكها، ولم يعرف قاتله، يقوم شيوخكم وقضاتكم بقياس المسافات الواقعة بين موضع جثة القتيل والمدن المجاورة؛ فيحضر شيوخ أقرب مدينة إلى الجثة عِجْلة لم يُوضع عليها محراث، ولم تجر بنير، ويأخذونها إلى واد فيه ماء دائم الجريان لم يحرث فيه ولم يزرع، فيكسرون عنق العجلة في الوادي. ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى؛ لأن الرب إلهكم قد اختارهم لخدمته، ولإعلان البركة باسم الرب، وللقضاء في كل خصومة وكل ضربة، فيغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من الجثة أيديهم فوق العجلة المكسورة العنق في الوادي. ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم، وأعيننا لم تشهده...».

فهل يعقل أن يكون رسول الله النَّبيُّ الأمي ﷺ- كما يدعي أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا – قد اطلع على كل الروايات اليهودية المذكورة آنفًا من كتب أهل الكتاب التي لم تكن مترجمة إلى اللسان العربي يومئذٍ، وألَّف هذه القصة المشتتة في كتب عديدة، ومصادر متفرقة عند اليهود بعد أن استنبط العوامل المشتركة بينها؟!

ثم؛ لابد أن يكون ﷺ قد استبعد التفاصيل المتناقضة التي تكثر في الروايات اليهودية، وتخلو منها القصة القرآنية، وأضاف إليها الزيادات اللازمة، وعرضها بهذا الأسلوب الرباني المعجز المشوق.

إن هذا هو المحال بعينه، ولو كان هناك محال واحد في التاريخ البشري؛ لكان افتراض افتراء القرآن هذا.

بل؛ هذا من هيمنة القرآن على كتب أهل الكتاب بشتى الصور: من اطلاع على المخفي وكشفه، والفصل بين الكتب، وتصحيح مقاصد القصص:

وتأمل! كيف ينقض القرآن الكريم هذه الفرية الجاهلية:

قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٢ - ١٠٥].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤-٦].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٨].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٥].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المطففين: ١٣].

بنو إسرائيل وعقدة البقرة

كان المصريون القدماء يعبدون الحيوانات؛ ومن أهمها: العجل؛ حيث كانوا يختارونه بمواصفات محددة، ولذلك أقاموا له التماثيل، وشيَّدوا لأجله المعابد، ووضعوا صورته على جدرانها.

ومن أشهر عجولهم: (أيبس) الذي اتخذوا يوم ولادته عيدًا، وجعلوا يوم موته مأتمًا؛ لأنه عندهم مظهر لإله الشمس!!

ولبث بنو إسرائيل في مصر من دخولها زمن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى خروجهم منها زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... فطال عليهم الأمد، ونسوا دين يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتأثروا بعقائد المصريين القدماء الوثنية التي تعظم البقر حتى أُشرِبوا العجل في قلوبهم!!

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ مخبرًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)﴾ [غافر: ٣٤و٣٥].

ولذلك ما لبثوا أن خرجوا من البحر حتى عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري الذي كان من المصريين الذين يعبدون البقر، ولم يكن من بني إسرائيل؛ كما في حديث الفتون[1]:

---

(١) أخرجه النسائي في «تفسيره» (٣٤٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٦١٨) وهو صحيح؛ كما بينته في كتابي: «صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء» (١٦٠).

«... فلما أن جاز موسى وأصحابه البحر، ودخل فرعون وأصحابه؛ التقى عليهم البحر كما أُمِر، فلما جاوز موسى البحر؛ قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه؛ فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا هلاكه، ثم مرُّوا بعد ذلك: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨و ١٣٩] قد رأيتم من العبر، وسمعتم ما يكفيكم، ومضى، فأنزلهم موسى منزلًا، وقال لهم: أطيعوا هارون؛ فإني قد استخلفته عليكم، فإني ذاهب إلى ربي، وأَجَّلَهُم ثلاثين يومًا أن يرجع إليهم فيها، فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلاثين يومًا، وقد صامهن -ليلهن ونهارهن-، وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم، فتناول موسى من نبات الأرض شيئًا؛ فمضغه، فقال له ربه حين أتاه: لم أفطرت - وهو أعلم بالذي كان -؟ قال: يا رب! إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح، قال: أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك؟! ارجع فصم عشرًا، ثم ائتني، ففعل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ما أمره به، فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك، وكان هارون قد خطبهم، وقال: إنكم خرجتم من مصر، ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع، ولكم فيهم مثل ذلك، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية، ولسنا برادِّين إليهم شيئًا من ذلك، ولا ممسكيه لأنفسنا، فحفر حفيرًا، وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار؛ فأحرقه؛ فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري من قوم يعبدون البقر، جيران لبني إسرائيل، ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا، فقضي له أن رأى أثرًا فأخذ منه قبضة، فمر بهارون، فقال له هارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: يا سامري! ألا تلقي ما في يدك؟ وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك، فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، فلا ألقيها بشيء؛ إلا أن تدعو الله إذا ألقيت أن يكون ما أريد، فألقاها ودعا له

هارون، فقال: أريد أن تكون عجلًا، فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد؛ فصار عجلًا أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: لا والله ما كان له صوت قط، إنها كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه، فكان ذلك الصوت من ذلك.

فتفرق بنو إسرائيل فرقًا:

فقالت فرقة: يا سامري! ما هذا وأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم؛ ولكن موسى أضل الطريق!

فقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإن كان ربنا؛ لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا، وإن لم يكن ربنا؛ فإنا نتبع قول موسى.

وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان، وليس بربنا، ولن نؤمن به، ولا نصدق.

وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل، وأعلنوا التكذيب به، فقال لهم هارون: يا قوم! إنما فتنتم به، وإن ربكم الرحمن، قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يومًا ثم أخلفنا؟ هذه أربعون قد مضت، فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه؛ فهو يطلبه ويتبعه! فلما كلم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقال له ما قال؛ أخبره بما لقي قومه من بعده، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا، قال لهم ما سمعتم في القرآن، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وألقى الألواح من الغضب، ثم إنه عذر أخاه بعذره، واستغفر له، فانصرف إلى السامري، فقال له: ما حملك على ما صنعت، قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت إليها، وعميت عليكم، فقذفتها ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه: ٩٦و ٩٧]، ولو كان إلهًا لم نخلص إلى ذلك منه، فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون، فقالوا لجماعتهم: يا موسى! سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها،

فيكفر عنا ما عملنا، فاختار موسى قومه سبعين رجلًا لذلك، لا يألوا الخير -خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل-، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة، فرجفت بهم الأرض واستحيا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفيهم من كان الله أطلع منه على ما أشْرِب قلبه من حب العجل وإيمان به، فلذلك رجفت بهم الأرض، فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦ و ١٥٧]».

فأراد الله جَلَّجَلَالُهُ أن يستأصل من قلوب بني إسرائيل حبَّ العجل؛ فأمرهم أن يذبحوا بقرة من جنس ما تربوا عليه، وَأَلِفوه، وعبدوه من دون الله .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومنها: أن بني إسرائيل فتنوا بالبقرة مرتين من بين سائر الدواب:

ففتنوا بعبادة العجل.

وفتنوا بالأمر بذبح البقرة.

والبقرة من أبلد الحيوان؛ حتى لَيُضْربُ به المثل.

والظاهر: أن هذه القصة كانت بعد قصة العجل؛ ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه على أن هذا النوع من الحيوان الذي لا يمتنع من الذبح والحرث والسقي، لا يصلح أن يكون إلهًا معبودًا من دون الله جَلَّجَلَالُهُ، وأنه إنما يصلح للذبح والحرث والسقي والعمل»[1].

قال القرطبي: «قال الماوردي: وإنما أمروا -والله أعلم- بذبح بقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل؛ يهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٣١٧).

وهذا المعنى علَّة في ذبح البقرة، وليس بعلَّة في جواب السائل، ولكن المعنى فيه أن يحيا القتيل بقتل حي؛ فيكون أظهر لقدرته في اختراع الأشياء من أضدادها»[1].

... ولكن هيهات أن يترك بنو إسرائيل حُبَّ البقر والذهب.. فقد أشربوه في قلوبهم، وتلوثت به عقولهم حتى أصبح قطعة من حياتهم، وجزءًا من تصوراتهم؛ وقبسًا من مبادئ عقيدتهم... فها هو يستمر معهم بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فَيَغِلُّون الذهب الذي على صورة بقرة في زمن يوشع بن نون -فتى موسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- أيام فتح بيت المقدس.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**».

«وفي رواية: **غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضْعَ امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولَمَّا يَبْنِ [بِهَا]، ولا آخر قد بنى بنيانًا، ولَمَّا يرفع سُقُفَها، ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خَلِفات، وهو منتظر وِلادها، قال: فغزا، فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك،** (وفي رواية: **فلقي العدو عند غيبوبة الشمس**)**، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهمّ! احبسها عليَّ شيئًا، فحُبست عليه، حتى فتح الله عليه، [فغنموا الغنائم]، قال: فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، [وكانوا إذا غنموا الغنيمة بعث الله جَلَّجَلَالُهُ عليها النار فأكلتها]، فقال: فيكم غُلول؛ فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فبايعته، قال: فلصقت بيد رَجُلين أو ثلاثة [يده]، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم، [قال: أجل قد غللنا صورة وجه بقرة من ذهب]، قال: فأخرجوه له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال، وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله جَلَّجَلَالُهُ رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا**».

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٤٤٥).

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إن الله أطعمنا الغنائم رحمة بنا وتخفيفًا، لِما علم مِن ضعفنا**»[١].

ألا يدل قولهم: «**أجل قد غللنا صورة وجه بقرة من ذهب... فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب**» على أن القوم أشربوا العجل في قلوبهم إلى يوم القيامة[٢] .. وتأمل قصة البقرة الحمراء تتبين لك تفاصيل القضية:

البقرة التي أمر الله اليهود بذبحها يراها اليهود حمراء، وأنها ستظهر في آخر الزمان مرة أخرى لمهمة عظيمة عندهم... سوف يذبحونها... ويحرقونها... ويطهرون برمادها ساحة جبل موريا؛ حيث المسجد الأقصى المبارك.

ومن ثم يطهرون أنفسهم؛ ليستطيعوا دخول ساحات المسجد، ليعيدوا بناء هيكل سليمان المزعوم!!

جاء في سفر العدد - الإصحاح: ١٩:

«علِّم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعل عليها نير، فتعطونها لإليعازار الكاهن، فيخرج إلى خارج المحلة، وتذبح قدامه، ويأخذ إليعازار الكاهن من دمها بإصبعه، وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه؛ يحرق جلدها ولحمها ودمها مع قرنها، ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفًا وقرمزًا ويطرحهن في وسط حريق البقرة».

واليهود جادُّون في تنفيذ معتقداتهم، وصادقون مع أنفسهم في تحقيق تصوراتهم على أرض الواقع، ولذلك اتخذوا عدة قرارات خطيرة تهدد المسجد الأقصى المبارك:

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤ و ٥١٥٧)، ومسلم (١٧٤٧) وجميع الزيادات والروايات صحيحة؛ انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٠٢) لشيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ولذلك جعلوا العجل الذهبي العبري رمزًا لسوقهم المالي العالمي (وول ستريت) في عاصمة الماسونية العالمية (نيويورك).

١- في عيد الأنوار اليهودي سنة (١٩٩٦م) اجتمعت لجنة حاخامات المستوطنات، وأصدروا فتوى تحث اليهود على الحجِّ إلى جبل الهيكل.

وكانت هذه الفتوى مفاجئة لعموم اليهود؛ لأن الاعتقاد الذي سار عليه اليهود هو عدم جواز زيارة جبل الهيكل قبل ظهور البقرة الحمراء؛ ليتم تطهيره برمادها(!) خشية وطء (قدس الأقداس) الذي يوجد فيه (تابوت العهد) بالأقدام(!!)

واليهود مختلفون في توقيت بناء الهيكل ومن سيقوم ببنائه:

فعامتهم يرون هدم المسجد الأقصى؛ ليقام على أنقاضه الهيكل المزعوم؛ لكن عند ظهور البقرة الحمراء.

والحريديم (المتدينون) لا يرون بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى؛ لأن هذه المهمة سيقوم بها المسيح المنتظر؛ أي: المسيح الدجال حينما يخرج، ويملك العالم!!

٢- وفي (٢٥/ ٧/ ٢٠٠١م) سمحت المحكمة العليا في الكيان اللقيط لليهود لحركة أمناء جبل الهيكل؛ بوضع الحجر الأساس للهيكل الثالث قرب باب المغاربة في القدس القديمة.

٣- وفي سنة (٢٠٠٢م) زعموا: أن البقرة الحمراء ولدت، وسموها (Melody)... لكنها لما كبرت اكتشفوا في جسمها بقعة داكنة تختلف عن لونها.

ومن ذلك اليوم استنفروا علماء الوراثة، وخبراء التهجين، وشياطين الاستنساخ؛ لإنتاج بقرة حمراء (لاشية فيها) يوضحه:

٤- في مستوطنة (بيت شلومو) توجد مزرعة أبقار ومعهد تجارب؛ لإجراء البحوث الوراثية التي من شأنها التوصل إلى إنتاج بقرة حمراء (لاشية فيها)؛ لحرقها، واستخدام رمادها في تطهير جبل الهيكل!

وفي ولاية (لويزيانا) الأمريكية تجرى عملية إعداد قطيع من الأبقار الحمر!!

٥- ولذلك أعد اليهود العدة، واستنفروا قواهم؛ يوضحه:

أ- تقوم عائلة (نتيف) في القدس على إنتاج أدوات العبادة؛ وهي:

- أقداح ذهبية.

- المعول الفضي الذي سيستخدم في رفع رماد البقرة الحمراء بعد حرقها.

- قرون ثور:

أحدهما ذهبي ينفخ فيه الكهنة في يوم ذبح البقرة الحمراء.

والآخر فضي ينفخ فيه لإعلان صيامهم في ذلك اليوم.

ب- وتقوم أسرة (إلفي) بإعداد كسارة الحجارة التي تمتلكها في جنوب فلسطين التاريخية؛ لإنتاج مواد بناء الهيكل من عناصر طبيعية لم تمسها مطرقة أو إزميل.

- إناء الطهارة للبقرة إعلانًا ببدء مراسم التطهير.

- الأختام المقدسة.

- المذبح الذهبي الذي تتم فيه عملية الذبح.

- السكاكين التي يتم بها ذبح البقرة.

ت- وقامت عائلة (تسورفيم) بحياكة أدوات الهيكل القماشية من نوع واحد.

ث- ويعرض معهد أبحاث الهيكل مجسمًا للهيكل، وأدوات العبادة، وملابس الحاخامات، وصور ذبح القرابين، وبوق المناداة(!)

٦- وتقوم أبواق الدعاية اليهودية بنشر ثقافة البقرة الحمراء وسط المسلمين وفي ديارهم، ومن ذلك:

أ- استخدام البقرة الحمراء؛ كماركة تجارية لجبن فرنسي تنتجه مصانع بيل تحت اسم (**البقرة الضاحكة**) (لافاش كي ري) (سنة ١٩٢١م).

ب- إنتاج مجموعة ألعاب (**البقرة الضاحكة**) للأطفال، وأطلقوا على بعضها (Melody).

بين الدين والسياسة

اختلف بنو إسرائيل في القتيل، وتنازعوا في أمره، وكادت الفتنة أن تقع بينهم؛ فلما رجعوا إلى نبيهم كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَدَ الفتنةَ في مهدها؛ لأنه ساسهم بشرع الله ، ولم يتركهم إلى أهوائهم ومصالحهم الآنية.

وبنو إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، وترعاهم بشريعة الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

عن أبي حازم؛ قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين؛ فسمعته يحدث عن النبي ﷺ؛ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء؛ فيكثرون**».

قالوا: فما تأمرنا؟

قال: «**فُوا ببيعة الأول؛ فالأول**[١]**؛ أعطوهم حقَّهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»[٢].

دلَّ هذا الحديث على وجود ذكر لمادة (السياسة) في السنة النبوية؛ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ «ومعنى تسوسهم؛ أي: يتولون أمورهم؛ كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية.

والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه»[٣].

---

(١) قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣١): «وفي هذا الحديث معجزة لرسول الله ﷺ.

ومعنى هذا الحديث: إذا بويع لخليفة بعد خليفة؛ فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني يحرم الوفاء بها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٣١).

وهذا يدل على أن لفظ (السياسة) عربي فصيح، وهو مصدر ساس الناس يسوسهم سياسة.

قال ابن دريد: «وسست القوم، أسوسهم سياسة، وكذلك الدواب»[١].

وقال الجوهري: «سست الرعية سياسة، وسوس الرجل أمور الناس، على ما لم يسم فاعله: إذا مُلِّك أمرهم»[٢].

وقال ابن منظور: «وساس الأمر سياسة: قام به»[٣].

وقال الفيروز آبادي: «وسست الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها، وفلان مجرب قد ساس، وسيس عليه: أَدَّب وأُدِّب»[٤].

فالكلمة عربية فصيحة؛ لأن منها اشتق لفظ (السائس)؛ وهو: مروِّض الدواب من (ساس الدابة)؛ أي: قام عليها وراضها وأدَّبها، وأكثر ما يكون ذلك في الخيل[٥].

وأما الكلمة بمفهومها المعاصر؛ فهي مولدة توليدًا معنويًا[٦].

وعلى الرغم من كون لفظ (السياسة) عربي أصيل، وورود ذكر مادتها في السنة النبوية الصحيحة؛ فإنها لم ترد في القرآن الكريم بمادتها ولا بمفهومها.

لكنها بحقيقتها الشرعية والعصرية من أعظم ركائزه؛ وبجوهرها من أوضح مقاصده.

---

(١) «جمهرة اللغة» (١/ ١٧٩).

(٢) «الصحاح» (٣/ ٩٣٨).

(٣) «لسان العرب» (٦/ ١٠٨).

(٤) «القاموس المحيط» (ص٧١٠).

(٥) انظر: «المطلع على أبواب المقنع» (ص ٢٧٣)، و«مجلة لغة العرب» (١٨/ ٢٩٨).

(٦) كما حققه الدكتور حامد قتيبي في «دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح» (ص١٣١-١٣٢).

قال شيخ شيوخنا محمد راغب الطباخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

«كثير من الناس-ممن لم يقرؤوا القرآن، أو لم يتدبروا آياته-يظنون أن كتاب الله جَلَّجَلَالُهُ خال من الآيات السياسية، ومن الأمور التي إذا روعيت تكون سببًا لحياة أمة بعد موتها، ولعزتها بعد هوانها، ولكثرتها بعد قلتها، ولغناها بعد فقرها، ولاستعادة ما كان لها من مجدٍ، وما سلف من حول وطول.

في حين أن كتاب الله فيه تبيان كل شيء؛ فيه كل ما يعود على المجتمع البشري بالسعادة في معاشه ومعاده، في دنياه وآخرته.

وإذا تأملت فيه -وكنت ممن ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]- تتجلى لك آيات كثيرة تجد فيها السياسة بادية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وتعتقد اعتقادًا جازمًا أنا إذا سرنا على مقتضى ما جاء فيها، وراعينا أحكامها استرجعنا ما فقدنا من عزٍّ، وعادت لنا تلك المكانة التي كانت لنا بين الأمم، وكنا معشر الأمة العربية-بل وجميع الأمة الإسلامية-نحن القابضين على زمام العالم، ومقدرات الأمم في مشارق الأرض ومغاربها».

ثم ساق الآيات (٢٤٦-٢٥١) من سورة البقرة، وفيها قصة طالوت وجالوت؛ وفسَّرها تفسيرًا رائقًا[٢].

ثم قال بعد ذلك:

«في هذه الآيات السِّت نموذج من السياسة في كتاب الله جَلَّجَلَالُهُ، وإذا استقصيت ما بين دفتيه، وأمعنت النظر، وتدبرت ما هنالك تجد من هذا النوع آيات كثيرة بل سورًا بتمامها لو استُخلصت على حدة، وتُتبعت المقاصد فيها، وبُيِّنت الغايات منها لجاء ذلك

---

(١) في محاضرة ألقاها في دار الأرقم، بمدينة حلب، ثم نشرت في مجلة «الفتح» (عدد ٧٥٣-٧٥٥).

(٢) انظر -تفضلًا- (ص ١٠٠).

في عدة أسفار، تُعطيك كل آية منها-أو بعض آيات-نوعًا خاصًا، وأسلوبًا آخر تنكشف به دقائق الأمور، وحقائق الأشياء.

فعلى هذا؛ لم يَدَعِ القرآن العظيم منهاجًا من هذه المناهج إلا سلكه، ولا غامضًا إلا أوضحه.

وضع الصدر الأول: من خلفاء الإسلام وملوكهم وأمرائهم وقادتهم هذه الآيات نصب أعينهم؛ فاستنتجوا منها قواعد وأسسًا عملوا بمقتضاها، واسترشدوا بها، واستضاءوا بمصابيحها؛ فوضحت أمامهم السبل فساروا في طريق من الحياة بينة إلى أن اقتعدوا الذروة، وحلقوا في سماء العلياء، وأسسوا من الحضارة والمدنية الحقة ما جروا به ذيل الفخار على الأمم، وكان غرَّة في جبين الدهر.

فَلْنَسِرْ-إذا أردنا النجاة والحياة-على سيرهم، ولنقتف أثرهم، ولنهتد بهديهم؛ فإذا فعلنا ذلك، وقمنا بهذا الواجب المقدس لا نلبث-عشية أو ضحاها-إلا وقد نلنا بغيتنا، وحُزْنا أمانينا، وحمدنا عند الصباح السرى» أ.هـ.

والحديث النبوي السابق يُقَدِّمُ تعريفًا شرعيًا واضحًا للسياسة، وأن معناها يدور على رعاية شؤون الأمة، وحياطة أمور الرعية، واستصلاح أحوال الخلق؛ بإرشادهم إلى ما ينجيهم في العاجل والآجل، وبما يصلحهم لطفًا وعنفًا.

وبيان ذلك:

أ- أن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء واحد يتلو الآخر، والأنبياء يرعون شؤون أممهم ظاهرًا وباطنًا بما أوحاه الله إليهم من الكتاب والحكمة.

ب- ولما ختمت النبوة بمحمد ﷺ؛ فإن رعاية شؤون الأمة من بعده انتقلت إلى خلفائه وَوُرَّاثه؛ وهم: الأمراء والعلماء، وهؤلاء يسوسون الرعية بما لا يخالف الكتاب والسنة.

ت- فالسياسة هي تدبير المعاش والمعاد مع العموم على سنن العدل والاستقامة بما لا يخالف الكتاب والسنة.

ولذلك؛ فالسياسة في الشرع المبين لا تقتصر على نصوص الكتاب والسنة، بل يدخل فيها كل ما يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحي.

قال الإمام الرباني ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَجَرَتْ في ذلك مناظرة بين أبي الوفاء ابن عقيل وبين بعض الفقهاء:

فقال ابن عقيل: العمل بالسياسة هو الحزم، ولا يخلو منه إمام.

وقال الآخر: لا سياسة إلا ما وافق الشرع.

فقال ابن عقيل: السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: «لا سياسة إلا ما وافق الشرع»؛ أي: لم يخالف ما نطق به الشرع؛ فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع؛ فغلط وتغليط للصحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمُثَل ما لا يجحده عالم بالسِّيَرِ، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف كان رأيًا اعتمدوا فيه على مصلحة، وكذلك تحريق عليٍّ الزنادقة في الأخاديد، ونفي عمر نصر بن حجاج.

قلت: هذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب:

فرَّط فيه طائفة؛ فعطَّلوا الحدود، وضيَّعوا الحقوق، وجرَّأوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسَدُّوا على أنفسهم طرقًا صحيحة من الطرق التي يعرف بها المحقُّ من المبطل، وعطَّلوها مع علمهم وعلم الناس بها: أنها أدلة حق ظنًّا منهم مُنَافاتها لقواعد الشرع، والذي أوجب لهم ذلك نوعُ تقصيرٍ في معرفة حقيقة الشريعة، والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاة الأمر ذلك، وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشيء زائد على ما فهمه هؤلاء من الشريعة، فأحدثوا لهم

قوانين سياسية ينتظم بها مصالح العالم، فتولَّد من تقصير أولئك في الشريعة، وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شرٌّ طويل، وفساد عريض، وتفاقم الأمر، وتعذر استدراكه.

وأفرط فيه طائفة أخرى؛ فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله.

وكلا الطائفتين أُتيَتْ من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله ﷺ، فإن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقِسْط؛ وهو: العدل الذي قامت به السماوات والأرض؛ فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صُبْحهُ بأيِّ طريق كان، فذلك من شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله جَلَّجَلَالُهُ لم يحصر طرق العدل وأدلته، وأماراته في نوع واحد، ويبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بيَّن بما شرعه من الطرق: أن مقصوده إقامة الحق والعدل، وقيام الناس بالقسط، فأيُّ طريق استخْرِجَ بها الحق ومعرفة العدل؛ وجب الحكم بموجبها ومقتضاها.

والطرق أسباب ووسائل لا تُراد لذواتها، إنما المراد غاياتها التي هي المقاصد، لكن نبَّه بما شرعه من الطرق على أشباهها وأمثالها، ولن تجد طريقًا من الطرق المثبتة للحق إلا وفي شرعه سبيل للدلالة عليها، وهل يُظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك؟

ولا نقول: إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة، بل هي جزء من أجزائها، وباب من أبوابها، وتسميتها: «سياسة» أمر اصطلاحي، وإلا: فإذا كانت عَدْلًا؛ فهي من الشرع، فقد حبس رسول الله ﷺ في تُهْمة، وعاقب في تُهْمة لَّما ظهرت أماراتُ الريبة على المتهم، فمن أطلق كل متهم وخلى سبيله أو حلَّفه مع علمه باشتهاره بالفساد في الأرض ونَقْبِ الدور وتَواتُرِ السرقات - ولاسيما مع وجود المسروق: عنده - وقال: لا آخذه إلا بشاهدي عدل، أو إقرار اختيار وطوع؛ فقوله مخالف للسياسة الشرعية . . ولقد حدَّ أصحاب النبي ﷺ في الزنى بمجرد الحَبَل، وفي الخمر بالرائحة والقيء، وهذا هو

الصواب؛ فإن دليل القيء والرائحة والحَبَل على الشرب والزنى أولى من البينة قطعًا، فكيف يُظَنُّ بالشريعة إلغاءُ أقوى الدليلين؟!

. . . إلى أضعاف أضعاف ذلك من السياسات العادلة التي ساسوا بها الأمة، وهي مشتقة من أصول الشريعة وقواعدها.

وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة؛ كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل[1]، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك ينقسم إلى قسمين:

صحيح وفاسد؛ فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسيم لها.

والباطل ضدها ومنافيها.

وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها، وهو مبني على حرف واحد؛ وهو: عموم رسالة النبي ﷺ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العبادُ في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يُحْوِجْ أمته إلى أحد بعده، إنما حاجتهم إلى من يُبلِّغهم عنه ما جاء به، فلرسالته عمومات محفوظات لا يتطرق إليهما تخصيص عموم بالنسبة إلى المرسل إليه، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه مَنْ بُعث إليه من أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها، ولا يتمُّ الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به»[2].

وهكذا بقي نظام السياسة على سنن العدل والاستقامة حتى اختل ميزان الحكم؛ فأصبح عضوضًا وجبريًا؛ يتكادمون عليه تكادم الحمير؛ كما أخبر الصادق المصدوق:

---

(١) انظر -غير مأمور- كتابي: «دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب».

(٢) «إعلام الموقعين» (٦/ ٥١٢-٥١٧).

أخرج أبو داود الطيالسي (٤٣٨)، ومن طريقه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٣) - واللفظ له -والعراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» (ص ١٧٦)، والبزار (١٥٨٨-كشف الأستار) من طريق داود بن إبراهيم عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: كنا قعودًا في المسجد - وكان بشير رجلًا يكف حديثه[1] - فجاء أبو ثعلبة الخشني؛ فقال: يا بشير بن سعد! أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة؛ فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النُّبوَّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النُّبوَّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلْكًا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلْكًا جبريًا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النُّبوَّة، ثم سكت**».

قلت: إسناده حسن؛ رجاله ثقات غير حبيب بن سالم؛ فهو حسن الحديث.

وله شاهد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا ورحمة، ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر؛ فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان**».

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٣٨) بإسناد جيد؛ رجاله ثقات غير سعيد بن حفص النفيلي؛ فهو صدوق.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموعهما.

ومن هنا بدأ يَدُبُّ الفصام النكد بين الدين والسياسة.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية: إلى بداية هذا الفراق المبتدع والصراع المصطنع بين الشرع والسياسة؛ فقال:

---

(١) أي: لا يحدث كثيراً عن النبي ﷺ احتياطًا وتورعًا، أو هاب أن يتحدث في حضرة حذيفة بن اليمان؛ لأنه أعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأحاديث الفتن؛ لكثرة سؤاله للنبي ﷺ، والله أعلم.

«وهذا كما يوجد في كثير من خطاب بعض أتباع الكوفيين وفي تصانيفهم إذا احْتَجَّ عليهم مُحتجٌّ بمن قتله النبي ﷺ، أو أمر بقتله؛ كقتله اليهودي الذي رضَّ رأس الجارية، وكإهداره لدم السابَّة التي سَبَّتْهُ وكانت مُعاهِدَة، وكأمره بقتل اللوطي ونحو ذلك.

قالوا: هذا يعملُهُ سياسةً!

فيقال لهم: هذه السياسة:

إن قلتم هي مشروعة لنا؛ فهي حق؛ وهي سياسة شرعية.

وإن قلتم: ليست مشروعة لنا؛ فهذه مخالفة للسنة.

ثم؛ قول القائل بعد هذا: سياسة:

إما أن يريد أن الناس يساسون بشريعة الإسلام.

أم هذه السياسة من غير شريعة الإسلام.

فإن قيل بالأول؛ فذلك من الدين.

وإن قيل بالثاني؛ فهو الخطأ.

لكنَّ منشأ هذا الخطأ: أن مذهب الكوفيين فيه تقصير عن معرفة سياسة رسول الله ﷺ، وسياسة خلفائه الراشدين.

وقد ثبت في الصحيح عنه: أنه قال: «**إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، كلما مات نبي قام نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء يكثرون**» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**أوفوا بيعة الأول؛ فالأول، وأعطوهم حقَّهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

فلما صارت الخلافة في ولد العباس، واحتاجوا إلى سياسة الناس، وتقلَّد لهم القضاء من تقلَّده من فقهاء العراق، ولم يكن ما معهم من العلم كافيًا في السياسة العادلة: احتاجوا حينئذ إلى وضع ولاية المظالم، وجعلوا ولاية حرب غير ولاية شرع، وتعاظم الأمر في كثير من أمصار المسلمين، حتى صار يقال: الشرع والسياسة: وهذا يدعو

خصمه إلى الشرع، وهذا يدعو إلى السياسة؛ سوَّغ حاكمًا أن يحكم بالشرع، والآخر بالسياسة.

والسبب في ذلك: أن الذين انتسبوا إلى الشرع قصَّروا في معرفة السنة، فصارت أمور كثيرة إذا حكموا؛ ضيعوا الحقوق، وعطلوا الحدود، حتى تُسْفَكَ الدماءُ، وتُؤخذَ الأموالُ، وتُستباحَ المحرماتُ.

والذين انتسبوا إلى السياسة صاروا يسوسون بنوع من الرأي من غير اعتصام بالكتاب والسنة، وخَيْرُهم الذي يحكم بلا هوى وتحري العدل، وكثير منهم يحكمون بالهوى، ويحابون القويَّ ومَنْ يرشوهم.. ونحو ذلك.

وكذلك كانت الأمصار التي ظهر فيها مذهب أهل المدينة، يكون فيها مِنَ الحكم بالعدل ما ليس في غيرها، من جعل صاحب الحرب متبعًا لصاحب الكتاب مالا يكون في الأمصار التي ظهر فيها مذهب أهل العراق ومن اتبعهم؛ حيث يكون في هذه والي الحرب غير متبع لصاحب العلم:

وقد قال الله جَلَّجَلَالُهُ في كتابه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]:

فقوام الدين بكتابٍ يهدي، وسيف ينصر: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

ودين الإسلام: أن يكون السيف تابعًا للكتاب؛ فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة وكان السيف تابعًا لذلك؛ كان أمر الإسلام قائمًا، وأهل المدينة أولى الأمصار بمثل ذلك.

أما على عهد الخلفاء الراشدين؛ فكان الأمر كذلك.

وأما بعدهم فهم في ذلك أرجح من غيرهم.

وأما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير، وكان السيف تارة يوافق الكتاب وتارة يخالفه: كان دين من هو كذلك بحسب ذلك»[١].

ولهذا تجد أمثال ابن خلدون يُقسِّم السياسة إلى عقلية وشرعية:

قال: «فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها؛ كانت سياسة عقلية، وإن كانت مفروضة من الله بشرع يقررها ويشرعها؛ كانت سياسة دينية»[٢].

ثم يقول مُفَرِّقًا بين المُلْك السياسي والخلافة:

«الملك السياسي: حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي.

والخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها».

ثم صار هذا الفراق الواضح، والتباين الصارخ يتسع خرقه حتى صارا في زماننا ضدين متقابلين، لا يجتمعان ألبتة؛ فلا صلة للدين بالسياسة، ولا للسياسة بالدين.

والحديث النبوي السابق ينقض هذا التفريق من أساسه، ويقتلعه من جذوره، ويقرر بكل وضوح: أن السياسة الحقَّة والدين القيِّم لا انفصام بينهما، ولا تعارض يعتريهما، ولا تناقض يأتيهما، ووجه ذلك:

أ- الأمم الماضية كانت الأنبياء تسوسهم، وسياسة الأنبياء في المرتبة الأولى والعليا؛ لأنها جامعة لكل ما بعدها، ومتضمنة لما فيها فضلًا عن عصمتها، وكمال رشدها، وتمام نضجها.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٣٩١-٣٩٣).

(٢) «المقدمة» (ص١٧٤) بتصرف.

وقد نقد ابن خلدون السياسة العقلية والملك السياسي المجرد عن الشرع في مواطن كثيرة من «مقدمته»؛ انظر على سبيل المثال (ص ٢٣٨-٢٣٩، و٣٧٧ وما بعدها).

ومدار سياسة الأنبياء:

تحصيل المصالح وتثبيتها وتكثيرها.

ودرء المفاسد وإلغائها وتقليلها.

فالأنبياء هم أئمة السياسيين المتقين وقدوتهم، ومن تنكب طريقهم؛ فلا خير فيه.

والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يفصلوا بين الشريعة والسياسة، ولا بين الدين والدنيا، ولم يكن من سياستهم: دَعْ ما لله لله، وما لقيصر لقيصر، بل كل شيء لله جَلَّجَلَالُهُ ماضٍ فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: ٦].

ب- ولما خُتمت النُّبوَّة بمحمد ﷺ؛ استخلفت الأمة الخلفاء؛ فصار نظام الخلافة الراشدة يقوم على ميراث النبوة؛ وميراث النبوة جمع بين الدين والدنيا، والشريعة والسياسة؛ بل الشريعة كلها سياسة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشريعة سياسة إلهية»[١].

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأكثر السلاطين يعملون بأهوائهم وآرائهم لا بالعلم، ويُسمون ذلك: سياسة، والسياسة هي الشريعة»[٢].

وقد عدّ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ سياسة الأمة مقصدًا رئيسًا في مقاصد القرآن الثمانية التي عليها مدار القرآن العظيم: «. . الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن؛ القصد منه: صلاح الأمة، وحفظ نظامها..»[٣].

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص ١٨٨).

(٢) «الفروع» (٦/ ٣٨٦).

(٣) «التحرير والتنوير» (١/ ٤٠).

ولذلك: اتفق علماء الشرع المحققون على فساد الدعوة القائلة بفصل الدين عن السياسة، والدولة عن الدين، وبطلان المقولة الشهيرة: «لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين»، ووجه ذلك:

هذا القول يفيد: أن السياسة لا تلتزم القيم ولا المصالح العامة للأمة، بل تدور في فلك المنفعة الشخصية الآنية، وتراها فوق الله وأوامره ونواهيه، والدين ومبادئه وقواعده.

وهي قائمة على الحيل السياسية: ناطقة بنظرية ميكافللي التي تفصل السياسة عن الأَخلاق، وترى أن الغاية تسوِّغ الوسيلة.

ومعلوم أن هذا ليس سياسة ولا كياسة؛ لأن البشر لا يصلحهم إلا سياسة ترعاهم بالحق والعدل، وتلتزم معايير الخير والشر، وتقوم على موازين الحق والباطل.

فالسياسة عندما ترتبط بالدين؛ فهي العدل بين الرعية، والقسمة بالسوية، ورعاية حقوق الإنسان الأساسية.

ودخول الدين في السياسة:

يوجهها إلى الخير.

ويهديها إلى الرشد.

ويعصمها من الضلال والغيِّ.

ويُبيِّن لها الغايات العليا للوجود الإنساني؛ وهي:

توحيد الله وإفراده بالعبودية.

وتزكية النفوس على منهج المرسلين.

وإقامة الحق والعدل في الأمة.

ومن دون ذلك: يقع الخلل في الدين، والعلل في السياسة؛ كما حصل مع الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين ضربهم الله جَلَّ جَلَالُهُ لنا مثلًا في كتابه:

فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٥٢].

لقد تقدَّم الملأ من بني إسرائيل إلى نبيٍّ لهم من بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أن يختار لهم ملكًا يقودهم إلى معركة الحسم مع أعداء الله ، وتحرير الأرض، وحماية العرض.

وهم في طلبهم مخطئون: حيث فصلوا بين أهل القيادة وأهل العبادة؛ فظنوا أنهم على طرفي نقيض؛ ففصلوا بين الدين والدنيا، فالقائد الذي يطلبونه أمامهم لو كانوا

يبصرون؛ وهو: نبيُّهم الذي يخاطبون؛ فإن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، أوَليست المعركة الحاسمة من ضروريات سياسة الأمة؟!

ويدرك نبيهم ضعفهم وغفلتهم؛ فيريد أن يرشدهم لكن بإجابة الحكيم؛ فيستوثق منهم قائلًا: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟﴾.

وهنا غلا الزبد المعربد مستنكرًا، وارتفعت حماسته إلى الذروة، وبدأ يطرح حوافز المعركة، ومسوغات القتال، وضرورة الاستعجال: ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾.

لكن هذه الحماسة الجياشة البالغة ما لبثت أن انطفأت شعلتها، وتهاوت جذوتها على مراحل الطريق: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

ومع أن ديدن بني إسرائيل النكول عن العهد، والنكوص عن الوعد، والتفلُّت من الطاعة، والتفرُّق في منتصف الطريق، والتولي عن الحق المبين، فقد خذلوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قبل: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٦].

إلا أن هذه الظاهرة هي ظاهرة بشرية على كل حال، في الجماعات والمجتمعات التي لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغًا عاليًا؛ فيحسن الانتفاع فيها بتجربة بني إسرائيل.

ولذلك؛ فهي سمة ينبغي للقيادة الراشدة أن تكون منها على حذر، وأن تحسب حسابها في الطريق الشاق الوعر؛ كي لا تفاجأ بها فيتعاظمها الأمر، فهي متوقعة في الجماعات التي لم تخلص من الأوشاب، ولم تطهر من هذه العقبات، ولم تصهر في بوتقة التربية الإيمانية العالية، الطويلة الأمد، العميقة التأثير.

وفي هذا الحوار الساخن بين القيادة البصيرة والمستعجلين الذين يريدون أن يزبِّبوا قبل أن يحصرموا، ويطيِّروا قبل أن يُرَيِّشوا؛ لحاجة في نفوسهم؛ فتسقط الأقنعة الزائفة، وتتهاوى الشعارات البراقة، ويتضح أن الملأ من بني إسرائيل يطلبون صيدًا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

إنهم اتخذوا شعار الجهاد والقتال في سبيل الله، وتحرير الوطن السليب، والذود عن الأعراض والأولاد سُلَّمًا.

أما دخيلة نفوسهم؛ فهي: أنهم يريدون الحكم والملك -كحركات الإسلام السياسي المعاصرة- ولا شيء غير الحكم، ولكنهم يريدون أن يأتي هذا الحكم عن طريق الدعاة إلى الله ؛ ليواروا سوآتهم أمام الناس، ويلزقوا عيوبهم بغيرهم كيدًا ومكرًا.

ويخطئ الملأ مرة أخرى عندما يتركون مقياس الدين، ويلجأون إلى مقاييس الطين؛ فينغضون رؤوسهم، ويلوون أعناقهم، ويجادلون نبيهم اختيار الله له: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾.

ولكن سرعان ما تتجلى حكمة الله في اصطفاء طالوت ملكًا، وأحقيته الذاتية في ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

إنه رجل اختاره الله ، وهذه تكفي؛ فاختيار الله ليس كاختيار البشر، إن الله زاده بسطة في العلم والجسم، وهذا بيان للناس أن القيادة الراشدة التي تسير بالناس نحو خلافة على منهاج النبوة هي القائمة على ميراث النبوة، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وسرعان ما يتجلى رسوخ طالوت في العلم: إنه اصطفاء الله ، فهو رباني يريد أن يربي جنده على صغار الأمور قبل كبارها؛ لأنه مُقْدِمٌ على معركة، ومعه جيش من أمة مغلوبة ومهزومة مرة بعد أخرى، وهو يواجه جيشًا قويًا، فلا بدَّ أن يسلِّح جنده بقوة كامنة تستطيع الوقوف أمام القوة الظاهرة الغالبة: إنها الإرادة التي تضبط الشهوات، وتكبح النزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الحاجات، وتؤثر الطاعات، فتجتاز الابتلاء بثبات، فلا بد للقائد الراشد أن يبلو إرادة جنده، وصمودهم وصبرهم.

وانظر كيف يختار طالوت هذه التجربة: إنَّ جنده عطاش، وأمامهم نهر؛ فهو يريد ابتلاءهم؛ ليعلم من يصبر معه ممن ينكص على عقبه، ويؤثر العافية الفانية: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [البقرة: ٢٤٩].

شربوا وارتووا، وحصلت المفاصلة والتميزُّ؛ لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقه وعاتقهم.

إذًا؛ فمن الخير ومن الحزم: أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة، لو كانوا فيهم ما زادوهم إلا خبالًا، والجيوش ليست بالعدد الضخم، والتلميع الفخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

وهكذا يتبين أن النيَّة الكامنة وحدها لا تكفي، ولا بدَّ من التجربة العملية التي تصقل المعدن؛ ليصلب العود قبل دخول المعركة.

ولكن هذا الخذلان لم يهز القائد بل مضى في طريقه.

ولم تكن هذه الغربلة المرة الأخيرة، بل تكررت التجربة: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إنهم لم ينكصوا، ولكنهم أمام واقع؛ يرون بأعينهم أنهم أضعف من مواجهته.

ولكنها التجربة الخاتمة: تجربة الاعتزاز بالله الذي لاغالب له، وهذا مقام لا يصمد له إلا من اكتمل إيمانه، وأصبحت له موازين يستمدها من واقع إيمانه غير الموازين التي يستمدها الناس من واقع حالهم.

وهنا برز دور الطائفة المؤمنة، القليلة المختارة ذات الموازين الربانية: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

غالبًا ما تكون الطائفة المؤمنة قليلة؛ لأن الرُّقِيَّ إلى القمة شاق يتساقط خلاله أهل النفاق حتى ينتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار، ولكن القلَّة تكون هي الغالبة؛ لأنها مرتبطة بالقوي العزيز الذي لا يذل من والاه، ولا ينتصر من عاداه، ولا يُضام من لجأ إلى حماه، ولن يضل من استضاء بهداه: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهذه القلَّة المؤمنة الثابتة لم تزلزلها كثرة العدو وقوته؛ لأنها هي التي تحسم المعركة بمواصلة عهدها مع الله ؛ لأنه وحده واهب النصر والحياة: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ١٠].

وكانت النتيجة التي ترقَّبوها واستيقنوها: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

ويؤكد النص حقيقة: أن النتيجة بيد الله وبإذنه ومن عنده؛ ليعلمها المؤمنون؛ فيزدادوا بها علمًا وثباتًا.

ويعود النص القرآني في لفتة بليغة سريعة؛ ليؤكد خطأ الملأ من بني إسرائيل الذين فصلوا بين أهل العبادة وأهل القيادة؛ فظنوا أن ما لله وما لقيصر لقيصر، ونسوا -أو تناسوا- أن كل شيء لله، فيبرز دور داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنه قتل جالوت، بينما لم يتمكن طالوت من ذلك وهو القائد الذي اختاره الله لقيادة بني إسرائيل؛ تنبيهًا للغافلين: أن أهل العلم والعبادة هم أهل القيادة، وأن عروتها لا تنفصم، ولا تقبل القسمة؛ إلا على سنن بني إسرائيل المغضوب عليهم: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقد كانت العبادة والقيادة في بني إسرائيل لأنبياء الله عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذين كانوا يسوسونهم بشرع الله جَلَّ جَلَالُهُ.

وحكمة طالوت التي أظهرها وهو يقود جنده إلى المعركة، فعلا بهم وارتفع حتى حقق بهم النصر على عدوهم بإذن الله ، هذه الحكمة التي تنبئ عن بسطة العلم التي حبا الله بها طالوت مأخوذة من سياسة نبي من أنبياء بني إسرائيل؛ وهو: يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ودونك تبيان هذا المقام؛ لكيلا تضل أفهام، وتزل أقدام، أو يبقى في نفوس تردُّدٌ أو إحجام.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال النبي ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء؛ فقال لقومه:**

لا يتبعني رجل مَلَكَ بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، وَلَمَّا يَبْنِ بها.

ولا أحد بنى بيوتًا، ولم يرفع سقوفها.

ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات[1]، وهو ينتظر ولادتها.

---

(١) هي النوق الحوامل، وقد يطلق على غيرها.

فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك؛ فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور الله م احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم.

فجمع الغنائم، فجاءت - يعني: النار - لتأكلها فلم تطعمها.

فقال: إنَّ فيكم غلولًا؛ فليبايعني من كل قبيلة رجل؛ فلزقت يد رجل بيده.

فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك.

فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده.

فقال: فيكم الغلول.

فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار، فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا؛ فأحلها لنا»[1].

أ- **أما** أن هذا النبي هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن الشمس لم تحبس إلا له؛ لقول رسول الله ﷺ: **«إن الشمس لم تحبس على بشر إلا يوشع ليال سار إلى بيت المقدس»**[2].

ب- **أما** أنه قبل طالوت، فنص القرآن يوكده: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ويوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ هو فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي دخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة بعد مرحلة التيه التي كتبت عليهم حيث لم يقاتلوا مع موسى.

ت- **أما** أن خطة طالوت مأخوذة من سياسة يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فظاهر أن يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر جنده أن يخرج منهم من كان قلبه متعلقًا بالرجوع والخنوع؛ لأن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع عند اللقاء، والجبن عندما يحمى الوطيس؛ حبًّا في

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٤).

(٢) حديث صحيح: كما بينه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٢٠٢)، وفيه بحث نفيس بين فيه ضعف ما خالفه، وانظر «الضعيفة» (٢/ ٣٩٥-٤٠٢).

البقاء، ومن كان كذلك؛ فهو بذرة ضعف، وثغرة يتسلَّل منها العدو؛ فلا بد من استئصاله من صفوف الجيش الزاحف.

وخطة طالوت لم تخرج عن هذه السياسة الشرعية؛ فهي ضمن قواعدها المرعية.

ث- خطة طالوت في مواجهة جالوت وجنده وجه لبسطة العلم التي حباه الله بها، وهذا العلم علمٌ موروث من الأنبياء، ولم يكن رأيًا، أو تقليدًا؛ فتبين أن العلم النافع والدواء الناجع هو ميراث الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولله در القائل:

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف جهالة
بين الرسول وبين رأي فقيه

وعودًا على بدء؛ فإن إبراز القرآن لدور داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في نهاية المعركة، وبيان حاله، وأنه كان ملكًا نبيًّا؛ هو: للدلالة على أن أهل العلم الأثري هم الذين ينبغي أن يقودوا الأمة إلى النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض بإذن الله ، وليعبد الله وحده، ويكون الدين كلُّه لله، ويكون الذُّلُّ والصغار على من خالف أمره.

وانظر - رحمك الله - إلى هذا الغبش في التصور الذي وقع فيه الملأ من بني إسرائيل، كيف قادهم في الخاتمة إلى الانحراف الكبير، والتولِّي يوم الزحف.

فليحذر النابهون هذا المزلق؛ فإنه من سنن بني إسرائيل؛ فإيَّاكم وإيَّاهم.

إن الحكم إلا لله

في هذه القصة تظهر بوضوح وتتبين بجلاء قضية الحكم والشريعة والتقاضي، وأنها لله وحده من قبل ومن بعد؛ لا للأهواء المتقلبة، أو المصالح المضطربة، أو للعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال، ولا يرجع إلى أصل ثابت في شرع الله ، وهذا من المعلوم ضرورة في كل الرسالات: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وهاتان الآيتان من سورة يوسف:

الأولى: قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والثانية: قول يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وكلاهما في تقرير ذلك في ملَّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي هي أصل الرسالات، وأُسُّ النبوات.

وتأمل هذه المواقف في قصة البقرة تستبن لك القضية بوضوح وجلاء:

أ- قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾؛ فالآمر الناهي هو الله .

ب- قول بني إسرائيل لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾، و﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾.

فالمُبيِّن لشرعه والموضح لمراده هو الله جَلَّ جَلَالُهُ.

ت- قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ . . .﴾.

فالقول الفصل؛ هو: قول الله ورسوله من قبل ومن بعد.

وهذه المسألة الإيمانية تقوم على جملة اعتبارات؛ منها:

١- أنها تؤسس على الإقرار بربوبية الله:

فهو الخالق الذي خلق كل شيء، وله ملك السماوات والأرض وما بينهما: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو الرزاق؛ فهل يملك أحدٌ أن يرزق نفسه أو غيره:

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٧ و ٥٨]؟

وهذا يقتضي أن يكون الحكم له وحده لا شريك له؛ لأن موجبات العبودية؛ أعني: الخلق والرزق؛ تستلزم أن يُعبد الله وحده، وأن يكون الحكم لله وحده: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

٢- الأفضلية المقطوع بها لدين الله على قوانين البشر:

هذه الأفضلية التي يشير إليها قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

٣- من المعلوم بداهة لذوي العقول السليمة وأولي الفطر المستقيمة:

أن الصنعة لا تجعل لنفسها بنفسها قانونًا تسير عليه؛ وتتحرك إليه، إنما الذي يضع لها ما لها هو صانعها الذي ابتدعها وأبدعها.

ولذلك؛ فمن الجهل أن يتصور الإنسان أن بمقدوره أن يجعل لنفسه سننًا يسير عليها لا تحيد، ولا يأتيها النقص من أطرافها، أو يتولد الخلل من أنصافها، أو لا يكون العجز من أكبر أوصافها.

ومن ذلك؛ أنه لا بدَّ من الرجوع إلى شرع الله الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلح الإنسان وما يصلح عليه حاله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٤- مَنْ قَدَّر الشريعة حقَّ قدرها علم أن مبناها على الحِكَم ومصالح العباد في الدنيا والآخرة:

فهي عدل الله بين عباده، ورحمته في خلقه؛ فمن استقام عليها نال حياة القلوب، وظفر بِقُرَّة العيون، واعتصم بالعروة الوثقى؛ لأنها العصمة من كلِّ شرٍّ، والسبب في كلِّ خير، وكلِّ نقص في العالم؛ فسببه من إضاعتها.

وعجبي لا ينقضي من قوم هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا: لا يرون تمام الترقي إلا في العيش على فتات موائد الكفار وعبدة الأصنام؛ لظنهم أنهم بلغوا الغاية القصوى في التمدُّن والتَّرقي، وتناسى هؤلاء أن الكفار قَصَرُوا نظرهم على الدنيا؛ فهي أكبر همهم، ومبلغ علمهم: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦ و ٧].

هؤلاء يؤذون أنفسهم وأمتهم؛ لأنهم بدَّلوا نعمة الله نكرًا، وأحلوا قومهم أخس المنازل؛ فينبغي الأخذ على أيديهم بالتي هي أحسن للتي هي أقوم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إن الله -تبارك وجَلَّ جَلَالُهُ- لم يحوجنا إلى شيء من الكتب الإلهية السابقة، بل نَحَلَنا كتابًا مُفَصَّلًا لكلِّ شيء على علم من الله جَلَّ جَلَالُهُ فكيف يحوجنا الله جَلَّ جَلَالُهُ إلى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وأحوالهم وسياساتهم؟! حاشا لله! ومعاذ الله !

وهذا من كمال أمة الإسلام وفضلها على من قبلها من الأمم؛ فإنها لكمال نبيِّها وكمال شريعتها لا تحتاج إلى أمر خارج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما عصمة الناس، وقوام العالم، وقطب السعادة في الدنيا والآخرة... فهل من مُدَّكِرٍ؟

ومن ثَمَّ مَنْ يستطيع أن يدَّعي أنه أعلم من الله بحال الناس، أو أحكم من الله في تدبير شؤونهم، أو يدَّعي أن أحوالًا وحاجات جرت في حياتهم، وكأن الله جَلَّجَلَالُهُ لا يعلمها وهو يُحَكِّمُ شريعته ويتمُّ نعمته، أو كان عالمًا بها ولكنه لم يشرعها؟

وهذا يشير إليه قول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

لأن شواهد أفضلية دين الله على قوانين البشر لا يحصيها عَدٌّ، ولا يحصرها حدٌّ، ولكنها تتكشف على مرِّ العصور وكرِّ الدهور، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء.

ومن ذلك:

أ- أن دين الله شامل متكامل ينتظم جميع أحوال الناس وينظم حياتهم، ويتناول بالتنظيم والتوجيه والرعاية كل جوانب حياتهم في كلِّ صورها وأشكالها وألوانها، فهو لم يدع شاردة ولا واردة في حياة البشر إلا أحصاها، وأودعها في إمام مبين.

وهذه الحقيقة يدركها حتى أعداء الله ؛ فقد قال المشركون لسلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **«قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء؛ حتى الخراءة»**[1].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

ب- وهو دين يقوم على علم الله الذي خلق هذا الكائن البشري، وخلق هذا الكون الذي يعيش فيه؛ فشرع له منهجًا ربانيًّا إن اختاره الإنسان سلك طريق العبودية التي استقام عليها هذا الكون.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢).

ت- وهو دين متناسق مع سنن الله في الوجود؛ لأنه دين ارتضاه مَنْ خلق هذا الكون: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

ث- وهو الدين الذي يتحرر به الإنسان من العبودية لغير الله .

ففي كل مناهج البشر يتعبد الناسَ الناسُ، ويعبدُ الناسُ الناسَ، أما في دين الله فيخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إن حكم الجاهلية ركام من أهواء البشر وعجزهم وقصورهم: سواء أكان الذي يشرع فردًا لجماعة أم طبقة لسائر الطبقات، أم جميع الطبقات وجميع القطاعات لأنفسهم[1]؛ لأنه أهواء الناس الذين لا يتجردون من الأهواء أبدًا؛ ولأنه جهل الناس الذين لا يتجردون من الجهل أبدًا؛ ولذلك؛ فإن الحكم بغير ما أنزل الله شرٌّ وشقاء، وفساد وضنك لا ريب فيه.

ومن أصدق من الله قيلًا: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

(١) كما في المنهج الديمقراطي الرأسمالي، وقد نقضت أصوله، وبينت عواره، وشرحت سوء آثاره وأخطاره في كتابي: «نقض الديمقراطية وتهافت الإسلاميين»؛ يسر الله نشره على خير وبركة.

الاستهزاء برسل الله
وإيذاء أنبيائه عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

لقد كان جواب بني إسرائيل لنبيِّهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أخبرهم بأمر الله أن يذبحوا بقرة غاية في السفاهة، ونهاية في سوء الأدب، واتهامًا لنبي الله الكليم الكريم: بأنه يسخر منهم! ويهزأ بهم! ويتلاعب فيهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ [البقرة: ٦٧].

إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لاقى صنوفًا من الأذى على يد بني إسرائيل؛ حتى أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ذكره في كتابه:

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وأخبر عنه رسول الله ﷺ في سنته حيث قصَّ علينا رسول الله ﷺ أنموذجًا من هذا الأذى الذي ألحقه بنو إسرائيل بنبي الله الكريم الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ موسى كان حييًّا ستِّيرًا، لا يرى من جلده شيء؛ استحياءً منه (وفي طريق: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة؛ ينظر بعضهم إلى سوأة بعضٍ، وكان موسى يغتسل وحده)، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: [والله] ما يستتر هذا التَّستر إلَّا من عيب بجلده؛ إمَّا برص وإمَّا أدرة[1]، وإما آفة (وفي رواية: ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنَّه آدر)، وإن الله أراد أن يبرِّئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ؛ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول:**

(١) هو انتفاخ في الخصيتين!!

ثوبي[يا] حجر! ثوبي[يا]حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ، (وفي رواية: حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى)، [فقالوا: والله ما بموسى من بأس]، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه».

[قال أبو هريرة]: فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا (وفي طريق: ستة أو سبعة)، فذلك قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾[1] [الأحزاب: ٦٩].

لقد عاش موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيل حالات إيذاء ما بعدها من إيذاء.. ألحقوا به الأذى وهم يعلمون أنه نبيٌّ مرسل وكليم مقرَّب: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾[الصف: ٥].

إن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل .. مجرد التعامل معهم عنت وأذى.. تستوي فيه الشؤون العقيدية والأمور الدنيوية .. فكل من عمل في أمر له صلة بهم أو تعتدى لشأن يخصهم لا بدَّ أن يلحقه أذاهم، ويمتدَّ إليه شرُّهم، ولو كان نبيًّا مرسلًا؛ وهذا ما أكده رسولنا الكريم ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لما كان يوم حنين؛ آثر رسول الله ﷺ ناسًا في القسمة؛ فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب، وآثرهم -يومئذ- في القسمة، قال رجل [من الأنصار]: والله ؛ إن هذه القسمة ما عدل فيها! وما أريد بها وجه الله !!قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨و ٣٤٠٤و ٤٧٩٩)، ومسلم (٣٣٩ و ١٨٤٢).
جميع الروايات والزيادات في الصحيحين أو أحدهما.

ﷺ؛ قال: فأتيته [وهو في أصحابه]؛ فأخبرته: (وفي رواية: فساررته) بما قال[1]، قال: فتغير (وفي رواية: فتمعر وجهه؛ حتى كان كالصِّرف (وفي رواية: فغضب من ذلك غضبًا شديدًا، واحمر وجهه) [حتى تمنيت أني لم أذكره له]، ثم قال: «**فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!**» قال: ثم قال: «**يرحم الله موسى؛ قد أوذي بأكثر من هذا؛ فصبر**».

قال: قلت: لا جرم، لا أرفع إليه بعدها حديثًا[2].

وما زالت أسفارهم المحرفة تنضح بالأذى لنبي الله الكليم الكريم:

فقد زعموا: بأن الرب أمر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسرقة أموال المصريين: «أن يتكلم في مسامع الشعب، وأن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها: أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين، وأيضًا الرجل موسى كان عظيمًا جدًّا في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب»[3].

ثم نسبوا إليه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة ذهب وثيابًا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين»[4].

---

(١) فيه جواز نقل الأخبار للغير إذا كان ذلك بقصد النصيحة، وليس الإفساد، مع تحري الصدق واجتناب الأذى، وقلَّ من ينتبه إلى هذا. وأما من يخشى عدم الوقوف على ما يباح من ذلك مما لا يباح؛ فطريق السلامة له الإمساك عن ذلك؛ انظر: «الفتح» (١٠/ ٤٧٦).

وقد بوَّب الإمام البخاري في «صحيحه» (١٠/ ٤٧٥) على هذا الحديث: «باب ما أخبر صاحبه بما يقال فيه».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٦٠٢) واللفظ له.

والروايات والزيادات من الصحيحين أو أحدهما.

(٣) «سفر الخروج» (١١/ ٣و٢).

(٤) «سفر الخروج» (٣٢/ ١٠ – ١٢).

«وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى؛ طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهبًا، وثيابًا، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعروهم؛ فسلبوا المصريين»[1].

إذا كانت هذه صورة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في عيون اليهود، وهو نبيهم باعترافهم، والذي أخرجهم من الاستعباد والذل والقهر إلى الحرية والأمان والرخاء والسعادة.. فما بالك بغيره من الرسل والأنبياء؟!

إن رسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في نظر اليهود عصابة أشرار:

١- نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَعُدُّ اليهود شيخ الأنبياء نوح العبد الصبور الشكور -عليه الصلاة وأتم التسليم- أنه كان سِكيِّرًا: يشرب الخمر، ويتعرَّى في خبائه؛ حتى يرى ولده الصغير عورته؛ فيخبر أخويه ساخرًا:

«وابتدأ نوح يكون فلاحًا، وغرس كَرْمًا، وشرب منه الخمر، فسكر وتعَّرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجًا، فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصروا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك إله سام، وليكن كنعان عبدًا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدًا لهم»[2].

هكذا ينتحل اليهود القصص الكاذبة، ويُزَوِّرون العقائد الباطلة، ويمتهنون الأنبياء لخدمة مخططاتهم السياسية .. لقد اخترعوا هذه القصة الباطلة سندًا ومتنًا؛ ليظهروا الكنعانيين -سكان فلسطين الأصليين -بأنهم سلالة أب ملعون على لسان أبيه، وأن

---

(١) «سفر الخروج» (١٢/ ٣٥ و ٣٦).

(٢) «سفر التكوين» (٩: ٢٠ - ٢٧).

أحفاده سيكونون عبيدًا لذرية إخوانه وخاصة الساميين الذين ينتسب إليهم اليهود . .
فخلاصة هذه القصة المزعومة: أن الكنعانيين يجب أن يكونوا عبيدًا لليهود، وَخَدَمًا لبني إسرائيل!

ومما يدل على أن القصة مزوَّرة ومفبركة لأجل هذا الغرض السياسي: أن الذي أبصر عورة أبيه هو(حام)؛ كما في النص السابق ..فلماذا يلعن ابنه كنعان مع أن لحام أبناء آخرين غير كنعان كما قال اليهود أنفسهم: «وبنو حام: كوش، ومصرايم، ونوط وكنعان».

فلماذا خُصَّ كنعان من بين إخوته باللعن؟

ما ذلك إلا لحاجةٍ سياسية في نفوسهم؛ وهو: لعن الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين وأعدائهم التاريخيين بالافتراء على الله ورسله!

٢- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وأما جَدُّ الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ينتسبون إليه، ويَدَّعون أنهم أبناؤه وأحباؤه؛ فيزعمون: أنه كان ديوثًا – وحاشاه- يدفع زوجته سارة –وحاشاها –إلى الفاحشة في سبيل الحصول على الهدايا والعطايا:

«وحدث جوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر؛ ليغترب هناك؛ لأن الجوع في الأرض كان شديدًا، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فسيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته؛ فيقتلونني، ويستبقونك؛ قولي: إنك أختي؛ ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل إبرام مصر: أن المصريين رأوا المرأة حسنة جدًّا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون؛ فصنع إلى إبرام خيرًا بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة إبرام، فدعا فرعون إبرام وقال: ما الذي صنعت بي؟

لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: إنها أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ ولأن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالًا؛ فشيعوه وامرأته وكل ما كان له»[1].

وهكذا ينسجون حكايات هلامية، ذات أهداف ظلامية، وغايات إجرامية: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يستخدم النساء -وحاشاه- لتحقيق أهدافه، ويأذن لامرأته بالبغاء للوصول إلى غاياته؛ ليسوغوا حرب اليهود على الإنسانية والأخلاق والقيم، القائمة على الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض وبيع النساء، ففي بروتوكولات بني صهيون نجد حثًّا كبيرًا للنساء اليهوديات على نشر الرذيلة وترويج البغاء، وأن لها أن تتصرف في جسدها كما تشاء .. وما ذاك إلا لأنهم يعلمون أن سلاح الجنس يضمن سيطرته في كل الأزمان ومختلف الأمكنة، ولذلك يمكن الاعتماد عليه لكسب الجولة الأخيرة في وضح النهار وتحت الأضواء الكاشفة ... فاليهود أشهر من استخدم هذا السلاح تاريخيًا .. وأفضل من يوظفه حاليًا ... وها هو أحد قادتهم الماسون؛ يقول: «كأس وغانية يفعلون بالأمة المحمدية ما لا يفعله ألف مدفع ودبابة».

ولذلك؛ فإن المرأة اليهودية أغرقت العالم بالشهوات؛ حيث تعيش فسادًا عريضًا، وانحلالًا واسعًا، وانحطاطًا هابطًا؛ بشهادة من نفسها على نفسها؛ ففي كتاب: «وجه المرأة» لياعيل دايان -ابنة موشي دايان- تتحدث عن الفتاة اليهودية؛ حيث أسهبت في وصف التجمعات اليهودية الداعرة، وشبهت المرأة اليهودية بالغانيات والجواري؛ قالت: «فالفتاة الإسرائيلية تستطيع أن تعيش مع أربعة وأن تعاشر عشرين، ولا يجوز أن يتشاجر اثنان من أجلها ... نحن نعيش اشتراكية كاملة مطلقة».

وها هي مدينة القدس: مدينة الطهر والسلام -بعد احتلالها- حيث أصبحت مسرحًا للدعارة، وماخورًا للبغاء؛ فقد غصت ببيوت الفجور التي تدار بإشراف حكومة

---

(١) «سفر للتكوين» (١٢: ٢٠).

اليهود، وتتوسع على سمعهم وبصرهم؛ مما يؤكد أن حكومة اليهود وأجهزتها تعدُّ أكبر راع لممارسة البغاء وتصدير الدعارة إلى جميع أنحاء العالم.

فهذه المرأة اليهودية تتاجر بجسدها، وتبيع عفتها من أجل إسرائيل الكبرى، ولذلك يعدُّ استخدام المرأة كوسيلة إغراء من الأعمدة الأساسية للسياسة اليهودية؛ فقد أكدت المقررات الماسونية التي نشرتها جريدة «التايمز» اللندنية عام (١٩٢٠م) على الدور المهم للمرأة اليهودية في إفسادهم للإنسانية، ففي المقرر التاسع: «..... ليس من بأس بأن تضحي الفتيات في سبيل الوطن القومي، وأن تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة؛ لأنها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل إلى أحسن النتائج، وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينقاد لهن».

وفي كتاب: «المرأة في إسرائيل بين السياسة والدين» للكاتبة باسمة محمد حامد براهين واضحة: أن الموساد يرى أن أجساد النساء أفضل وسيلة للإيقاع بالزعماء الخونة، وإسقاط العملاء من خلال حرب العاهرات[1].

وفي إحدى الوثائق الصهيونية السرية التي كتبتها (صلامون إسرائيل) وهو يهودي أظهر إسلامه عام (١٩٠٦م) نفاقًا؛ يقول: «أيها الإسرائيليون ...أيها الصهاينة: لا تحجبوا

---

(١) بينما كنت في المراجعة النهائية لهذا الكتاب؛ فجرت (تسيبي ليفني) -رئيسة وزراء دولة اليهود ووزيرة خارجيتها الأسبق- موضوعًا خطيرًا؛ باعترافاتها لجريدة «التايمز»: أنها أثناء عملها في جهاز الموساد قامت بعمليات خاصة أبرزها إسقاط شخصيات مهمة في علاقة جنسية بهدف ابتزازهم سياسيًا ولمصلحة الموساد.

وذكرت أنها مارست الجنس مع شخصيات من كبار القادة الفلسطينيين!!

جاء اعتراف (ليفني) بعد ما أباح أشهر حاخام يهودي (آري شفات) للنساء اليهوديات ممارسة الجنس مع الأعداء؛ لخدمة الكيان اليهودي، وقال: «الديانة تسمح بممارسة الجنس مع الإرهابيين من أجل الحصول على معلومات»(!!)

وللمزيد: ينظر مقال «حاخام إسرائيلي يبيح الجنس مع العدو مقابل جمع معلومات»؛ نشر بتاريخ (٤/ ١٠/ ٢٠١٠م) على موقع BBC العربية.

بناتكم وأخواتكم وزوجاتكم عن ضباط أعدائنا غير اليهود؛ لأن كل واحدة منهن تستطيع أن تهزم جيوشًا جرارة بفضل جمال أنوثتها، ومكرها الفريد، أدخلوا بناتكم ونساءكم قصور وبيوت زعماء رؤساء أعدائكم، ونظموا شبكات جاسوسيتنا في جميع أجهزة الدول، ولا تنسوا أيها الإخوان: أن إفساد أخلاق وعقائد الأمة هو مفتاح فريد سيفتح لنا نحن الصهاينة جميع مؤسسات الأمم، شجعوا الإباحية والانحلال وجميع الفواحش بين الشباب، وأفسدوا إيمانهم وأخلاقهم؛ لكي لا تبقى عندهم ذرة من القيم الروحية.

وهذه العملية ستجعل العرب في درجة الهمجيِّين، بل سيضيِّعون جميع شيمهم وشهامتهم، وبعد هذا سنفرق شملهم نهائيًا»[1].

إنَّ حرب اليهود ضد العرب والمسلمين بالجنس اتخذت أبعادًا عديدة، وتشكلت في صور جديدة: لا يتصورها عقل، ولا يصدقها بشر؛ حيث تمتزج غريزة الجنس بعقدة القتل، فقد تحولت المنطقة إلى بغاء يُرَوِّج له قوَّاد محترف، ويديره عرَّاب عتيد: يربي وحش الجنس الهمجي في صدور الشعوب التي ضاعت على موائد الخونة والعملاء، ويغذيه بآلته الإعلامية حيث أعلن بعض مروجي تجارة الجنس في الدولة اليهودية: أنه يكسب من العرب مليارات الدولارات سنويًا من خلال تصدير المطبوعات العارية، أو شرائط وأفلام جنسية، أو منشطات، أو فتيات يذهبن إلى كل مكان في العالم العربي من المحيط إلى الخليج، حسب الطلب بالمواصفات العالمية المطلوبة.

وآخر ما أدخله هذا العرَّاب اليهودي الخبيث؛ هو: مكالمات الجنس الحي عبر الفضائيات(!)

٣ - لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) انظر مقالًا في مجلة «الجزيرة» (العدد ١٧١) بعنوان: «المرأة الإسرائيلية سلاح فعال ضد العرب».

وأما لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فينسبون إليه أنه ارتكب جريمة الزنا مع بناته؛ فشرب الخمر حتى فقد وعيه، وزنى بابنته الكبرى التي أنجبت ولدًا اسمه: (مؤاب)، والصغرى التي أنجبت ولدًا اسمه: (بن عمون).

«وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل، وابنتاه معه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ،وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرًا، ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة -أيضًا-، فادخلي فاضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة -أيضًا-، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنًا، ودعت اسمه: (مؤاب)؛ وهو: أب المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة -أيضًا- ولدت ابنًا، ودعت اسمه: (بن عمون)؛ وهو: أبو بني عمون إلى اليوم»[(١)].

وسبب افتراء هذه القصة:

١- الطعن في أعدائهم المؤابيين والعمونيين بأنهم أولاد زنا، وهذا ديدن يهود مع مخالفيهم، كما سيأتي في كلام الإمام ابن قيم الجوزية[(٢)].

٢- الترويج لزنا المحارم؛ فقد امتلأت كتبهم المحرفة بذلك، ومن ذلك:

- قصة اغتصاب أمنون بن داود أخته ثامار بنت داود[(٣)].

- قصة اقتراف يهوذا الزنا بزوجه ابنه ثامار[(٤)].

---

(١) «سفر التكوين» (١٩: ٣٠ - ٣٨).

(٢) انظر (ص ١١٠).

(٣) «صموئيل الثاني» (١١:١٣-١٤).

(٤) «التكوين» (١٥:٣٨-١٨).

- قصة راويين مع زوجة أبيه [١].

- بل زعموا: أن بشالوم بن داود زنى بزوجات أبيه بناء على أوامر الرب [٢].

٣- الغاية تسوِّغ الوسيلة؛ حيث زعم بعض أحبار اليهود: أن الهدف من وراء هذا الفعل لدى بنات لوط كان سليمًا؛ وهو: إنقاذ الجنس البشري من الاندثار، وليس الهدف ممارسة الفاحشة.

وكأن هذا اليهودي الخبيث يقول لبنات اليهود: ما دام الهدف ساميًا والمقصد عاليًا؛ وهو: قيام إسرائيل الكبرى؛ فإن جميع الوسائل متاحة وشريفة، ولو كانت مضاجعة أب أو أخ أو عمٍّ؛ لأنكن تنقذن إسرائيل الكبرى من الزوال والاندثار .

٤ - داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نسبوا إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنه رأى امرأة جميلة؛ فوقع في غرامها، وضاجعها؛ فحملت منه، ثم غدر بزوجها، فدبَّر قتله والتخلُّص منه، حتى يضمَّها إلى زوجاته:

«وأما داود: فأقام في أورشليم وقد أرسل جيشه بقيادة مؤاب ومعه الشعب الإسرائيلي للجهاد في سبيل الله ، ومقاتلة أعدائهم بني عمون، وكان في المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا، فأرسل داود رسلًا، وأخذها، فدخلت عليه، واضطجع معها، وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود؛ قالت: إني حبلى، فأرسل داود إلى مؤاب، فقال: أرسل إلى أوريا الحثي، فأرسل مؤاب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة مؤاب وسلامة الشعب، ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك، واغسل رجليك، وخرج أوريا من بيت الملك، وخرج وراءه حصة من عند الملك، وقام أوريا على باب بيت الملك مع جميع

(١) «التكوين» (٣٥:٢٢)، وانظر: «صموئيل الثاني» (١٦:٢١-٢٢).

(٢) «صموئيل الثاني» (١٦:٢٢).

عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لا تنزل إلى بيتك؟ قال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ساكنون في الخيام، وسيدي مؤاب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب! لا أفعل هذا الأمر.

وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى مؤاب، وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديد، وارجعوا من ورائه، فيضرب ويموت، ففعل ذلك مؤاب ومات أوريا الحثي، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رَجُلُها، ندبت بعلها، ولما وضعت المناحة، أرسل داود وضمها إلى بيته، وعزى داود بتشبع امرأته، ودخل إليها، واضطجع معها؛ فولدت ابنًا فدعا اسمه سليمان، والربُّ أحبه[1]، وأما الذي فعله داود؛ فقبيح في عين الرب» [2].

٥ – سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أما سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في نظر يهود؛ فهو ابن زنا، ثم رجل عبد لشهواته، ثم شيخ يجري وراء ملذاته: يجمع في قصره آلاف النساء الأجنبيات، حتى ملأن قلبه عشقًا، وألهينه عن الله ؛ فاتجه إلى غيره، وبنى لكل واحدة منهن مذبحًا للأوثان على التلال.

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: مؤابيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلوا إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان: أن نساء أملن قلبه وراء آلهته أخرى، ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشروت

(١) «صموئيل الثاني» (١١: ٢٤).

(٢) المرجع نفسه (١١: ٢٧).

إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الربَّ تمامًا كداود أبيه حينئذ بني سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر: أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب»[1].

بل لقد نسب العهد القديم إلى نبي الله سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شعرًا ماجنًا، وكلامًا داعرًا، وإليك أنموذجًا مما نُسِبَ إلى هذا النبي الكريم، وهو يتغزل بعشيقته:

«ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم! دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يَدَيْ صنّاع، سرتك كأس مدورة، لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك صرة حنطة مسيجة بالسوسن، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية، عنقك كبرج من عاج، عيناك كالبرك في حشبون عند باب بث ربيم، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق، رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل، ما أجملك! وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات! قامتك شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد، وحنكك كأجود الخمر»[2].

وهكذا ينقض يهود غزلهم أنكاثًا، ويخربون بيوتهم بأيديهم:

فإذا كان سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في نظرهم:

ابن زنا كما في قصة أبيه داود مع زوجة قائده أوريا الحثي!

---

(١) «سفر الملوك الأول» (١١ – ١: ١٠).

(٢) «سفر نشيد الإنشاد» (٧- ١ – ٩).

وينظر ما كتبه أنور السعدون في رسالته: «نشيد الإنشاد سفر الإباحة والإفساد»؛ حيث بين ما في هذا السفر من إفساد وإباحية ونشر للرذيلة باسم الرب.

ومن المقطوع به: أن صناع الأفلام الإباحية الداعرة اعتمدوا كثيرًا على هذا السفر الإباحي مما هو في ثنايا كتب اليهود المحرمة؛ كزنا المحارم ومضاجعة البهائم وغيرها.

وشيخ ماجن يجري وراء شهواته، وتتلاعب به النساء!

وترك عبادة الله وصبا إلى عبادة الأوثان التي أقام لها المعابد على كلِّ تلٍّ.

إذا كان سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما يصفون –وحاشاه– فأيُّ هيكل له يريدون بناءه؟!

إذًا سيكون هيكلهم المزعوم معبدًا للأوثان، وماخورًا للدعارة، وساحة للشيطان .. فاعتبروا يا أولي الأبصار!!

ولذلك؛ فإن الله لن يصلح عمل المفسدين[1]!

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ومن تلاعب الشيطان بالأمة البغيضة اليهود: أنهم يقولون بالقدح في الأنبياء وأذيتهم، وقد آذوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حياته، ونسبوه إلى ما برأه الله جَلَّ جَلَالُهُ منه، ونهى الله جَلَّ جَلَالُهُ هذه الأمة عن الاقتداء بهم في ذلك حيث يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[الصف: ٥].

وتأمل قوله: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾؛ فإنها جملة في موضع الحال؛ أي: أتؤذونني وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم؟ وذلك أبلغ في العناد.

وكذلك المسيح؛ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾[الصف: ٦].

---

(١) انظر (ص٦٧).

فهذا قليل من كثير من أذاهم لأنبيائهم، وأما أذاهم لهم بالقتل والبغي؛ فأشهر من أن يذكر، ولقد بالغوا في أذى النبي ﷺ بجهدهم بالقول والفعل، حتى ردَّهم الله جَلَّجَلَالُهُ خاسئين.

ومن قدحهم في الأنبياء: ما نسبوه إلى نص التوراة: أنه لما أهلك الله أمة لوط -لفسادها-، ونجّى لوطًا بابنتيه فقط؛ ظنَّت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلًا، فقالت الصغرى للكبرى: إن أبانا شيخ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسبيل البشر، فهلمي نسقي أبانا خمرًا ونضاجعه؛ لنستبقي من أبينا نسلًا! ففعلتا ذلك بزعمهم.

فنسبوا لوطًا النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أنه سكر؛ حتى لم يعرف ابنتيه، ثم وطئهما وأحبلهما وهو لا يعرفهما، فولدت إحداهما ولدًا أسمته: (مؤاب)- يعني: أنه من الأب -، والثانية سمت ولدها (ابن عمي) – يعني: أنه من قبيلها -.

وقد أجاب بعضهم عن هذا بأنه كان قبل نزول التوراة، فلم يكن نكاح الأقارب حرامًا! والتوراة تكذبهم؛ فإن فيها: إن إبراهيم الخليل خاف في ذلك العصر أن يقتله المصريون؛ حسدًا له على زوجته سارة، فأخفى نكاحها، وقال: هي أختي، علمًا منه بأنه إذا قال ذلك لم يبق للظنون إليهما سبيل.

وهذا أظهر دليل على أن تحريم نكاح الأخت كان ثابتًا في ذلك الزمان، فما ظنك بنكاح البنت الذي لم يشرع؛ ولا في زمن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ومن العجب: أنهم يجعلون المسلمين أولاد زنا، ويسمونهم: (ممازير)، واحدهم (ممزير) – وهو اسم لولد الزنا -؛ لأن شرعهم: أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت زوجًا غيره؛ فأولادهما أولاد زنا!.

وزعموا: أن ما جاءت به شريعة الإسلام من ذلك؛ هو: من موضوعات عبدالله بن سلام، قصد به أن يجعل أولاد المسلمين (ممازير) بزعمهم!

قالوا: وكان محمد ﷺ قد رأى أحلامًا تدل على أنه صاحب دولة، فسافر إلى الشام في تجارة لخديجة، واجتمع بأحبار اليهود، وقصَّ عليهم أحلامه، فعلموا أنه صاحب دولة، فأصحبوه عبد الله بن سلام، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة، ونسبوا الفصاحة والإعجاز الذي في القرآن إلى عبد الله بن سلام، وأن من جملة ما دبَّر عبد الله بن سلام: أن الزوجة لا تحل للمطلق ثلاثًا، إلا بعد أن ينكحها رجل آخر؛ ليجعل المسلمين (ممازير)- أولاد زنا -!

ولا ريب أن مثل هذا البهت يروج على كثير من حميرهم، وقد خلق الله جَلَّجَلَالُهُ لكل باطل وبهت حملة، كما جعل للحق حملة، وليس وراء هذا البهت بهت.

وليس بمستنكر من أمة قدحت في معبودها وإلهها، ونسبته إلى ما لا يليق بعظمته وجلاله، ونسبت أنبياءه إلى ما لا يليق بهم، ورمتهم بالعظائم: أن ينسبوا محمدًا - ﷺ وَبُجِّلَ وَكُرِّمَ وَعُظِّمَ - إلى ذلك.

وعداوته لهم، وملاحمه فيهم، وإجلاؤه لهم من ديارهم وأموالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم؛ معلوم غير مجهول .

وقد نسبت هذه الأمة الغضبية عيسى ابن مريم إلى أنه ساحر، ولد بغية، ونسبت أمه إلى الفجور!

ونسبوا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أن كان ملكًا ساحرًا، وكان أبوه عندهم ملكًا مسيحًا!

ونسبوا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أنه حلَّ تكة سراويله وتكة سراويل سيدته، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته، وأن الحائط انشق له، فرأى أباه يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عاضًا على أنامله، فلم يقم حتى نزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقال: يا يوسف! تكون من الزناة، وأنت معدود عند الله جَلَّجَلَالُهُ من الأنبياء؟! فقام حينئذ.

ومعلوم أن ترك الفاحشة عن هذا لا مدح فيه؛ فإن أفسق الناس لو رأى هذا؛ لولّى هاربًا، وترك الفاحشة.

وعند هذه الأمة الغضبية – أيضًا -: أن الله جَلَّجَلَالُهُ كان قد أطلع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفًا، وبه شق البحر، وعمل المعجزات! فيقال لهم؛ فإذا كان موسى قد عمل المعجزات باسم الله ؛ فلم صدقتم نبوته، وأقررتم بها وجحدتم نبوة عيسى، وقد عمل المعجزات بالاسم الأعظم؟!

فأجاب بعضهم عن الإلزام: بأن الله جَلَّجَلَالُهُ علَّم موسى ذلك الاسم، فعلمه بالوحي، وعيسى إنما تعلم من حيطان بيت المقدس!

وهذا هو اللائق ببهتهم وكذبهم على الله جَلَّجَلَالُهُ وأنبيائهم، وهو يَسُدُّ عليهم العلم بنبوة موسى؛ لأن كلا الرسولين اشترك في المعجزات والآيات الظاهرة، التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها، فإن كان أحدهما قد تعلمها بحيلة – أو بعلم -؛ فالآخر يمكن ذلك في حقه، وقد أخبرا جميعًا أن الله جَلَّجَلَالُهُ هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر؛ تفريق بين المتماثلين.

وأيضًا: فإنه لا دليل لهم على أن موسى تلقى تلك المعجزات عن الله جَلَّجَلَالُهُ؛ إلا وهو يدل على أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تلقاها –أيضًا- عن الله جَلَّجَلَالُهُ؛ فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وإن كان ذلك باطلًا؛ فهذا – أيضًا – باطل.

وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين –مع بعد العهد، وتشتت شمل أمّتيهما في الأرض، وانقطاع معجزاتهما-؛ فما الظن بنبوة من معجزاته وآياته تزيد على الألف؟ والعهد بها قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرنًا بعد قرن، وأعظمها معجزة: كتاب باق، غض طري لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن؛ وهو: القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به؛ كأنه كان يشاهده عيانًا؟!!» [١]

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢ / ٣٤١- ٣٤٧) بتصرف.

إن أنبياء الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بريئون مما نسبته إليهم هذه الأمة التي غضب الله عليها ولعنها، ولسنا بحاجة إلى إثبات ذلك؛ فهو أمر من لباب مسائل الاعتقاد في الإسلام؛ فمن نسب شيئًا من ذلك أو أدنى منه إلى أحد من أنبياء الله ؛ فهو مشرك بالله حلال الدم.

لكننا ذكرنا شيئًا من ذلك؛ لننبه من أصيب بعمى الألوان، وأصبح بوقًا للإعلام الصهيوني، ويجري وراء السراب اليهودي؛ فتنكر لدينه، وانسلخ من أمته، وصار سوطًا مسلطًا على شعبه قمعًا وترويعًا .. لنقول لأمثال هؤلاء:

إذا كانت نظرة اليهود لرسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما سمعتم!

وصورة أنبياء الله عند الصهاينة ما رأيتم!!

فهل تعتقدون: أن لكم عندهم أدنى منزلة أو قيمة أو أنهم سيحولون بينكم وبين أمر الله إذا جاء؟!

فاعتبروا يا أولي الأبصار.

سياسة الخداع ودبلوماسية الإقناع
عند بني إسرائيل -القضية الفلسطينية أنموذجاً-

تكشف قصة بقرة بني إسرائيل عن النفسية اليهودية المريضة المجبولة على المكر والخداع، والهروب من كلِّ المسؤوليات الملقاة عليهم، والواجبات المطلوبة منهم؛ بأسلوب التفاوض الذي يتمحور على سياسة الخداع، ويتمركز على دبلوماسية الإقناع.

هذا الفن الذي ابتدعوه حيث يتضح بجلاء: أن هذه الاستراتيجية اليهودية ضاربة في عمق الزمن، ومتجذرة في نفوس الجيل الأول من اليهود حتى يقاتل آخر هذه الأمة الإسلامية المسيح الدجال وأتباعه من اليهود.

وحتى نفهم النفسية اليهودية عند التفاوض، وندرك طرائقهم التي يسلكونها عند ممارسة هذا الخداع؛ لا بدَّ من الوقوف على ممارساتهم مع:

أولًا: الطرف الآخر:

١- محاولة إقناع الطرف الذي يفاوضونه: أنه ليس له حقٌّ في طرحه، وليس عنده برهان على قوله.

وهذا إجراء واضح في رميهم نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بفضول القول، ولغو الكلام؛ حيث زعموا: أن نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ يتهوَّس كتهوُّسهم، ويلعب كلعبهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾؛ أي: ليس لك مرجعية في عرض فتواك، ولا برهان على دعواك؛ فأنت تهزأ بنا، وتسخر منا، وتضحك علينا، وتتلاعب بنا؛ لأن هذه صفة المستهزئ، وسمة العابث، وخطة الضحوك اللعوب!!

وهذا الإجراء المراد منه:

- تشكيك الطرف الآخر في نفسه.

- وفي قضيته.

- وفي حجته.

ومن ثمَّ جعله قلقًا:

- ليفقد توازنه.

- ويخسر المعركة من الجولة الأولى.

٢- عدم الاعتراف بالمشترك بينهم وبين الطرف الآخر:

وهذا موقف واضح في قولهم لنبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾... فكأنهم لا يعترفون بالله ربًّا لهم ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بل هو رب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذه بداية التملُّص بأسلوب اللَّف والدوران في حلقه مفرغة لا توصل إلى نهاية؛ لأنه ليس لها بداية، ولا تحقق غاية؛ لأنه ليس لها مرجعية ولا راية!!

وهذا الموقف يراد به:

- التخلُّص من أدنى استحقاق عليهم.

- والتملُّص من أقلِّ واجب يلزمهم.

ودليل ذلك بوضوح: موقفهم مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما طلب منهم دخول الأرض المقدسة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤][1].

---

(١) ومما يستنبط من هذه الآية، وله علاقة وثيقة بقضية فلسطين المسلمة: أن اليهود لا يمكن أن يسكنوا بلدًا شعبه متجذر فيه، راسخ على روابيه، ولذلك؛ فهم حريصون على تفريغ فلسطين المسلمة من أهلها، وتهجير سكانها؛ بكل أنواع الترهيب والترغيب.

واليهود في فلسطين السليبة لا يخفون قلقهم من النمو السكاني لمسلمي فلسطين؛ فإن فرائصهم ترتعد من (القنبلة السكانية للعرب المسلمين) . . وهذا واضح في مطالبتهم بـ(يهودية الدولة)؛ أي: إخلاء فلسطين المسلمة من سكانها العرب المسلمين. =

٣- إغراق الطرف الآخر في متاهة المفاوضات، وإشغاله بتفاصيل الجزئيات:

وهذه الخطة الماكرة لا تخفى على المتأمل في مقاصد قصة بقرة بني إسرائيل، الناظر في فقهها.

فبنو إسرائيل سألوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فالمنتظر منهم: أن يتلقوا أمره بالتطبيق؛ لكنهم دخلوا في مفاوضات، ثم أكثروا من التركيز على تفاصيل الجزئيات، والتعلق بالشكليات.

ثانيًا: القضية:

١- التركيز على المظهر دون الجوهر:

المتأمل في جواب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أسئلة قومه: أنها دائمًا تبدأ بـ ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾؛ لأن هذا هو جوهر القضية؛ فالله جَلَّ جَلَالُهُ أمرهم بذبح بقرة؛ لتتضح القضية؛ من جميع جوانبها، وتظهر كلُّ أبعادها، لكن قومه كلما رأوا أنهم اقتربوا من جوهر القضية فرُّوا كأنهم حُمُرٌ مستنفرة إلى مواضيع لا صلة لها بالجوهر؛ وهي -على أحسن أحوالها-: مظهريّات لا تقدم ولا تؤخر، وشكليات لا تضر ولا تنفع.

٢- تركيزهم على جوانب غير رئيسة، وابتعادهم عن القضية الأساس.

ركز بنو إسرائيل على قضية القتل وكأنها القضية المركزية في القصة، وإنما قطب الرحى في هذه القصة، ومربط الفرس بها؛ هو: البقرة وصاحبها الذي كان يملكها، وذلك لعدة أمور؛ منها:

أ- ليظهر لنا كمال القدرة الإلهية، ومطلق المشيئة الربانية؛ فلا يكون إلا ما أراد الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

= ولذلك؛ فإن تثبيت مسلمي فلسطين المغتصبة في ديارهم وعلى أرضهم، -خاصة في القدس الشريف- من أخطر ما يقلق اليهود، وأعظم ما يساعد على خروجهم صاغرين -إن شاء الله - من فلسطين المسلمة.

ب- أن جميع الأحداث تصنع؛ لتكون في نهايتها خادمة للقضية الدينية؛ حيث أن أهل الفساد والعناد والمكر والاستكبار لا يحققون شيئًا من ذلك، وإنما تكون نتيجة ذلك خيرًا عظيمًا لأولياء الله المتقين.

وهذا ظاهر في قصة البقرة حيث احتاج بنو إسرائيل في النهاية لصاحب البقرة؛ وهو: الغلام البار؛ فأعطوه حتى أرضوه، وهم كارهون.

وهذه مسألة نبه عليها الله جَلَّجَلَالُهُ في مواضيع كثيرة من كتابه العزيز؛ منها:

أ- أن هذا الدين سينتشر ويزدهر وينتصر رغم أنوف الكفار: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨ و ٩].

ب- أن الله سيتولى إبطال كيدهم وإفساد مكرهم: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

هذه خلاصة مركزة لسياسة الخداع ودبلوماسية الإقناع عند اليهود من بدايتهم إلى يومنا هذا.

ومن نظر في المفاوضات التي تجري بينهم وبين الفلسطينيين يجدها لا تتعدى ما ذكرنا قيد أنملة؛ فهم:

١- يتقنون فن التسويف والمماطلة، ويمتهنون أسلوب الاعتراض والمغالطة؛ حتى يجعلوا خصمهم يصاب باليأس، ويشعر بدوار الرأس، فتجتاحه السآمة، ويدمدم في كيانه الضجر والندامة؛ ليقول: أين المفر؟!

٢- حرصهم على إبقاء القضية في غموض وضبابية:

وهذا واضح في قضية الدولة الفلسطينية القابلة للحياة؛ فهم لا يعترفون بحدود واضحة . . ولا بسيطرة كاملة . . ولا بصلاحيات تامة . . فهي قضية في غموض . .

تزداد كل يوم إبهامًا فوق إبهام . . وخريطة الطريق إليها يملؤها الضباب . . ولذلك؛ فالرؤية معدومة!

٣- قدرتهم على خلق الأزمات أثناء المفاوضات؛ لإبقاء القضية تراوح مكانها:

ولذلك اخترعوا قضية الاستيطان؛ فصارت هي الأزمة التي طغت على القضية الأساس!

قال (إسحاق شامير) -رئيس وزراء اليهود الأسبق- عشية مؤتمر مدريد (١٩٩٠م): «إنه يستطيع التفاوض مع الفلسطينيين لمدة (٦٠) سنة دونما نتيجة».

وأطلق (نتنياهو) -رئيس وزراء اليهود الحالي- شعارًا في حملته الانتخابية: «إذا أعطوا أخذوا، وإن لم يعطوا لن يأخذوا» [(١)].

وها هو اليوم يتبجح بعبقريته، و يتمجَّح بمهارته؛ وهو: يطرح الشروط التعجيزية على الفلسطينيين بوجوب الاعتراف بيهودية الدولة؛ ليتخلص من جميع الاستحقاقات التي لزمته، ويتملص من جميع الواجبات عليه، ويصفي الوجود العربي الإسلامي في فلسطين المحتلة.

وهذا ما يؤكده (إيهود باراك) -رئيس دفاع دولة اليهود الأسبق- بقوله: «إن دولة إسرائيل لن تكون فقط بين نهر الأردن والبحر المتوسط»[(٢)].

وهذا ما قرَّره العزيز الحميد منذ زمن مديد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ

---

(١) لقد كشفت الوثائق السرية للمفاوضات التي نشرتها (الجزيرة) و (ويكيلكس): أن اليهود أخذوا كلَّ شيء، ولم يعطوا الفلسطينيين أيَّ شيء!!

(٢) انظر كتابي: «أفيقوا يا أهل الأردن! . . بلادكم أرض الحشد والرباط».

كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء: ٤٩-٥٣].

وهكذا انهارت المفاوضات، وفشلت عملية السلام؛ باعتراف صائب عريقات كبير المفاوضين الفلسطينيين لـ (وكالات الأنبياء العالمية)؛ حيث صرح في (٣٠/ ١٠/ ٢٠١١)؛ قائلًا: «إن الحكومة الإسرائيلية باستمرارها ببناء الاستيطان، ورفض مبدأ الدولتين على حدود (١٩٦٧م)؛ تتحمل مسؤولية انهيار عملية السلام؛ لأنها حكومة اختارت المستوطنات لا المفاوضات».

فلو أدرك المسلمون عامة والفلسطينيون خاصة هذه الاستراتيجية اليهودية؛ كما فصَّلها القرآن الكريم؛ لأراحوا أنفسهم، واستراحت شعوبهم، وعرفوا -جميعًا- خارطة الطريق الإسلامي إلى تحرير فلسطين، وإنقاذ الأقصى الحزين... وذلك قادم -إن شاء الله - لا محالة... ولتعلمن نبأه بعد حين! [1].

قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠٤].

(١) انظر كتابي: «بذل المجهود في مرويات قتال اليهود».

أمر الله تثبيت لا تشتيت

لـمّـا سأل بنو إسرائيل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الفصل في أمر القتيل؛ قال لهم نبيهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾؛ فنسب الأمر إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ يريد بذلك عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أن يُثبِّت قلوبهم؛ فلا تتشتَّت آراؤهم؛ لأن نسبة الأمر إلى الله فيه قداسة عظيمة تلقي في العقول إجلالًا، وفي القلوب مهابة، وتربط عليها، وتثبت بها الأقدام.

وتأمل هذه المواقف الجليلة في حياة الصحابة ﷺ تجد صدق ما أنبأتك به:

١- لما تخلَّف كعب بن مالك وصاحباه ﷺ في غزوة تبوك، ثم تاب الله عليهم؛ ليتوبوا، وأنزل فيهم قرآنًا؛ قال كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «. . فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، فنزعت له ثوبيَّ؛ فكسوتهما إياه؛ ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرت ثوبين، فلبستهما، فانطلقت أتأمَّم[1] رسول الله ﷺ، يتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئوني بالتوبة، ويقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس؛ فقام طلحة بن عبيدالله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ؛ قال -وهو يبرق وجهه من السرور-؛ ويقول: «**أبشر بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك**» قال: فقلت: أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ فقال: «**لا بل من عند الله**»[2].

---

(١) أقصد.

(٢) جزء من حديث المخلفين: أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وانظر للاستزادة -تكرمًا- كتابي: «إتحاف السالك بفوائد حديث المخلفين من رواية كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

فها أنت ترى أن كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عندما علم أن توبته من عند الله مباشرة سكن فؤاده، وقوي على الله اعتماده واستناده، وتحرك حادي الإيمان حتى أراد أن يخرج من جميع ماله! فقال: «يا رسول الله ؛ إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة . .».

٢- وهذه عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لما ابتليت بحادثة الإفك، ثم أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات؛ جاء رسول الله ﷺ يبشرها: وهو يضحك؛ فكانت أول كلمة تكلم بها ﷺ أن قال: «**يا عائشة، أما الله ؛ فقد برَّأك**»، قالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه؛ فإني لا أحمد إلا الله جَلَّجَلَالُهُ، هو الذي أنزل براءتي[1].

والعبد إذا استيقن أن الأمر من عند الله ازداد ثباتًا، وعلم أن الله لن يُضيِّعه؛ كما حصل لأمِّنا هاجر أمِّ إسماعيل عليها السلام: «. . ثم قفى إبراهيم منطلقًا إلى أهله، فتبعته أمُّ إسماعيل حتى لما بلغوا كَداء؛ نادته من ورائه، فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيِّعنا، ثم رجعت»[2]. وهكذا؛ فإننا نجد أن أمَّ إسماعيل عليها السلام لما علمت: أن الأمر من عند الله ؛ زادها ذلك تثبيتًا، وصرف عنها تشتيت الفكر الذي شغلها من قبل.

وكذلك؛ فإن العبد إذا استيقن أن الأمر من عند الله تحرَّكت حقائق الإيمان في نفسه، وتفاعلت؛ فازداد يقينًا، وهذا ما يؤكده هذا الموقف الإيماني بين مريم بنت عمران وزكريا عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ

(١) جزء من حديث الإفك: أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).
وانظر -تفضلًا- كتاب: «حديث الإفك» للإمام عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، بتحقيقي، ط دار غراس للنشر والتوزيع.

(٢) جزء من حديث طويل: أخرجه البخاري (٣٣٦٤ و ٣٣٦٥) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٧ و ٣٨].

مريم بنت عمران عليها السلام منقطعة في المحراب لعبادة ربها، وزكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كفيلها لا يفتأ يدخل عليها يتفقد أحوالها؛ فيجد عندها رزقًا متجددًا؛ فيسألها -وحُقَّ له أن يسألها -؛ ليطمئن على سلوكها، ويعرف مصدر ما يأتيها؛ فيقول: من أين لك هذا يا مريم؛ وأنت لم تبرحي مكانك، ولم يدخله أحد سواي؟! فتجيبه ببراءة المؤمنين المتقين: هو من عند الله ! ثم تذكر دليلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾.

عندما استيقن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صدق كلامها، وثبات جنانها، وعلم -وهو يعلم- أن الأمر كله من عند الله ؛ فعندئذ تجيش نفس زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يرى الفيض الإلهي يفيض على مريم عليها السلام وهي الفتاة التي لا حول لها ولا قوة، ويتحرك في أعماقه الشوق إلى الذرية، ويطمع أن يفيض عليه ربه من نعمائه؛ كما أفاض على هذه الفتاة التي يرعاها بتكليف من الله جَلَّجَلَالُهُ... فهي وإن كانت في رعايته، وتحت كنفه بأمر من الله ؛ فإن الله لم يكلها إليه، ولا إلى غيره، بل تولاها برزق يأتيها رغدًا بغير حساب... هنالك دعا زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه، وتوجَّه إلى مولاه بالدعاء، وهو على يقين: أنه لن ينساه؛ ولن يخذله، ولن يرده خائبًا... والله عند حسن ظن عبده به إذا ناداه: ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـًٔا ﴾ [مريم: ٢ - ٩].

وهكذا يتجلَّى سرُّ هذه المعادلة الإيمانية من قبل ومن بعد؛ وهو: أن الأمر من عند الله جَلَّجَلَالُهُ؛ فلا يعجزه شيء، ولا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه؛ فيثبت فكره، ويجتمع همُّه، ويُسدِّد رأيه، فلا يتشتَّت في مهاوي الظنون، ولا يتشعَّب في مهالك الوساوس.

وفي تأكيد هذه المسألة الإيمانية وردت جملة أحاديث صحيحة؛ منها:

عن زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الدنيا همَّه؛ فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له.**

ومن كانت الآخرة نيَّته؛ جمع الله له أمرَه، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[1].

وعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة همَّه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة.**

ومن كانت الدنيا همَّه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدِّر له»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣) بإسناد صحيح.

وانظر «الصحيحة» (٤٠٤ و٩٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) بإسناد ضعيف؛ لكنه جيد في المتابعات، وله شواهد من شواهد من حديث ابن عباس وزيد بن ثابت، فهو بهما حسن، وانظر «الصحيحة» (٩٤٩).

كثرة الأسئلة والاختلاف على الأنبياء
سياسة يهودية وفلسفة صهيونية

اختلاق الأسئلة وتشقيقها، وكثرة مراجعتها وتضييقها: طباع يهودية، ومن أبرز أخلاق الأمة الغضبية، وهذه السمات الرئيسة لطبيعة اليهود تبدو ظاهرة في مراجعاتهم الكثيرة مع نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لقد قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾، وهذا كاف لمن أراد الحقَّ؛ فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ هو نبيهم الذي قادهم في رحلة الخروج من مصر فرارًا من العذاب الأليم برحمة من الله ورعايته... وهذا الأمر ليس من عنده، ولا من كيسه، ولا من بنات أفكاره.. إنما هو من عند الله الذي أنقذهم من الاستعباد والذلّ والاستبداد والجهل... فكان جوابهم كلُّه سفاهة وجهالة؛ حيث اتهموا نبيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه يهزأ بهم، ويسخر منهم، وكأنهم في مسرحية هزلية أو تمثيلية فكاهية... ويلهم أيحقُّ لعبد يعرف الله ويقدره حقَّ قدره أن يجعل اسم الله مادة للمزاح والسخرية بين الناس: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾... فما كان من نبيهم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أعلمهم بربهم، وأتقاهم له؛ إلا أن يستعمل معهم أسلوب التعريض؛ ليوقظ في قلوبهم مقام التفويض؛ ويلجأ إلى التلميح؛ ليعودوا إلى الطريق الصحيح؛ فاستعاذ بالله ؛ ليردهم عن سفاهتهم، وبَيَّن لهم أن ما ظنوه به جهل لا يليق برسول كريم: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ... وفي هذا التنبيه كفاية لمن وفقه الله .. لكنها طبيعة التلكؤ، وسياسة الالتواء، وفلسفة التسويف تجتاحهم، وتدمدم في كيانهم؛ ليزدادوا سوء أدب مع الله ورسوله: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾... سؤال يَدُلُّ على أنهم لا يزالون يعتقدون أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يزال هازلًا فيما بيَّنَه لهم، هازئًا فيما أمرهم به.. تأمل قولهم: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ... فكأن الله جَلَّ جَلَالُهُ هو رب موسى وحده، أما هم فلا صلة لهم به.. وكأن هذه القضية التي فزعوا

إلى موسى من أجلها لا تعنيهم هم بل تعني موسى وربه.. ثم ارجع فِكْرَ التأمل مرة أخرى في سؤالهم حيث يسألون عن ماهيتها بطريقة الاستهزاء وسبيل الإنكار: ما هي؟ .. إنها بقرة .. ألم يقل لكم نبيكم هذا من بداية الطريق بدون تقييد ولا تعقيد... إنها بقرة... بقرة وكفى! لكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سلك معهم جادة أخرى كي لا يدخل معهم في جدل سفسطائي؛ فيجيبهم إجابة المعلم المربي بأسلوب حكيم لمن أراد الاستجابة: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ هذه صفتها وهذا سنها: لا هرمة، ولا شابة، بل وسط بين هذا وذاك . . قد بينت لكم: ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ إن كنتم صادقين... فكان حسبهم هذا لو كانوا جادِّين في تبرئة ذمَّتهم، وتنفيذ أمر ربهم .. لكن اليهود هم اليهود طبعوا على التعقيد، وابتدعوا منهج التضييق... ازدادوا عنادًا وتكبرًا: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ ... لقد شقَّقوا الموضوع؛ فَشَقَّ الله عليهم، وطلبوا التفصيل فجاءهم الجواب يروي الغليل ويشفي العليل: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ ... كان بإمكان أيّ: واحد منهم أن يأتي بأية بقرة فتجزئ عنهم وتحل قضيتهم؛ لكنهم ضَيَّقوا على أنفسهم دائرة الاختيار، فَضَيَّق الله عليهم، فلزمهم أن يبحثوا عن بقرة ذات مواصفات عالية، لا تقنع أيَّ فرد منهم، بل لا بدَّ أن يقنعوا جميعًا بذلك... وتمضي بنو إسرائيل في تكلؤ يتلوه تلكؤ فعادوا من حيث بدؤوا يسألون عن الماهية: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾... فكانوا كلما ضيَّقوا دائرة الاختيار ضَيَّق الله عليهم ... وكلما شقَّقوا أسئلتهم ضَيَّق الله عليهم.. فجاءهم الجواب بإضافة مقاييس جديدة وأوصاف عديدة: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لم تعد أي بقرة... إنها مواصفات عالية الجودة لن يجدوها في أي مكان، ومقاييس لن يحصلوا عليها في أي زمان... لن يجدوها إلا عند ذلك الفتى البار بوالده؛ فعوَّضه الله من برِّه لوالده: أن نتجت بقرة من بقره تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾.. الآن... ويحكم... وكأن ما مضى لم يكن حقًّا... وكأن كلَّ ما سمعتموه لم يكن صدقًا.. وكما افتروا

على الله ورسله أرادوا أن يفتنتوا على ذلك الفتى البار؛ فأتوه، فقالوا: بعناها، فقال: لا أبيعكموها، قالوا: إذًا نأخذها منك؟ قال إن غصبتموني سلعتي؛ فأنتم أعلم. فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: اذهبوا، فارضوه من سلعته، فقالوا: حكمك؟ قال: حكمي: أن تضعوا البقرة في كِفَّة الميزان، وتضعوا ذهبًا صامتًا في الكِفَّة الأخرى، فإذا مال الذهب أخذته... وهكذا يأبى الله إلا أن يستخرج أموالهم لبخلهم وشحهم دون رغبة منهم... أعطوا الفتى البارَّ ما أراد، وأقبلوا بالبقرة، حتى أتوا بها قبر الشيخ وهو بين المدينتين، واجتمع أهل المدينتين، وابن أخيه عند قبره يبكي ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، فَضُرِبَ بِبَعْضٍ لحمها القبر، فقام الشيخ ينفض رأسه؛ يقول: قتلني ابن أخي؛ طال عليه عمري، وأراد أخذ مالي: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾...ثم مات.

لكن هل لانت قلوبهم؟

هل رجعوا عن تلكئهم؟

هل تركوا تدليسهم وتلبيسهم؟

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

لقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عينًا فما لانوا!!

ورأوا الجبل عندما نتقه الله فوق رؤوسهم كأنه ظلة فما استجابوا!!

هذه طبيعة بني إسرائيل.. وهذه سياسة يهود.. إنها فلسفة صهيونية!!

هذه حقيقتهم... وتلك طبيعتهم... لم نقل ذلك تجنّيًا.. ولم نقرِّره تعديًا... وإنما هو واقع: يشهد عليه الشرع، ويبينه الصادق المصدوق:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: **«دعوني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء؛ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء؛ فأتوا منه ما استطعتم»**(١).

وعن أبي عمران الجوني؛ قال: كتب إليَّ عبد الله بن رباح الأنصاري: أن عبدالله بن عمرو؛ قال: هَجَّرت إلى النَّبيِّ ﷺ يومًا؛ قال: فسمع صوت رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعْرَفُ في وجهه الغضب، فقال: **«إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»**(٢).

ولذلك تكاثرت الأحاديث الصحاح في النهي عن هذا الطبع اليهودي، والمنهج الصهيوني؛ منها:

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**إن الله جَلَّ جَلَالُهُ حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات**(٣)**، وكره لكم ثلاثًا: قيل وقال: وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، و يكره لكم: قيل وقال: وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(٥).

وخير من لخص هذا الباب الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ فقال:

«عن قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فغضب، فصعد المنبر، فقال: **«لا تسألوني عن شيء إلا بيَّنته»**، فقام رجل كان إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

(٣) أي: أن يمنع الرجل ما يجب عليه من الحقوق، أو يطلب ما لا يستحقه.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣) (١٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٧١٥).

لاحى الرجال دُعِيَ إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله ! من أبي؟ قال: «**أبوك حذافة**». ثم أنشأ عمر؛ فقال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا؛ نعوذ بالله من الفتن.

وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ...﴾ [المائدة: ١٠١][1].

نهاهم أن يسألوا مثل الذي سألت النصارى في المائدة، فأصبحوا بها كافرين، فنهى الله جَلَّجَلَالُهُ عن ذلك، ولكن انظروا، فإذا نزل القرآن؛ فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه.

فدلت هذه الأحاديث:

- على النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه ما يسوء السائل جوابه؛ مثل سؤال السائل: هل هو في النار أو في الجنة؟

وهل أبوه ما ينسب إليه أو غيره؟

- وعلى النهي عن السؤال على وجه التعنت؛ والعبث والاستهزاء؛ كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم.

- وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت؛ كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب.

ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده، ولم يطلعهم عليه:

كالسؤال عن وقت الساعة.

وعن الروح.

وَدَلَّت -أيضًا- على نهي المسلمين عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سببًا لنزول التشديد فيه:

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٩)، ومسلم (٢٣٥٩) (١٣٧).

كالسؤال عن الحج؛ هل يجب كل عام أم لا؟

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: **«إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم؛ فحرم من أجل مسألته»**(١).

ولم يكن النَّبيُّ ﷺ يرخص في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه يتألفهم بذلك، فأما المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم؛ فنهوا عن المسألة.

عن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة؛ كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النبي ﷺ (٢).

عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا: أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله، ونحن نسمع(٣).

وكان أصحاب النَّبيِّ ﷺ أحيانًا يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها؛ لكن للعمل بها عند وقوعها.

كما قالوا له: إنا لاقوا العدو غدًا، وليس معنا مدى؛ أفنذبح بالقصب(٤)؟

فقوله ﷺ: **«ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»**؛ يَدُلُّ على كراهة المسائل وذمِّها، ولكن بعض الناس يزعم: أن ذلك كان

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٢٦)، ومسلم (٢٣٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

ومعنى الحديث: «أنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أقام بالمدينة كزائر من غير نقلة إليها من وطنه لاستيطانها، وما منعه من الهجرة إلا الرغبة في سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين، فإنه كان سمح بذلك للطارئين دون المهاجرين».

انظر «شرح النووي على مسلم» (٦/ ١١١).

(٣) أخرجه مسلم (١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤٣)، ومسلم (١٩٦٨) من حديث رافع بن خديج رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مختصًا بزمن النَّبيِّ ﷺ؛ لما يخشى حينئذ من تحريم ما لم يحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أُمِنَ بعد وفاته ﷺ، ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر؛ وهو: انتظار نزول القرآن، حيث لا يسأل عن شيء إلا وجد تبيانه.

ومعنى هذا: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لابدَّ أن يبينه الله في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله ﷺ، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال؛ فإن الله جَلَّجَلَالُهُ لابدَّ أن يبينه لهم ابتداء من غير سؤال؛ كما قال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، وحينئذ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء، ولاسيما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله؛ ثم اتباع ذلك، والعمل به.

وأشار رسول الله ﷺ في هذا الحديث: إلى أن في الاشتغال بامتثال أمره، واجتناب نهيه؛ شغلًا عن المسائل، فقال: «**إذا نهيتكم عن شيء؛ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر؛ فأتوا منه ما استطعتم**».

فالذي يُتَعَيَّنُ على المسلم الاعتناء به والاهتمام: أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهى عنه، فتكون همَّته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره، وهكذا كان حال أصحاب النَّبيِّ ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

فأما إن كانت همَّة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع؛ فإن هذا مما يدخل في النهي، ويثبط عن الجدِّ في متابعة الأمر.

وقد سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر، فقال له: رأيت النبي ﷺ يستلمه ويقبله.

فقال له الرجل: أرأيت إن غُلبت عنه؟ أرأيت إن زوحمت؟

فقال له ابن عمر: اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله[١].

ومراد ابن عمر: أن لا يكون لك هَمٌّ إلا في الاقتداء ﷺ بالنَّبيِّ، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه؛ فإنه يفتر العزم على التصميم عن المتابعة؛ فإن التفقه في الدين والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كيف بكم إذا لبستكم فتنة: يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة، فإن غُيِّرت يومًا؛ قيل: هذا منكر.

قالوا: ومتى ذلك؟

قال: إذا قَلَّت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتُفُقِّه لغير الدين، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة[٢].

ولهذا المعنى كان كثيرٌ من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها، ولا يجيبون عن ذلك.

قال عمرو بن مرة: خرج عمر على الناس؛ فقال: أُحرِّج عليكم أن تسألونا عما لم يكن؛ فإن لنا فيما كان شغلًا.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لا تسألوا عما لم يكن؛ فإني سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لعن السائل عما لم يكن.

وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن شيء؛ يقول: كان هذا؟

فإن قالوا: لا.

قال: دعوه حتى يكون.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦١١).

(٢) أخرجه الدارمي (١٩١و١٩٢)، والحاكم (٨٥٧٠) بإسناد صحيح على شرط الشيخين؛ كما قال الذهبي ووافقه شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا الحديث له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد.

وقال مسروق: سألت أبيَّ بن كعب عن شيء؟ فقال: أكان بعد؟

فقلت: لا.

فقال: أجِمَّنا -يعني: أرحنا- حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

وقال الأوزاعي: إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم؛ ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقلَّ الناس علمًا.

وقال ابن وهب: سمعت مالكًا وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا، ثم قال: يتكلم كأنه جمل مُغْتَلِمٌ[1]؛ يقول: هو كذا، هو كذا؛ يَهْدُرُ في كلامه.

وقال: سمعت مالكًا يكره الجواب في كثرة المسائل، وقال: قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلم يأته في ذلك جواب، فكان مالك يكره المجادلة عن السنن.

وقال الهيثم بن جميل: قلت لمالك: يا أبا عبدالله ! الرجل يكون عالمًا بالسنن، يجادل عنها؟

قال: لا، ولكن يخبر بالسنة؛ فإن قبلت منه، وإلا سكت.

وقال وهب: سمعت مالكًا يقول: المراء في العلم يُقَسِّي القلب، ويؤثر الضغن.

وقد انقسم الناس في هذا الباب أقسامًا:

- فمن أتباع أهل الحديث من سدَّ باب المسائل؛ حتى قلَّ فهمُه وعلمُه لحدود ما أنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه.

- ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها: ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلُّف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه، والجدال عليه؛ حتى يتولَّدَ من ذلك افتراق القلوب، ويستقرَّ فيها بسببه الأهواء والشحناء

---

(١) هو الجمل الهائج لشدة شهوته للجماع.

والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرًا بنيَّة المغالبة، وطلب العلوِّ والمباهاة، وصرف وجوه الناس، وهذا مما ذمَّه العلماء الربانيون، ودلَّت السنَّة على قبحه وتحريمه.

- وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به؛ فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله ، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنَّة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك.

وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال، وكثرة القيل والقال.

وكان الإمام أحمد كثيرًا إذا سئل عن شيء من المسائل المحدثة المتولِّدات التي لا تقع؛ يقول: دعونا من هذه المسائل المحدثة.

وما أحسن ما قاله يونس بن سليمان السقطي:

نظرت في الأمر، فإذا هو الحديث والرأي:

- فوجدت في الحديث ذِكْرَ الربِّ جَلَّجَلَالُهُ، وإجلاله، وعظمتَه، وَذِكْرَ العرش، وصفة الجنة والنار، وذكرَ النبيين والمرسلين، والحلال والحرام، والحثَّ على صلة الأرحام، وجماع الخير فيه.

- ونظرت في الرأي؛ فإذا فيه المكر والغدر والحيل، وقطيعة الأرحام، وجماع الشَّرِّ فيه.

وقال أحمد بن شبويه: من أراد علم القبر؛ فعليه بالآثار، ومن أراد علم الخبز؛ فعليه بالرأي.

ومن سلك طريقة طلب العلم على ما ذكرناه؛ تَمَكَّنَ من فهم جواب الحوادث الواقعة غالبًا؛ لأن أصولها توجد في تلك الأصول المشار إليها، ولابدَّ أن يكون سلوك هذا الطريق خلف أئمة أهل الدين المجمع على هدايتهم ودرايتهم، كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، ومن سلك مسلكهم؛ فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به، وترك ما يجب العمل به.

وملاك الأمر كلِّه: أن يقصد بذلك وجه الله جَلَّجَلَالُهُ، والتقرُّبَ إليه بمعرفة ما أنزل على رسوله، وسلوك طريقه، والعمل بذلك، ودعاء الخلق إليه.

ومن كان كذلك؛ وفقه الله وسدده وألهمه رشده وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان من العلماء الممدوحين في الكتاب في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، ومن الراسخين في العلم.

قال نافع بن زيد: يقال: الراسخون في العلم: المتواضعون لله، والمتذللون لله في مرضاته، لا يتعاظمون على من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن؛ هم: أبر قلوبًا، وأرق أفئدة، الإيمان يمانٍ، والفقه يمانٍ، والحكمة يمانية**»(١).

وهذا إشارة منه إلى أبي موسى الأشعري ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن، ثم إلى مثل أبي موسى الخولاني، وأويس القرني، وطاووس، ووهب بن منبه، وغيرهم من علماء أهل اليمن، وكلٌّ هؤلاء من العلماء الربانيين الخائفين من الله ، فكلهم علماء بالله : يخشونه، ويخافونه، وبعضهم أوسع علمًا بأحكام الله وشرائع دينه من بعض، ولم يكن تمييزهم عن الناس بكثرة قيل وقال، ولا جدال.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وكذلك معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلم الناس بالحلال والحرام[١]، وهو الذي يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة[٢]، ولم يكن علمه بتوسعة المسائل وتكثيرها، وإنما كان عالمًا بالله، وعالمًا بأصول دينه.

وقد قيل للإمام أحمد: من نسأل بعدك؟

قال: عبد الوهاب الوراق.

قيل له: إنه ليس له اتساع في العلم.

قال: إنه رجل صالح؛ مثله يوفق لإصابة الحق.

وسئل عن معروف الكرخي؛ فقال: كان معه أصل العلم: خشية الله.

وهذا يرجع إلى قول بعض السلف: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا.

وهذا باب واسع؛ يطول استقصاؤه.

ولنرجع إلى شرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه؛ فنقول: من لم يشتغل بكثرة المسائل التي لا يوجد مثلها في كتاب الله ولا سنة رسول ﷺ، بل اشتغل بفهم كلام الله ورسوله، وقصده بذلك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ فهو ممن امتثل أمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث، وعمل بمقتضاه، ومن لم يكن اهتمامه بفهم ما أنزل الله على رسوله،

---

(١) ثبت من قول رسول الله ﷺ: **«معاذ بن جبل: أعلم الناس بحلال الله وحرامه»**؛ انظر «السلسلة الصحيحة» (١٤٣٦).

(٢) وثبت كذلك عن رسول الله ﷺ: **«أن العلماء إذا حضروا ربهم جَلَّ جَلَالُهُ كان معاذ بين أيديهم رتوة حجر»**؛ انظر «السلسلة الصحيحة» (١٠٩١).

قال ابن العطار: «أي يكون معاذ يوم القيامة أمام العلماء بمقدار مسافة الرمية بالسهم أو الحجر»؛ انظر: «العدة في شرح العمدة» (١/ ٥٧٧).

واشتغل بكثرة توليد المسائل التي قد تقع وقد لا تقع، وتكلَّف أجوبتها بمجرد الرأي؛ خُشي عليه أن يكون مخالفًا لهذا الحديث، مرتكبًا لنهيه، تاركًا لأمره.

واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة إنما هو من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله، واجتناب نواهي الله ورسوله، فلو أن من أراد أن يعمل عملًا سأل عما شرعه الله في ذلك العمل؛ فامتثله، وعما نهى عنه؛ فاجتنبه؛ وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة، وإنما يعمل العامل بمقتضى رأيه وهواه، فتقع الحوادث عامتها مخالفة لما شرعه الله ، وربما عسر ردُّها إلى الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها.

وفي الجملة؛ فمن امتثل ما أمر به النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث، وانتهى عمَّا نهى عنه، وكان مشتغلًا بذلك عن غيره؛ حصل له النجاة في الدنيا والآخرة.

ومن خالف ذلك، واشتغل بخواطره وما يستحسنه؛ وقع فيما حذَّر منه النَّبيُّ ﷺ من حال أهل الكتاب الذين هلكوا؛ بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم»[1].

---

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم من الحكم» (ص ١٣٨-١٤٦- بقلمي) بتصرف يسير.

اليهود وصناعة الحيل

تمثل صناعة الحيل بكل أنواعها، ومختلف ألوانها، وتعدد أشكالها عند اليهود نقطة الارتكاز في دينهم، وقطب الرحى في معتقداتهم؛ فلذلك تجدهم يمارسون الحيل في كلِّ شؤون حياتهم، وجميع تصرُّفاتهم.

وقصة بقرة بني إسرائيل ملخص دقيق لطرائقهم في صناعة الحيل للتملُّص من التكاليف الشرعية، والتخلُّص من الحقِّ الذي جاءهم به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومما يدلُّ على ذلك -بوضوح لا غموض فيه، وجلاء لا لبس يعتريه- أمور؛ منها:

١- أنها جاءت في إثر ذكر قصة أصحاب السبت التي تمثل منهج اليهود في التحايل على أوامر الله ، واستحلال ما حرم عليهم:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥و٦٦].

وهذا السباق يوضح أن هذه القصة جاءت؛ لتبين منهجية بني إسرائيل في صناعة الحيل: «ومعلوم أنهم لم يستحلوها تكذيبًا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكفرًا بالتوراة، وإنما استحلال تأويل واحتيال: ظاهره ظاهر الاتقاء، وحقيقته حقيقة الاعتداء»[1].

٢- وكذلك سياق القصة يدل على أنهم أرادوا التحايل على أوامر الله ، ومن ذلك:

أ- تعنُّتهم في تنفيذ أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ حيث أرادوا التشديد في أمر البقرة؛ لاعتقادهم: أنَّهم كلَّما شدَّدوا قلَّ وجود مثل هذه البقرة، وندر الحصول عليها، وانعدام جنسها!

---

(١) «الفتاوى الكبرى» ابن تيمية (٦/ ٢٨).

وانظر -تكرمًا- «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» (ص ٣٠٩).

ب- طريقتهم في مفاوضة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بطلب التفاصيل، والإصرار على أدقها؛ ليملَّ نبيُّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويتركهم وشأنهم.

ومن المقرر في علم الأصول: إن مراعاة السياق والسباق له أثر فاعل في الكشف عن مراد الله جَلَّ جَلَالُهُ ومراد رسوله ﷺ.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا محيص للمتفهم من رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره.

وإذ يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف؛ فإن فرَّق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض؛ إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المتكلم»[1].

ت- وقد كشفت السُّنَّة نوعًا آخر من تحايلهم؛ وهو: تغيير الشكل من أجل الأكل:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح -وهو بمكة-: «**إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر، والخنزير، والأصنام**».

فقيل: يا رسول الله ! أرأيت شحوم الميتة؛ فإنه يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟

فقال: «**لا، هو حرام**».

ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**قاتل الله اليهود، إنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ لما حرم عليهم شحومها جَمَلُوه**[2]**، ثم باعوه؛ فأكلوا ثمنه**»[3].

---

(١) «الموافقات» (٤/ ٢٦٦).

(٢) أي: أذابوه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمرًا، فقال: قاتل الله سمرة؛ ألم يعلم أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم، فجملوها، فباعوها**»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**قاتل الله اليهود، حرم الله عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا أثمانها**»(٢).

وهكذا كان التحايل على الحكم الشرعي بإذابة شحوم الميتة حيث غيّروا شكلها من أجل أكلها، ولذلك قال الخطابي: «وفي هذا بيان بطلان كل حيلة يحتال بها للتوصل إلى محرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغيير هيئته، وتبديل اسمه» (٣).

٣- ومما يؤكد أن التحايل منهج بني إسرائيل في التعامل مع الدين والشرع: تحذير النبي ﷺ أمته من اتباع هذا المنهج الباطل والاجتهاد العاطل.

٤- وقد وردت السنة المطهرة بتقرير أن التحايل منهجية معتمدة عند بني إسرائيل في تعاملهم مع دين الله وشرعه؛ ومن ذلك:

أ- عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال؛ مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمَّمًا(٤) مجلودًا، فدعاهم ﷺ؛ فقال: «**أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟**».

فقالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم، فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك؛ نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٣)، ومسلم (١٥٨٢).

انظر (ص ١٥) غير مأمور.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٨٣).

(٣) انظر «معالم السنن» (٣/ ١٣٣).

(٤) التحميم: تسويد الوجه بالحمم؛ وهو: الفحم.

أقمنا عليه الحدَّ، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أوَّل من أحيا أمرك إذ أماتوه**».

فأمر به؛ فرجم؛ فأنزل الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١].

يقول: ائتوا محمدًا ﷺ؛ فإن أمركم بالتحميم والجلد؛ فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم؛ فاحذروا، فأنزل الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]؛ في الكفار كلها[(١)].

وهذا اعتراف صريح من أحبار اليهود: أنهم اخترعوا دينًا جديدًا حيث احتالوا على دين الله ، وتملَّصوا من أحكام الشرع مراعاة للطبقية، ومداهنة للأشراف منهم؛ فانسلخوا من الدين؛ حيث وصفهم الله جَلَّجَلَالُهُ بالكفر، والظلم، والفسق.

ب- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

(٢) أخرجه ابن بطة في «إبطال الحيل» (ص ٦٠) بإسناد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ١٢٣)، وجوَّد إسناده في «إبطال التحليل» (ص ٨٦)، وحسنه في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٢٨٧)، و«مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٢٩).

وجوَّد إسناده ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٤٨)، و«حاشيته على سنن أبي داود» (١/ ٣٧٦).

وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٠٨ و ٢/ ٢٥٧).

وقال ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٣/ ٤٢٦): «ثابت».

وقال السخاوي في «الأجوبة المرضية» (١/ ٢١٤): «حسن».

وقال العلامة أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١/ ١٢٤): «وإسناده جيد». =

٥- وعلى هذا المنهج أصحاب رسول الله ﷺ؛ حيث أدركوا أنه يجب ذكر تحايل بني إسرائيل تحذيرًا للأمة الإسلامية من ذلك؛ لئلا يقعوا في سنن بني إسرائيل:

عن عبد الواحد البناني؛ قال: كنت مع ابن عمر، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إني أشتري هذه الحيطان تكون فيها الأعناب، ولا نستطيع أن نبيعها كلَّها عنبًا حتى نعصره.

= وصححه شيخنا ابن باز في «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٣٠).

وهذا الحديث مما اختلف قول شيخنا الإمام الألباني فيه:

- فمرة ضعفه كما في «تخريج غاية المرام في أحاديث الحلال والحرام» (١١).

- وأخرى توقف فيه كما في «الإرواء» (١٥٣٥).

- وثالثة: جوَّد إسناده كما في «الضعيفة» (١/ ٦٠٨).

وعند دراستي للعلل التي من أجلها ضعف الحديث رأيتها لا تستقيم أمام البحث العلمي:

١- قال شيخنا: في «الإرواء»: «لكني لم أجد ترجمة ابن مسلم هذا في «تاريخ الخطيب»».

قلت: بل ترجم له (٦/ ٨)، وقال: «أحمد بن محمد بن أحمد بن مسلم أبو الحسن المخرمي الكاتب مولى العباس بن محمد الهاشمي: وكان ثقة».

٢- وأما إعلال الحديث بابن بطة؛ كما فعل شيخنا: في «غاية المرام»؛ ففيه نظر لا يخفى؛ فالإمام ابن بطة تكلم في ضبطه غير واحد من الأئمة؛ فقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٢٩-٥٣٢): «قلت:لابن بطة مع فضله أوهام وغلط»، وقال -أيضًا- كما في «مختصر العلو» (ص ٥٣): «وكان ابن بطة من كبار الأئمة: ذا زهد وفقه وسنة واتباع، وتكلموا إتقانه، وهو صدوق في نفسه»، وقال عبيد الله الأزهري: «ابن بطة ضعيف وعندي عنه معجم البغوي، ولا أخرج عنه في الصحيح شيئًا»، وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ١١٢): «إمام لكنه ذو أوهام».

قلت: لقد وافق حديثه الثقات في كثير من الأحاديث، وأوهامه هذه إنما وقعت منه خطأ؛ كما حصل في روايته لحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؛ قال الخطيب (١٢/ ١٠٠): «هذا باطل والحمل فيه على ابن بطة»، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٣١): «قلت:أفحش العبارة، وحاشى الرجل من التعمد؛ لكنه غلط، ودخل عليه إسناد في إسناد».

وبالجملة؛ فالحديث حسن؛ كما نص عليه هؤلاء الفحول رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهو الذي أختاره من أحكام شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: فعن ثمن الخمر تسألني[1]؟! سأحدثك حديثًا سمعته عن رسول الله ﷺ: كنا جلوسًا مع النَّبيِّ ﷺ؛ إذ رفع رأسه إلى السماء، ثم أكبَّ ونكت في الأرض، وقال: «**الويل لبني إسرائيل**»، فقال له عمر: يا نبي الله ! لقد أفزعنا قولك لبني إسرائيل، فقال: «**ليس عليكم من ذلك بأس، إنَّهم لما حُرِّمت عليهم الشحوم، فتواطؤوه، فيبيعونه، فيأكلون ثمنه، وكذلك ثمن الخمر عليكم حرام**»[2].

ولكن: يا للأسف! فقد وقع فئام من هذه الأمة الإسلامية في هذه السنة السيئة للأمة الغضبية:

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل، والمكر، والخداع: الذي يتضمن تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه.

فإن الرأي رأيان:

رأي يوافق النصوص، وتشهد له بالصحة والاعتبار؛ وهو: الذي اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأي يخالف النصوص، وتشهد له بالإبطال والإهدار؛ فهو: الذي ذمُّوه وأنكروه.

وكذلك الحيل نوعان:

---

(١) استفهام إنكاري، والظاهر: أن الرجل كان يريد أن يخمر العصير، ثم يبيعه خمرًا، أو يبيعه لمن يتخذه خمراً؛ ولذلك أنكر عليه ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

انظر: «الفتح الرباني» لأحمد الساعاتي (١٥/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥٩٨٢ - ط الرسالة) بإسناد حسن إن شاء الله .

وانظر - تفضلًا -: «مجمع الزوائد» (٤/ ٨٧-٨٨).

نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله جَلَّجَلَالُهُ به، وترك ما نهى عنه، والتخلُّص من الحرام، وتخليص الحقِّ من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعلهُ ومعلِّمُه[١].

ونوع يتضمن إسقاطَ الواجبات، وتحليلَ المحرمات، وقلبَ المظلوم ظالمًا، والظالم مظلومًا، والحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمِّه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يجوز شيء من الحيل في إبطال حقِّ مسلم.

وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله : من حلف على يمين، ثم احتال لإبطالها، فهل تجوز تلك الحيلة؟

قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز.

قلت: أليس حيلتنا فيها أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولًا في شيء اتبعناه؟

قال: بلى، هكذا هو.

قلت: أوليس هذا منا نحن حيلة؟

قال: نعم.

فبيَّن الإمام أحمد: أن من اتبع ما شرعه الله له، وجاء عن السلف في معاني الأسماء التي علِّقت بها الأحكام: ليس بمحتال الحيل المذمومة، وإن سُمِّيت: حيلةً، فليس الكلام فيها.

وغرض الإمام أحمد بهذا: الفرق بين سلوك الطريق المشروعة التي شرعت لحصول مقصود الشارع، وبين الطريق التي تُسلك لإبطال مقصوده.

فهذا هو سرُّ الفرق بين النوعين، وكلامنا -الآن- في النوع الثاني.

---

(١) وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا النوع الجائز مائة وستة عشر مثالًا في «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٦١- وما بعدها)، وثمانين مثالًا في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٦٧- وما بعدها).

قال شيخنا[١]: فالدليل على تحريم هذا النوع، وإبطاله من وجوه:

الوجه الأول: قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨ و ٩].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال في أهل العهد: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢].

فأخبر جَلَّجَلَالُهُ أن هؤلاء المخادعين مخدوعون، وهم لا يشعرون أن الله جَلَّجَلَالُهُ خادع من خدعه، وأنه يكفي المخدوع شرَّ من خدعه.

والمخادعة؛ هي: الاحتيال والمراوغة؛ بإظهار الخير مع إبطان خلافه؛ ليحصل مقصود المخادع.

فلما كان القائل: «آمنت»؛ مظهرًا لهذه الكلمة؛ غير مريد حقيقتها المرعيَّة المطلوبة شرعًا، بل مريد لحكمها وثمرتها فقط: مخادعًا، كان المتكلم بلفظ: «بعت»، و«اشتريت»، و«طلَّقت»، و«نكحت»، و«خالعت»، و«آجرت»، و«ساقيت»، و«أوصيت»؛ غير مريد لحقائقها الشرعية المطلوبة منها شرعًا، بل مريدٍ لأمور أخرى غير ما شُرعت له، أو ضد ما شُرعت له: مخادعًا، ذاك مخادع في أصل الإيمان، وهذا مخادع في أعماله وشرائعه.

قال شيخنا: وهذا ضرب من النفاق في آيات الله جَلَّجَلَالُهُ وحدوده؛ كما أن الأول نفاق في أصل الدين.

قال[٢]: وتلخيص ذلك: أن مخادعة الله جَلَّجَلَالُهُ حرام، والحيل مخادعة لله:

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وكلامه المشار إليه -هنا- في «بيان الدليل على بطلان التحليل» (ص ٦ -وما بعدها).

(٢) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وانظر المرجع السابق (ص ٦٥ - وما بعدها).

بيان الأول: أن الله جَلَّجَلَالُهُ ذمَّ المنافقين بالمخادعة، وأخبر أنه خادعهم، وخدعه للعبد عقوبة تستلزم فعله للمحرَّم.

وبيان الثاني من أوجه:

أحدها: أن ابن عباس وأنسًا وغيرهما من الصحابة والتابعين أفتوا: أن التحليل ونحوه من الحيل مخادعة لله جَلَّجَلَالُهُ، وهم أعلم بكتاب الله جَلَّجَلَالُهُ[١].

الثاني: أن المخادعة إظهار شيء من الخير، وإبطان خلافه.

الثالث: أن المنافق لما أظهر الإسلام، ومراده غيره، سُمِّي: مخادعًا لله جَلَّجَلَالُهُ، وكذلك المرائي؛ فإن النفاق والرياء من باب واحد.

فإذا كان هذا الذي أظهر قولًا غير معتقد ولا مريد لما يفهم منه، وهذا الذي أظهر فعلًا غير معتقد ولا مريد لما شُرِع له: مخادعًا.

فالمحتال لا يخرج عن أحد القسمين:

إما إظهار فعل لغير مقصوده الذي شُرِع له.

أو إظهار قول لغير مقصوده الذي شُرِع له.

وإذا كان مشاركًا لهما في المعنى الذي سميا به مُخادِعين؛ وجب أن يشركهما في اسم الخداع، وَعُلِمَ أن الخداع اسم لعموم الحيل، لا لخصوص هذا النفاق.

الوجه الثاني: أن الله جَلَّجَلَالُهُ ذمَّ المستهزئين بآياته، والمتكلِّم بالأقوال التي جعل الشارع لها حقائق ومقاصد؛ مثل كلمة الإيمان، وكلمة الله جَلَّجَلَالُهُ التي يستحل بها الفروج، ومثل العهود والمواثيق التي بين المتعاقدين، وهو لا يريد بها حقائقها المقومة لها، ولا مقاصدها التي جعلت هذه الألفاظ محصلة.

---

(١) بل أجمع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على تحريم الحيل المناقضة لمقاصد الدين وإبطالها؛ انظر غير مأمور: «الحيل في الشريعة الإسلامية» (ص ٢٢٤ وما بعدها) للدكتور محمد عبد الوهاب بحيري.

فيشبه - والله أعلم - أن هؤلاء لما كانوا أعظم جرمًا إذ هم بمنزلة المنافقين، ولا يعترفون بالذنب، بل قد فسدت عقيدتهم وأعمالهم، كانت عقوبتهم أغلظ من عقوبة غيرهم، فإن من أكل الربا والصيد الحرام عالمًا بأنه حرام، فقد اقترن بمعصيته اعترافه بالتحريم، وهو إيمان بالله جَلَّجَلَالُهُ وآياته، ويترتب على ذلك من خشية الله جَلَّجَلَالُهُ، ورجاء مغفرته، وإمكان التوبة، ما قد يفضي به إلى خير ورحمة، ومن أكله مستحلًا له بنوع احتيالٍ تأَوَّلَ فيه، فهو مصرٌّ على الحرام، وقد اقترن به اعتقاده الفاسد في حلِّ الحرام، وذلك قد يفضي به إلى شرٍّ طويل.

وقد جاء ذكر المسخ في عدة أحاديث:

كقوله في حديث أبي مالك الأشعري، الذي رواه البخاري في «صحيحه»: «**ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[1].

فالمسخ على صورة القردة والخنازير واقع في هذه الأمة ولا بدَّ، وهو في طائفتين:

- علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله، الذين قَلَبُوا دين الله جَلَّجَلَالُهُ وشرعه، فَقَلَبَ الله جَلَّجَلَالُهُ صورهم كما قلبوا دينه.

- والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم، ومن لم يُمسخ منهم في الدنيا مُسِخَ في قبره، أو يوم القيامة.

وبكل حال؛ فالمسخ لأجل الاستحلال بالاحتيال قد جاء في أحاديث كثيرة.

قال شيخنا[2]: وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة؛ فإنهم لو استحلوها - مع اعتقاد أن الرسول حرَّمها - كانوا كفارًا، ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بأنها حرام لأوشك أن لا يعاقبوا بالمسخ؛ كسائر الذين يفعلون هذه المعاصي، مع اعترافهم بأنها معصية، ولما قيل فيهم: يستحلُّون؛ فإن المستحل للشيء هو الذي يفعله

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

(٢) انظر «بيان الدليل» (ص٧٩).

معتقدًا حلَّه؛ فيشبه أن يكون استحلالهم للخمر؛ يعني: أنهم يسمونها بغير اسمها، فيشربون الأنبذة المحرمة، ولا يسمونها: خمرًا، واستحلالهم المعازف باعتقادهم: أن آلات الله و مجرد سماع صوت فيه لذة، وهذا لا يحرم كأصوات الطيور[١]، واستحلال الحرير وسائر أنواعه باعتقادهم أنه حلال في بعض الصور؛ كحال الجِرَبِ، وحال الحَكَّة، فيقيسون عليه سائر الأحوال، ويقولون: لا فرق بين حال وحال.

وهذه التأويلات ونحوها واقعة في الطوائف الثلاثة الذين قال فيهم عبدالله ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهل أفسد الدين إلا الملوك
وأحبار سوء ورهبانها[٢]

ومعلوم أنها لا تغني عن أصحابها من الله شيئًا، بعد أن بلَّغ الرسول ﷺ، وبيَّن تحريم هذه الأشياء بيانًا قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجَّة.

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ؛ قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...**» الحديث[٣].

وهو أصل في إبطال الحيل، وبه احتج البخاري على ذلك[٤].

فإن مَن أراد أن يعامل رجلًا معاملة يعطيه فيها ألفًا بألف وخمس مئة إلى أجل، فأقرضه تسع مئة، وباعه ثوبًا بست مئة يساوي مائة؛ إنما نوى بإقراض التسع مئة تحصيل الربح الزائد، وإنما نوى بالست مئة التي أظهر أنها ثمن الثوب: الربا.

---

(١) انظر رد هذه الشبهة في «الكلام على مسألة السماع» لابن قيم الجوزية (ص ٣٦٠-٣٦٧).
(٢) وانظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٣٥).
(٣) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) في صحيحه (٢/ ٣٢٧) في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الإيمان وغيرها.

والله يعلم من جذر قلبه، وهو يعلمه، ومن عامله يعلمه؛ ومن اطلع على حقيقة الحال يعلمه.

فليس له من عمله إلا ما نواه وقصده حقيقةً من إعطاء الألف حالَّةً، وأخذ الألف والخمس مئة مؤجلةً، وجعل صورة القرض وصورة البيع محلِّلًا لهذا المحرَّم.

الوجه الرابع: أن باب الحيل المحرمة مداره على تسمية الشيء بغير اسمه، وعلى تغيير صورته مع بقاء حقيقته، فمداره على تغيير الاسم مع بقاء المسمى، وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة.

فإن المحلِّل مثلًا غيَّر اسم التحليل إلى اسم النكاح، واسم المحلِّل إلى الزوج، وغير مسمى التحليل، بأن جعل صورته صورة النكاح، والحقيقة حقيقة التحليل.

ومعلوم قطعًا: أن لَعْنَ رسول الله ﷺ على ذلك إنما هو لما فيه من الفساد العظيم، الذي اللَّعنة من بعض عقوبته، وهذا الفساد لم يَزُلْ بتغيير الاسم والصورة، مع بقاء الحقيقة، ولا بتقديم الشرط من صلب العقد إلى ما قبله؛ فإن المفسدة تابعة للحقيقة، لا للاسم، ولا لمجرد الصورة.

وكذلك؛ المفسدة العظيمة التي اشتمل عليها الربا، لا تزول بتغيير اسمه من الربا إلى المعاملة، ولا بتغيير صورته من صورة إلى صورة، والحقيقة معلومة متفق عليها بينهما قبل العقد، يعلمها من قلوبهما عالم السرائر، فقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد، ثم غيَّرا اسمه إلى المعاملة، وصورته إلى التبايع الذي لا قصد لهما فيه ألبتة، وإنما هو حيلة ومكر، ومخادعة لله جَلَّجَلَالُهُ ولرسوله ﷺ.

وأيُّ فرق بين هذا وبين ما فعلته اليهود من استحلال ما حرَّم الله عليهم من الشحوم بتغيير اسمه وصورته؟ فإنهم أذابوه حتى صار ودكًا، وباعوه، وأكلوا ثمنه، وقالوا: إنما أكلنا الثمن، لا المثمن، فلم نأكل شحمًا.

وكذلك؛ من استحلَّ الخمر باسم النبيذ، كما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**ليشربنَّ ناس من أمتي الخمر: يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**»(١).

وإنما أُتي هؤلاء من حيث استحلوا المحرمات بما ظنُّوه من انتفاء الاسم، ولم يلتفتوا إلى وجود المعنى المحرَّم وثبوته!

وهذا بعينه هو شبهة اليهود من استحلال بيع الشحم بعد جَمْلِه، واستحلال أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها به يوم السبت في الحفائر والشباك من فعلِهِم يوم الجمعة، وقالوا: ليس هذا صيد يومِ السَّبت، ولا استباحةً لنفس الشَّحم.

بل الذي يستحلُّ الشَّراب المسكر؛ زاعمًا: أنَّه ليس خمرًا، مع علمه: أنَّ معناه: معنى الخمر، ومقصوده: مقصوده، وعمله: عمله؛ أفسد تأويلًا، فإنَّ الخمر اسم لكلِّ شرابٍ مسكرٍ؛ كما دلت عليه النصوص الصَّحيحة الصَّريحة(٢).

فهؤلاء إنما شربوا الخمر استحلالًا لَمَّا ظنوا أن المحرَّم مجرد ما وقع عليه اللفظ، وأن ذلك اللفظ لا يتناول ما استحلُّوه.

وكذلك؛ شبهتهم في استحلال الحرير والمعازف؛ فإن الحرير أبيح للنساء وأبيح للضرورة، وفي الحرب، وقد قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٠٠)، وأبي داود (٣٦٨٨)، وورد تامًّا عند ابن ماجه (٤٠٢٠)، وصححه شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١/ ١٨٤)، «وتحريم آلات الطرب» (ص ٤٥).

(٢) وقد بين ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ جناية التأويل على الإسلام، وأن خراب العالم وفساد الدين والدنيا بسبب فتح باب التأويل.

انظر «إعلام الموقعين» (٤/ ١٩٢)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ٣٤٨).

والمعازف قد أبيح بعضها في العرس ونحوه، وأبيح الحداء، وأبيح بعض أنواع الغناء!

وهذه الشبهة أقوى بكثيرٍ من شبه أصحاب الحيل، فإذا كان من عقوبة هؤلاء: أن يسمخ بعضهم قردةً وخنازير، فما الظنُّ بعقوبة من جُرْمُهم أعظم، وفعلهم أقبح؟

فالقوم الذين يُخسف بهم ويُمسخون، إنما فُعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد، الذي استحلُّوا به المحارم بطريق الحيلة، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الأشياء، ولذلك مُسِخوا قردةً وخنازير، كما مُسِخَ أصحاب السبت بما تأوَّلوا من التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم، وخسف ببعضهم كما خسف بقارونَ؛ لأن في الخمر والحرير والمعازف من الكبر والخيلاء ما في الزينة التي خَرَجَ فيها قارون على قومه، فلمَّا مَسَخوا دين الله جَلَّجَلَالُهُ مَسَخَهم الله، ولمَّا تَكَبَّروا عن الحقّ أذلَّهم الله جَلَّجَلَالُهُ، فلما جمعوا بين الأمرين جمع الله لهم بين هاتين العقوبتين، وما هي من الظالمين ببعيد.

ومن المعلوم: أن الربا لم يحرم لمجرد صورته ولفظه، وإنما حرِّم لحقيقته ومعناه ومقصوده، وتلك الحقيقة والمعنى والمقصود قائمة في الحيل الرِّبويَّة كقيامها في صريحه سواء، والمتعاقدان يعلمان ذلك من أنفسهما، ويعلمه من شاهد حالهما، والله يعلم أن قصدهما نفس الربا، وإنما توسلا إليه بعقدٍ غير مقصود، وسمياه باسم مستعارٍ غير اسمه!

ومعلوم: أن هذا لا يدفع التحريم، ولا يرفع المفسدة التي حُرِّم الربا لأجلها، بل يزيدها قوة وتأكيدًا من وجوه عديدة:

منها: أنه يقدم على مطالبة الغريم المحتاج بقوَّة لا يقدم بمثلها المرابي صريحًا؛ لأنه واثق بصورة العقد واسمه.

ومنها: اعتقاده أن ذلك تجارة حاضرة مُدارة، والنفوس أرغب شيء في التجارة، فهو في ذلك بمنزلة من أحبَّ امرأةً حبًّا شديدًا، ويمنعه من وصالها كونها محرمةً عليه، فاحتال لها أن أوقع بينه وبينها صورة عقدٍ لا حقيقة له، يأمن به من بشاعة الحرام

وشناعته، فصار يأتيها آمنًا، وهما يعلمان في الباطن أنها ليست زوجته، وإنما أظهرا صورة عقدٍ يتوصلان به إلى الغرض.

ومن المعلوم: أن هذا يزيد المفاسد التي حرم الحكيم الخبير لأجلها الرِّبا والزنى قوةً؛ فإن الله جَلَّجَلَالُهُ حرَّم الرِّبا لما فيه من ضرر المحتاج، وتعريضه للفقر الدائم، والدَّين اللازم الذي لا ينفك عنه، وتولُّد ذلك وزيادته إلى غاية تجتاحه وتسلبه متاعه وأثاثه؛ كما هو الواقع في الواقع.

فالربا أخو القمار، الذي يجعل المقمور سليبًا حزينًا محسورًا.

فمن تمام حكمة الشريعة الكاملة المنتظمة لمصالح العباد: تحريمه، وتحريم الذريعة الموصلة إليه، فكيف يُظنُّ بالشارع مع كمال حكمته أن يبيح التحيُّل والمكر على حصول هذه المفسدة، ووقوعها زائدة متضاعفة بأكل المحتال فيها مال المحتاج أضعافًا مضاعفة؟

ولو سلك مثل هذا بعض الأطباء مع المرضى لأهلكهم، فإن ما حرم الله جَلَّجَلَالُهُ ورسوله ﷺ من المحرمات إنما هو حمية لحفظ صحة القلب، وقوة الإيمان، كما أن ما يمنع منه الطبيب مما يضرُّ المريض حمية له، فإذا احتال المريض أو الطبيب على تناول ذلك المؤذي بتغيير صورته، مع بقاء حقيقته وطبعه، أو تغيير اسمه مع بقاء مسماه، ازداد المريض بتناوله مرضًا إلى مرضه، وترامى به إلى الهلاك، ولم ينفعه تغير صورته ولا تبدل اسمه.

وأنت إذا تأملت الحيل المتضمنة لتحليل ما حرم الله جَلَّجَلَالُهُ، وإسقاط ما أوجب، وحل ما عقد، وجدت الأمر فيها كذلك، ووجدت المفسدة الناشئة منها أعظم من المفسدة الناشئة من المحرمات الباقية على صورها وأسمائها، والوجدان شاهد بذلك.

فالله جَلَّجَلَالُهُ إنما حرَّم هذه المحرمات وغيرها لما اشتملت عليه من المفاسد المضرَّة بالدنيا والدين، ولم يحرمها لأجل أسمائها وصورها.

ومعلوم: أن تلك المفاسد تابعة لحقائقها، لا تزول بتبدُّل أسمائها، وتغيُّرِ صورها.

ولو زالت تلك المفاسد بتغُّير الصورة والأسماء؛ لما لعن الله جَلَّجَلَالُهُ اليهود على تغيير صورة الشحم واسمه بإذابته؛ حتى استحدث اسم الودك وصورته، ثم أكلوا ثمنه، وقالوا: لم نأكله، وكذلك تغيير صورة الصيد يوم السبت بالصيد يوم الأحد.

فتغيير صور المحرمات وأسمائها مع بقاء مقاصدها وحقائقها زيادة في المفسدة التي حرمت لأجلها، مع تضمنه لمخادعة الله جَلَّجَلَالُهُ ورسوله، ونسبة المكر والخداع والغش والنفاق إلى شرعه ودينه، وأنه يُحَرِّم الشيء لمفسدة، ويبيحه لأعظم منها.

ولهذا؛ قال أيوب السختياني: يخادعون الله ؛ كأنما يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون.

وقال بشر بن السري - وهو من شيوخ الإمام أحمد-: نظرت في العلم، فإذا هو الحديث والرأي.

فوجدت في الحديث ذكر النبيين، والمرسلين، وذكر الموت، وذكر ربوبية الربِّ جَلَّجَلَالُهُ وجلاله وعظمته، وذكر الجنة والنار، والحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام، وجماع الخير.

ونظرت في الرأي؛ فإذا فيه: المكر، والخديعة، والتشاح، واستقصاء الحق، والمماراة في الدين، واستعمال الحيل، والبعث على قطيعة الأرحام، والتجرؤ على الحرام.

وقال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل -وذكر أصحاب الحيل- فقال: يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ.

والرأي الذي اشتُقَّت منه الحيل: المتضمنة لإسقاط ما أوجب الله جَلَّجَلَالُهُ وإباحة ما حرم الله ؛ هو: الذي اتفق السلف على ذمِّه وعيبه.

فروى حرب عن الشعبي؛ قال: قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إياكم وأرأيت، أرأيت، فإنما هلك من كان قبلكم بـ (أرأيت، أرأيت)، ولا تقيسوا شيئًا بشيء، فتزِلَّ قدم بعد ثبوتها».

وعن الشعبي عن مسروقٍ؛ قال: قال عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس من عام إلا والذي بعده شرٌّ منه، لا أقول: أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام، ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم، فينهدم الإسلام، وينثلم».

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلَّتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم».

وذُكِرَ لأحمد أن امرأة كانت تريد أن تفارق زوجها، فيأبى عليها، فقال لها بعض أرباب الحيل: لو ارتددت عن الإسلام؛ بِنْتِ منه، ففعلت: فغضب أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: من أفتى بهذا أو علَّمه أو رضي به؛ فهو كافر.

وكذلك قال عبد الله بن المبارك، ثم قال: ما أرى الشيطان يحسن مثل هذا حتى جاء هؤلاء؛ فتعلَّمه منهم.

وقال يزيد بن هارون: أفتى أصحاب الحيل بشيء لو أفتى به اليهود والنصارى؛ كان قبيحًا، أفتوا رجلًا حلف أن لا يطلق امرأته بوجه من الوجوه، فبذلت له مالًا كثيرًا في طلاقها، فأفتوه بأن يقبل أمَّها أو يباشرها.

قلت: ومن تأمَّل الشريعة وَرُزِقَ فيها فقه نفس؛ رآها قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم، وقابلتهم بنقيضها، وسدَّت عليهم الطرق التي فتحوها للتحيُّل الباطل.

فمن ذلك: أن الشارع منع المتحيِّل على الميراث بقتل مورثه ميراثه، ونقله إلى غيره دونه لَّما احتال عليه بالباطل.

ومن ذلك: بطلان وصية الموصى له بمال إذا قتل الموصي.

ونظائر ذلك كثيرة.

فالمحتال بالباطل معامل بنقيض قصده شرعًا وقدرًا[1].

---

(١) انظر تأصيل هذه القاعدة في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٩٣).

وقد شاهد الناس عيانًا: أنه من عاش بالمكر مات بالفقر.

ولهذا عاقب الله جَلَّجَلَالُهُ من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجداد بحرمانهم الثمرة كلها.

وعاقب من احتال على الصيد المحرم بأن مسخهم قردة وخنازير.

وعاقب من احتال على أكل أموال الناس بالربا بأن يُمْحَقَ ماله؛ كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فلا بد أن يمحق مال المرابي، ولو بلغ ما بلغ.

وأصل هذا: أن الله جَلَّجَلَالُهُ جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم.

فجعل عقوبة الكاذب: إهدار كلامه، وردَّه عليه.

وجعل عقوبة من تكبَّر عن قبول الحقِّ والانقياد له: أن ألزمه من الذُّلِّ والصَّغار بحسب ما تكبَّر عنه من الحقِّ.

وجعل عقوبة من استكبر عن عبوديته وطاعته: أن صيَّره عبدًا لأهل عبوديته وطاعته.

وجعل عقوبة من التذَّ بدنه كلُّهُ وروحه بالوطء الحرام: إيلام بدنه وروحه بالجلد والرجم، فيصل الألم إلى حيث وصلت اللذة.

وشرع النبي ﷺ عقوبة من اطلع في بيت غيره: أن تقلع عينه بعودٍ ونحوه؛ إفسادًا للعضو الذي خانه به، وأولجه بيته بغير إذنه، واطلع به على حرمته.

وعاقب كلَّ خائن: بأنه يضلُّ كيده ويبطله، ولا يهديه لمقصوده، وإن نال بعضه، فالذي ناله سبب لزيادة عقوبته وخيبته: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وهذا باب واسع جدًا، عظيم النفع، فمن تدبره يجده متضمنًا لمعاقبة الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ من خرج عن طاعته بأن يعكس عليه مقصوده شرعًا وقدرًا، دنيا وأخرى.

وقد اطردت سنته الكونية جَلَّجَلَالُهُ في عباده، بأن من مكر بالباطل؛ مُكِرَ به، ومن احتال؛ أُحتيل عليه، ومن خادع غيره؛ خُدِع.

قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

فلا تجد ماكرًا إلا وهو ممكور به، ولا مخادعًا إلا وهو مخدوع، ولا محتالًا إلا وهو محتال عليه.

وإذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسدِّ الذرائع إلى المحرمات، وذلك عكس باب الحيل الموصلة إليها.

فالحيل وسائل وأبواب إلى المحرمات، وسد الذرائع عكس ذلك.

فبين البابين أعظم تناقض، والشارع حرم الذرائع، وإن لم يقصد بها المحرم؛ لإفضائها إليه، فكيف إذا قصد بها المحرم نفسه؟!

فنهى الله جَلَّجَلَالُهُ عن سبِّ آلهة المشركين؛ لكونه ذريعة إلى أن يسبوا الله جَلَّجَلَالُهُ عَدْوًا وكفرًا، على وجه المقابلة.

وأخبر النبي ﷺ أن: «**من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه**».

قالوا: وهل يشتم الرجل والديه؟!

قال: «**نعم؛ يسب أبا الرجل؛ فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**»[1].

ولما جاءت صفية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا تزوره ﷺ، وهو معتكف قام معها؛ ليوصلها إلى بيتها، فرآهما رجلان من الأنصار، فقال: «**على رسلكما: إنها صفية بنت حيي**»؛ فقالا: سبحان الله ! يا رسول الله ! فقال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢١٩)، ومسلم (٢١٧٥) عن صفية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

فسدَّ الذريعة إلى ظنهما السوء بإعلامهما: أنها صفية.

وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، والسفر بها، والنظر إليها لغير حاجة؛ حسمًا للمادة، وسدًّا للذريعة.

ومنع النساء إذا خرجن إلى المسجد من الطيب والبخور.

ومنعهن من التسبيح في الصلاة لنائبة تنوب، بل جعل لهن التصفيق.

ونهى المرأة أن تَصِفَ لزوجها امرأة غيرها؛ حتى كأنه ينظر إليها.

ونهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن فاعله.

ونهى عن تعلية القبور وتشريفها، وأمر بتسويتها.

ونهى عن البناء عليها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والصلاة إليها وعندها؛ كلُّ ذلك سدًا لذريعة اتخاذها أوثانًا.

وهذا كله حرام على من قصده ومن لم يقصده، بل على من قصد خلافه؛ سدًّا للذريعة.

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لكون هذين الوقتين وقت سجود الكفار للشمس، ففي الصلاة نوع تشبه بهم في الظاهر، وذلك ذريعة إلى الموافقة والمشابهة في الباطن.

وكذلك النهي عن الصلاة بعد العصر، وبعد الفجر، وإن لم يحضر وقت سجود الكفار للشمس، مبالغة في هذا المقصود، وحماية لجانب التوحيد، وسدًّا لذريعة الشرك بكل ممكن.

ونهى الله جَلَّجَلَالُهُ النساء: أن ﴿يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فلما كان الضرب بالرِّجل ذريعة إلى ظهور صوت الخلخال: الذي هو ذريعة إلى ميل الرجال إليهن نهاهن عنه.

وأمر الله جَلَّجَلَالُهُ الرجال والنساء بغضِّ أبصارهم، لما كان النظر ذريعة إلى الميل والمحبة التي هي ذريعة إلى مواقعة المحظور.

ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو يومين؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى الزيادة في الصوم الواجب؛ كما فعل أهل الكتاب.

ونهى عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة؛ لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة، فإنه إذا أشبه الهدي الهدي؛ أشبه القلب القلب، وقد قال ﷺ: «**من تشبه بقوم؛ فهو منهم**»(١).

وأمر بالتسوية بين الأولاد في العطية، وأخبر أن تخصيص بعضهم بها جور لا يصلح، ولا ينبغي الشهادة عليه، وأمر فاعله برده، ووعظه، وأمره بتقوى الله جَلَّجَلَالُهُ، وأمره بالعدل؛ لكون ذلك ذريعة ظاهرة قريبة جدًا إلى وقوع العداوة بين الأولاد وقطيعة الرحم بينهم، كما هو المشاهد عيانًا، فلو لم تأت السنة الصحيحة الصريحة التي لا معارض لها بالمنع منه؛ لكان القياس وأصول الشريعة، وما تضمنته من المصالح ودرء المفاسد يقتضي تحريمه.

ومن ذلك: أنه جَلَّجَلَالُهُ نهى الصحابة أن يقولوا للنبي ﷺ: ﴿رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، مع قصدهم المعنى الصحيح، وهو المراعاة؛ لئلا يتخذ اليهود هذه اللفظة ذريعة إلى السبِّ، ولئلا يتشبهوا بهم، ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدًا.

ومن ذلك؛ أن النبي ﷺ منع الرجل من أخذ نظير حقِّه بصورة الخيانة ممن خانه، وجحد حقَّه، وإن كان إنما يأخذ حقَّه أو دونه، فقال لمن سأله عن ذلك: «**أدِّ الأمانة إلى**

---

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف ..**»: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠و ٩٢)، وعبد بن حميد (٨٤٨) وغيرهم بإسناد جيد.

وأخرج هذه الجملة أبو داود (٤٣٠١).

وانظر «إرواء الغليل» (١٢٦٩)، و«جلباب المرأة المسلمة» كلاهما لشيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ (ص ٢٠٣).

من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[١]؛ لأن ذلك ذريعة إلى إساءة الظَّنِّ به، ونسبته إلى الخيانة، ولا يمكنه أن يحتج عن نفسه، ويقيم عذره، مع أن ذلك -أيضًا- ذريعة إلى أن لا يقتصر على قدر الحقِّ وصفته؛ فإن النفوس لا تقتصر في الاستيفاء غالبًا على قدر الحقِّ[٢].

ومن ذلك: نهيه ﷺ عن الذرائع التي توجب الاختلاف، والتفرق، والعداوة، والبغضاء:

كخطبة الرجل على خطبة أخيه.

وسومه على سومه.

وبيعه على بيعه.

وسؤال المرأة طلاق ضرتها.

وقال: «**إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما**»[٣]؛ سدًا لذريعة الفتنة والفرقة.

ونهى عن قتال الأمراء، والخروج على الأئمة، وإن ظلموا وجاروا: ما أقاموا الصلاة؛ سدًا لذريعة الفساد العظيم، والشرِّ الكبير بقتالهم؛ كما هو الواقع؛ فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم من الشرور أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، والدارمي (٢٦٣٩)، والحاكم (٢٢٩٦)، بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وله شواهد عن جمع من الصحابة ﷺ؛ منهم: سمرة، وأنس، وصفوان بن أمية، وأبو أمامة، وهو بها صحيح والله أعلم.

(٢) وقد ينازع في هذا الاستدلال؛ إذ المسألة محل خلاف عند الفقهاء فيما يسمونه بمسألة الظفر، وينظر في بسطها: «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٩/ ١٦٠ وما بعدها).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإن الأمة الإسلامية لا تزال في تلك الشرور وهاتيك الفتن إلى يوم الناس هذا؛ وما خبر (الربيع العبري = الخريف العربي) عنا ببعيد.. بل ستبقى إلى آخر الزمان -إلا أن يشاء الله-.. فالله المستعان، وعليه التكلان، ونعوذ به من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان.

ومن ذلك: أن الشروط المضروبة على أهل الذِّمَّة تضمنت تمييزهم عن المسلمين في اللباس، والشعور، والمراكب، والمجالس؛ لئلا تفضي مشابهتهم للمسلمين في ذلك إلى معاملتهم معاملة المسلمين في الإكرام، والاحترام، ففي إلزامهم بتمييزهم عنهم سدًّا لهذه الذريعة.

ولو لم يكن في هذا الباب إلا أن الله جَلَّجَلَالُهُ أوجب إقامة الحدود؛ سدًّا للذريعة إلى الجرائم، إذا لم يكن عليها وازع طبيعي، وجعل مقادير عقوباتها، وأجناسها، وصفاتها؛ بحسب مفاسدها في نفسها، وقوة الداعي إليها، وتقاضي الطباع لها.

وبالجملة: فالمحرمات قسمان:

مفاسد.

وذرائع موصلة إليها، مطلوبة الإعدام؛ كما أن المفاسد مطلوبة الإعدام.

والقربات نوعان:

مصالح للعباد.

وذرائع موصلة إليها.

ففتح باب الذرائع في النوع الأول؛ كسد باب الذرائع في النوع الثاني، وكلاهما مناقض لما جاءت به الشريعة، فبين باب الحيل وباب سدِّ الذرائع أعظم تناقض.

وكيف يظن بهذه الشريعة العظيمة الكاملة، التي جاءت بدفع المفاسد، وسدِّ أبوابها، وطرقها: أن تُجوِّزَ فتح باب الحيل، وطرق المكر على إسقاط واجباتها، واستباحة محرماتها، والتذرُّع إلى حصول المفاسد التي قصدت دفعها؟!

وإذا كان الشيء الذي قد يكون ذريعة إلى الفعل المحرَّم:

إما بأن يقصد به ذلك المحرَّم.

أو بأن لا يقصد به، وإنما يقصد به المباح نفسه، لكن قد يكون ذريعة إلى المحرَّم، يحرمه الشارع بحسب الإمكان، ما لم يعارض ذلك مصلحة راجحة تقتضي حلَّه.

فالتذرُّع إلى المحرمات بالاحتيال عليها أولى أن يكون حرامًا.

وأولى بالإبطال والإهدار، إذا عرف قصد فاعله.

وأولى أن لا يعان فاعله عليه، وأن يُعامل بنقيض قصده، وأن يبطل عليه كيده ومكره.

وهذا بحمد الله جَلَّجَلَالُهُ بيِّنٌ لمن له فقه وفهم في الشرع ومقاصده.

وقد استدل البخاري في «صحيحه»[1] على بطلان الحيل بقوله ﷺ: **«لا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع؛ خشية الصدقة»**.

فإن هذا النهي يَعُمُّ ما قبل الحول وما بعده.

واحتج بقوله ﷺ في الطاعون: **«إذا وقع بأرض وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فرارًا منه»**[2].

وهذا من دقة فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه إذا كان قد نهى ﷺ عن الفرار من قدر الله جَلَّجَلَالُهُ إذا نزل بالعبد رضى بقضاء الله جَلَّجَلَالُهُ وتسليمًا لحكمه، فكيف بالفرار من أمره ودينه إذا نزل بالعبد؟!

واحتج أحمد: على بطلان الحيل وتحريمها بلعنة رسول الله ﷺ للمحلل[3].

واحتج ابن عباس، وبعده أيوب السختياني وغيره من السلف بأن الحيل مخادعة لله جَلَّجَلَالُهُ، وقد قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩]؛ قال ابن عباس: «ومن يخادع الله يخدعه».

ولا ريب أن من تدبر القرآن والسنة ومقاصد الشارع؛ جزم بتحريم الحيل وبطلانها؛ فإن القرآن دلَّ على أن المقاصد والنيات معتبرة في التصرف والعادات؛ كما هي معتبرة في

---

(١) برقم (٦٩٥٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ حيث ذكره ضمن كتاب الحيل في «صحيحه».

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٧٣)، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) مضى تخريجه (ص ١٣٦).

القربات والعبادات، فيجعل الفعل حلالًا أو حرامًا، وصحيحًا أو فاسدًا، وصحيحًا من وجه، فاسدًا من وجه، كما أن القصد والنية في العبادات تجعلها كذلك.

وشواهد هذه القاعدة كثيرة جدًّا في الكتاب والسنة.

فمنها: قوله جَلَّجَلَالُهُ في آية الرجعة: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وذلك نصٌّ في أن الرجعة إنما تثبت لمن قصد الصلاح دون الضرار، فإذا قصد الضرار؛ لم يُملِّكه الله جَلَّجَلَالُهُ الرجعة.

ومن ذلك: قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩]؛ فهذا دليل على أنه إذا عضلها لتفتدي نفسها منه، وهو ظالم لها بذلك، لم يحلَّ له أخذ ما بذلته له، ولا يملكه بذلك.

ومن ذلك: قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]؛ فحرم جَلَّجَلَالُهُ أن يأخذ منها شيئًا مما آتاها، إذا كان قد توسل إليه بالعضل.

والحيل في عرف الفقهاء إذا أطلقت: يقصد بها الحيل التي تُستحلُّ بها المحارم، كحيل اليهود، وكل حيلة تتضمن إسقاط حقٍّ لله جَلَّجَلَالُهُ، أو لآدمي، فهي مما يُستحلُّ بها المحارم.

إذا عرف ذلك؛ فالمحرَّمُ أن يقصد بالعقود الشرعية غير ما شرعها الله جَلَّجَلَالُهُ ورسوله له، فيصير مخادعًا لله جَلَّجَلَالُهُ ورسوله ﷺ، كائدًا لدينه، ماكرًا بشرعه، فإن مقصوده: حصول الشيء الذي حرمه الله جَلَّجَلَالُهُ ورسوله بتلك الحيلة، وإسقاط الذي أوجبه بتلك الحيلة.

ومما لا يسع أحدٌ ردَّه: أن الله جَلَّجَلَالُهُ أغنانا بما شرعه لنا من الحنيفية السمحة، وما يسَّره من الدين على لسان رسوله ﷺ، وسهَّله للأمة عن الدخول في الآصار والأغلال، وعن ارتكاب طرق المكر، والخداع، والاحتيال؛ كما أغنانا عن كل باطل ومحرم وضارٍّ، بما هو أنفع لنا منه: من الحقِّ والمباح النافع.

فأغنانا بأعياد الإسلام عن أعياد الكفار والمشركين: من أهل الكتاب، والمجوس، والصابئين، وعبدة الأصنام.

وأغنانا بوجوه التجارات والمكاسب الحلال، عن الربا، والميسر، والقمار.

وأغنانا بنكاح ما طاب لنا من النساء مثنى وثلاث ورباع، عن الزنا، والفواحش.

وأغنانا بأنواع الأشربة اللذيذة النافعة للقلب والبدن، عن الأشربة الخبيثة المسكرة: المذهبة للعقل والدين.

وأغنانا بأنواع الملابس الفاخرة: من الكتان، والقطن، والصوف، عن الملابس المحرمة: من الحرير، والذهب.

وأغنانا عن سماع الأبيات وقرآن الشيطان بسماع الآيات وكلام الرحمن.

وأغنانا عن الاستقسام بالأزلام[1]؛ طلبًا لما هو خير وأنفع لنا باستخارته التي هي توحيد، وتفويض، واستعانة، وتوكل.

وأغنانا عن طلب التنافس في الدنيا وعاجلها بما أحبه لنا وندبنا إليه من التنافس في الآخرة، وما أعدَّ لنا فيها، وأباح الحسد في ذلك[2]، وأغنانا به عن الحسد على الدنيا وشهواتها.

وأغنانا بالفرح بفضله ورحمته -وهما: القرآن والإيمان- عن الفرح بما يجمعه أهل الدنيا من المتاع، والعقار، والأثمان؛ فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

---

(١) الزُّلَم أو الزَّلَم: السهم الذي لا ريش عليه، وجمعه: أزلام، وكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام: إذ كانوا يكتبون عليها الأمر أو النهي، ويضعونها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده في الوعاء، فأيها خرج عملوا به؛ انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٨).

(٢) أي: حسد الغبطة؛ كما في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا؛ فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة؛ فهو يقضي بها ويعلمها**». أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

وأغنانا بالتكبر على أعداء الله جَلَّجَلَالُهُ، وإظهار الفخر والخيلاء لهم، عن التكبر عن أولياء الله جَلَّجَلَالُهُ، والفخر والخيلاء عليهم، فقال ﷺ لمن رآه يتبختر بين الصفين: «**إنها لمشية يبغضها الله ؛ إلا في مثل هذا الموطن**»(١).

وأغنانا بالفروسية الإيمانية، والشجاعة الإسلامية، التي تأثيرها في الغضب على أعدائه، ونصرة دينه، عن الفروسية الشيطانية، التي يبعث عليها الهوى، وحميَّة الجاهلية.

وكذلك أغنانا بالطرق الشرعية عن طرق أهل المكر والاحتيال.

فلا تشتد حاجة الأمة إلى شيء إلا وفيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضي إباحته وتوسعته؛ بحيث لا يحوجهم فيه إلى مكر واحتيال، ولا يلزمهم الآصار والأغلال، فلا هذا من دينه، ولا هذا.

كما أغنانا بالبراهين والآيات التي أرشد إليها القرآن عن الطرق المتكلَّفة المتعسفة المعقدة، التي باطلها أضعاف حقها، من الطرق الكلامية، التي الصحيح منها؛ «**كلحم جمل غثٍّ على رأس جبل وعر، لا سهل؛ فيُرتقى، ولا سمين؛ فيُنتقل**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٦٠٦)، وابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ١٢)، ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٣٤)، وهو حسن بمجموع طرقه، وقد قاله ﷺ لأبي دجانة رخصة في الخيلاء بالحرب لما في ذلك من الإرهاب على أعداء الله .

انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/ ١٠٦).

(٢) اقتباس من حديث أم زرع، أخرجه: البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨) من حديث عائشة ل.

وقوله: (**الغث**)؛ أي: المهزول.

(**لا سهل فيرتقى**)؛ أي: الجبل، لا يستطاع الصعود عليه.

(**ولا سمين**)؛ أي: اللحم.

(**فينتقل**)؛ أي: تنقله الناس إلى بيوتهم؛ ليأكلوه، بل يتركوه رغبة عنه؛ لرداءته.

ونحن نعلم علمًا لا نشك فيه: أن الحيل التي تتضمن تحليل ما حرمه الله جَلَّجَلَالُهُ، وإسقاط ما أوجبه لو كانت جائزة لسنَّها الله جَلَّجَلَالُهُ، وندب إليها لما فيها من التوسعة، والفرج للمكروب، والإغاثة للملهوف، كما ندب إلى الإصلاح بين الخصمين.

فهلّا ندب النبي ﷺ إلى الحيل، وحضَّ عليها؛ كما حضَّ على إصلاح ذات البين؟ بل لم يزل يُحذِّر من الخداع، والمكر، والنفاق، ومشابهة أهل الكتاب؛ باستحلال محارمه بأدنى الحيل!

ولو كان مقصود الشارع إباحة تلك المحرمات: التي رتب عليها أنواع الذَّمِّ والعقوبات، وسدِّ الذرائع الموصلة إليها لم يحرمها ابتداءً، ولا رتَّب عليها العقوبة، ولا سدَّ الذرائع إليها، ولكان ترك أبوابها مفتحة أسهل من المبالغة في غلقها وسدِّها، ثم يفتح لها أنواع الحيل، حتى ينقِّب المحتال عليها من كل ناحية، فهذا مما تصان عنه الشرائع، فضلًا عن أكملها شريعة، وأفضلها دينًا.

وقد قدمنا: أن الضرر والمفاسد الحاصلة من تلك المحرمات لا يزول بالاحتيال والتنقيب عليها، بل تقوى وتشتد مفاسدها»[1].

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٣٨ وما بعدها) باختصار وتصرف.

بنو إسرائيل والغلو

نفوس اليهود خبيثة تملؤها اللَّجاجة، ويسكنها الفساد، ويستوطنها التنطع والتعمُّق؛ فلا تهدأ إلا على مركب العنت، ولا تمر إلا على جسر من الغلو، وهذا واضح في قصة البقرة:

فإن القضية لا تستحق كلَّ هذه المفاوضات بينهم وبين نبيهم كليم الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولا تستوجب كلَّ هذا التَّشديد؛ فلو أنهم عندما استعرضوا البقر؛ أخذوا إحداها؛ لكفتهم؛ كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها؛ لكنهم شدَّدوا؛ فشدَّد الله عليهم»[1].

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وهو يذكر العبر المستفادة من قصة البقرة: «... ومنها: أنه لا ينبغي مقابلة أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ بالتعنُّت، وكثرة الأسئلة، بل يبادر إلى الامتثال؛ فإنهم لما أُمروا أن يذبحوا بقرة؛ كان الواجب عليهم: أن يبادروا إلى الامتثال بذبح أيِّ بقرة اتفقت، فإن الأمر بذلك لا إجمال فيه ولا إشكال، بل هو بمنزلة قوله: أعتق رقبة، وأطعم مسكينًا، وصم يومًا، ونحو ذلك، ولذلك غلط من احتج بالآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، فإن الآية غنيَّة عن البيان المنفصل، مبينة نفسها، ولكن لما تعنَّتوا وشَدَّدوا؛ شُدِّد عليهم»[2].

وهذا الذي وقع فيه بنو إسرائيل من مظاهر الغلو عندهم؛ وهو: مما نهاهم الله عنه:

---

(١) مضى تخريجه (ص ١٥).

(٢) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٣١٥).

فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ولما وقع بنو إسرائيل في الغلو هلكوا، وتفرَّقوا طرائق قددًا:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال لي رسول الله ﷺ ذات غداة العقبة[١] -وهو وهو على راحلته-: «**القط لي حصى**»؛ فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف[٢]؛ فقال: «**أمثال هؤلاء؛ فارموا**»، ثم قال: «**يا أيها الناس! إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٣].

وسبب ورود حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ينبه على أمر مهم ؛ وهو: أن الغلو يبدأ بالأمر الصغير، والشيء الحقير، ولن يلبث إلا الوقت اليسير حتى يتسع خطره، ويتطاير شرره؛ حتى يقول الغلاة على الله غير الحقِّ، فضلوا وأضلوا، فمن الغلو تأتي جميع الانحرافات، فحق عليهم القول؛ فأهلكهم الله .

---

(١) أي صباح جمرة العقبة الكبرى، وهو صباح يوم النحر.

(٢) حذفت الحصاة؛ أي: رميتها بطرفي الإبهام والسبابة، والمراد الحصى الصغار؛ انظر: «المصباح المنير» (١/ ١٦٥).

(٣) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣٢٤٨) وأبو يعلى (٢٤٢٧ و ٢٤٧٢)، وابن الجارود (٤٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٧)، والحاكم (١٧١١) بإسناد صحيح؛ انظر: «الصحيحة» (١٢٨٣).

ولذلك حذرنا رسول الله ﷺ من اتباع سنن النصارى؛ مبينًا: أن الغلو مناف لحقيقة العبودية؛ فقال: «**لا تطروني؛ كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

ولقد بيَّن رسول الله ﷺ: أن عاقبة الغلو والتنطع والتشدُّد في العبودية: الهلاك؛ فقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا(٢).

ولقد قاوم الرسول ﷺ كلَّ اتجاه إلى الغلو في العبودية، وأنكر على من أراد أن يُحرِّم على نفسه النوم بالليل، وآخر الأكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وآخر أكل اللَّحم، وبعضهم هَمَّ بالاختصاء مبالغة في التعبد، وزيادة في التزهد، وفي أمثالهم قال رسول الله ﷺ: «**من رغب عن سنتي؛ فليس مني**»(٣).

ورحم الله شيخ الإسلام القائل: «دين الله وسط: بين الغالي فيه والجافي عنه»(٤).

وما ذلك؛ إلا لأنه من كيد الشيطان: «أنه يشام(٥) النفس حتى يعلم أيّ القوَّتين تغلب عليها:

قوَّة الإقدام والشجاعة.

أم قوَّة الانكفاف والإحجام والمهانة؟

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام؛ أخذ في تثبيطه، وإضعاف همَّته وإرادته عن المأمور به، وَثَقَّله عليه، فَهوَّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يُقَصِّر فيه، ويتهاون به.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨١ و ٥/ ٥٨و٢٦١ و ١٨/ ١٩١ و ٢٨/ ٢١٣).

(٥) جاء في «مختار الصحاح» (ص ١٧١): «شام مخايل النفس: تطلع نحوها ببصره منتظرًا له».

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلوَّ الهمة؛ أخذ يُقلِّل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة.

فيقصر بالأول.

ويتجاوز بالثاني.

كما قال بعض السلف: «ما أمر الله جَلَّجَلَالُهُ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:

إما إلى تفريط وتقصير.

وإما إلى مجاوزة وغلو.

ولا يبالي بأيهما ظفر».

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقلَّ القليل في هذين الواديين:

وادي التقصير.

ووادي المجاوزة والتعدي.

والقليل منهم جدًا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه:

فقوم قَصَّر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوساوس.

وقوم قصر بهم عن إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم، وقعدوا كَلًّا على الناس، مستشرفين إلى ما بأيديهم! (١)

وقوم قَصَّر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم.

وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة، فأضروا بقلوبهم وأبدانهم.

---

(١) وانظر لمزيد بيان حول هذه المسألة: «إتحاف السالك بفوائد حديث المخلفين من رواية كعب بن مالك» بقلمي (ص ١٨٣).

وكذلك قصر بقوم في حقِّ الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم.

وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم.

وقصر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات؛ كالجمعة، والجماعات، والجهاد، وتعلُّم العلم، وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم، والمعاصي، والآثام.

وقصر بقوم حتى منعهم من الاشتغال بالعلم الذي ينفعهم.

وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به.

وقصر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذاء بني آدم.

وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص.

وقصر بقوم حتى زيَّن لهم ترك سنة رسول الله ﷺ من النكاح، فرغبوا عنه بالكلية.

وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام.

وقصر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح، وأعرضوا عنهم، ولم يقوموا بحقهم.

وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله جَلَّجَلَالُهُ.

وكذلك قصر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية.

وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حلَّلوه، والحرام ما حرَّموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة.

وقصر بقوم حتى قالوا: إن الله جَلَّجَلَالُهُ لا يقدر على أفعال عباده، ولا شاءها منهم، ولكنهم يعملونها بدون مشيئة الله جَلَّجَلَالُهُ وقدرته.

وتجاوز بآخرين حتى قالوا: إنهم لا يفعلون شيئًا ألبتة، وإنما الله جَلَّجَلَالُهُ هو فاعل تلك الأفعال حقيقةً، فهي نفس فعله لا أفعالهم، والعبد ليس له قدرة ولا فعل البتة.

وقصر بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين ليس داخلًا في خلقه، ولا بائنًا عنهم، ولا هو فوقهم، ولا تحتهم، ولا خلفهم، ولا أمامهم، ولا عن أيمانهم، ولا عن شمائلهم.

وتجاوز بآخرين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته؛ كالهواء الذي هو داخل في كل مكان[1].

وقصر بقوم حتى قالوا: لم يتكلَّم الربُّ بكلمة واحدة ألبتة.

وتجاوز بآخرين حتى قالوا: لم يزل أزلًا وأبدًا قائلًا: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، ويقول لموسى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ [طه: ٢٤]، فلا يزال هذا الخطاب قائمًا به ومسموعًا منه؛ كقيام صفة الحياة به.

وقصر بقوم حتى قالوا: إن الله جَلَّجَلَالُهُ لا يُشفِّعُ أحدًا في أحدٍ ألبتة، ولا يرحم أحدًا بشفاعة أحدٍ.

وتجاوز بآخرين حتى زعموا: أن المخلوق يشفع عنده بغير إذنه؛ كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم.

وقصر بقوم حتى قالوا: إيمان أفسق الناس وأظلمهم؛ كإيمان جبريل وميكائيل؛ فضلًا عن أبي بكر وعمر.

وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة.

وقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب جَلَّجَلَالُهُ وصفاته، وعطلوه منها.

وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه، ومثلوه بهم.

وقصر بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول الله ﷺ، وقاتلوهم، واستحلُّوا حرمتهم.

وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة: من العصمة وغيرها، وربما ادعوا فيهم الإلهية.

وكذلك قصر باليهود في المسيح حتى كذَّبوه، ورموه وأمه بما برأهما الله جَلَّجَلَالُهُ منه.

---

(١) والحق الذي أجمعت عليه الأمة: أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه، بائن عن خلقه، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا بعلمه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وانظر رسالتي: «أين الله ؟» وكتابي الآخر: «مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية».

وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله ، وجعلوه إلهًا يُعْبَدُ مع الله .

وقصر بقوم حتى نفوا الأسباب والقوى والطبائع والغرائز.

وتجاوز بآخرين حتى جعلوها أمرًا لازمًا لا يمكن تغييره ولا تبديله، وربما جعلها بعضهم مستقلةً بالتأثير.

وقصر بقوم حتى تعبدوا بالنجاسات؛ وهم: النصارى وأشباههم.

وتجاوز بقوم حتى أفضى بهم الوسواس إلى الآصار والأغلال؛ وهم: أشباه اليهود.

وقصر بقوم حتى تزيَّنوا للناس وأظهروا لهم من الأعمال والعبادات ما يحمدونهم عليه.

وتجاوز بقوم حتى أظهروا لهم من القبائح ومن الأعمال السيئة ما يسقطون به جاههم عندهم، وسموا أنفسهم: الملامتية[1].

وقصر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب، ولم يلتفتوا إليها، وعَدُّوها فضلًا، أو فضولًا.

وتجاوز بآخرين حتى قصروا نظرهم وعملهم عليها، ولم يلتفتوا إلى كثير من أعمال الجوارح.

وهذا باب واسع جدًا، لو تتبعناه لبلغ مبلغًا كثيرًا، وإنما أشرنا إليه أدنى إشارة»[2].

---

(١) إحدى طوائف غلاة الصوفية: ممن يزعمون: أن الارتسام بالشريعة رتبة العوام، ويقتحمون ما يلامون عليه من المعاصي؛لأجل أغراض سامية بزعمهم. انظر: «فرق معاصرة» للدكتور غالب عواجي (٣/ ٨٧٥ - وما بعدها).

وقد تكلم عنهم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ١٦٨ - وما بعدها).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٥-١١٨).

أهمية قول إن شاء الله في الأمور المستقبلية

لما وقع على بني إسرائيل من التشديد بغلوِّهم أقصاه، وأراد ربك جَلَّجَلَالُهُ أن يبلغ الأمر منتهاه؛ ألهمهم قول: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾.

وقد ورد ذلك في حديث ضعف مبناه؛ لكن صح معناه؛ فعن أبي هريرة جَلَّجَلَالُهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن بني إسرائيل استثنوا؛ فقالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] ما أعطوا، ولكن استثنوا**»[1].

والأصل في هذا الباب قول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ٢٣ و ٢٤].

فهذه الآية فيها أدب إسلامي عظيم، وخلق رباني رفيع؛ وهو: أن الإنسان إذا عزم على فعل مستقبلي عليه أن يربطه بمشيئة الله جَلَّجَلَالُهُ.

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه ﷺ: عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة؛ إلا أن يصله بمشيئة الله ؛ لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله»[2].

---

(١) أخرجه تمام في «فوائده» (٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٧)، وابن مردويه في تفسيره كما في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١١١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة».

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٥/ ٢٢٣-٢٢٤).

ويقول السعدي: «فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ من دون أن يقرن بمشيئة الله ، وذلك لما فيه من المحذور؛ وهو: الكلام على الغيب المستقبل الذي لا يدري: هل يفعله أم لا؟ وهل يكون أم لا؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً وذلك محذور محظور؛ لأن المشيئة كلها لله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، ولما في ذكر مشيئة الله من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه»[١].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا إرشاد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يَرُدَّ ذلك إلى مشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ علام الغيوب، الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون»[٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: عاتب الله جَلَّ جَلَالُهُ نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذي القرنين: غدًا أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك.

فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يومًا حتى شقَّ ذلك عليه، وأرجف الكفار به؛ فنزلت عليه هذه السورة مُفَرِّجة[٣].

وَأُمِر في هذه الآية ألَّا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غدًا كذا وكذا؛ إلا أن يُعَلِّق ذلك بمشيئة الله جَلَّ جَلَالُهُ حتى لا يكون محققًا لحكم الخبر؛ فإنه إذا قال: لأفعلنَّ ذلك ولم يفعل كان كاذبًا، وإذا قال: لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققًا للخبر

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٧٤).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ١٩٠).

(٣) لا يصح هذا في أسباب نزول الآية، وانظر كتابي: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/ ٤٧٠-٤٧١).

عنه... وهي بعد تَعُمُّ جميع أمته؛ لأنه حكم يتردد في الناس؛ لكثرة وقوعه، والله الموفق»(١).

وبالجملة؛ فهذه الآية الكريمة تُبَيِّنُ فضل قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وأهميتها لكلِّ الأمور المستقبلية، وأن العاقل من تسلَّح بها؛ فجعل الله حسبه.

قال ابن عاشور: «وظاهر الآية اقتصار إعمالها على الإخبار بالعزم على فعل في المستقبل دون ما كان من الكلام إنشاءً مثل الإيمان»(٢).

وقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذه الحقيقة؛ فمن ذلك:

١- ما كان من هديه ﷺ فيما يستقبله من أموره التي يعزم على فعلها، ومن ذلك ما يقوله إذا رجع من الغزو؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ: كان إذا قفل كبر ثلاثًا، وقال: **«آيبون إن شاء الله تائبون، عابدون، حامدون، لربنا ساجدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده»**(٣).

٢- وكذلك قوله ﷺ لعتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«سأفعل إن شاء الله»** عندما طلب منه عتبان أن يأتي إلى بيته ليصلي في مكان من البيت يتخذه عتبان مصلى يصلي فيه، وإن لم يكن مسجداً(٤).

٣- حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: كنَّا مع عمر بين مكة والمدينة؛ فتراءينا الهلال، وكنت رجلًا حديد البصر؛ فرأيته، وليس أحد يزعم: أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه. قال: يقول عمر: سأراه، وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يومًا يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس؛

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٨٥-٣٨٦).
(٢) «التحرير والتنوير» (١٥/ ٢٩٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٨٤) ومسلم (١٣٤٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).
وانظر: «كتاب حديث عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دراسة تحليلية» للدكتور محمد القناص.

يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**» قال: فقال عمر: فو الذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ.

قال: فجُلعوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: «**يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني الله حقًّا**».

قال عمر: يا رسول الله ! كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟

قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئًا**»[1].

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**قال سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين، كلُّهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله ، فلم يقل: إن شاء الله ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقِّ رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله ؛ لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون**»[2].

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: «**إن يأجوج ومأجوج يحفرون كلَّ يوم، حتى إذا كادوا يَرَوْنَ شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا؛ فَسَنَحْفِرُه غدًا، فيعيده الله أشدَّ ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا إن شاء الله جَلَّ جَلَالُهُ، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فَيُنْشِفُون الماء، وَيَتَحصَّنُ الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدَّمُ الذي اجفظ**[3]**، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نَغَفًا**[4] **في**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٣)

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٣) أي: ملئت بالدماء.

(٤) نوع من الديدان.

أقفائهم فيقتلون بها. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دوابَّ الأرض لَتَسْمَن وَتَشْكُرُ[١] شُكرًا من لحومهم»[٢].

هذه الأحاديث الصحيحة تُؤَكِّد وجوب قول: إن شاء الله في الأمور المستقبلية؛ حتى ولو بعد كلامك إذا ذَكَّرك غيرك؛ كما دلَّ على ذلك ما ورد عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ذكره صاحبه له؛ فقال له: قل: إن شاء الله ؛ لأن ترك قول إن شاء الله معناها: إيكال الأمور إلى نفسك، وأنت عبد ضعيف؛ لا قوَّة لك إلا بالله العلي العظيم الذي بيده ملكوت كلِّ شيء.

قال الإمام الطحاوي في «عقيدته»: «وكل شيء يجري بتقديره، ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد؛ إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلًا»[٣].

قلت: ومن تأمل كتاب الله وتدبره وجد تفاصيل هذه الجملة واضحة لذي عينين[٤].

عينين[٤].

إذًا؛ فليفكر الإنسان لكن ليستشعر أنه يفكر بتدبير الله ، وليخطط لكن ليعلم أنه ينفذ بتيسير الله . . وهذه العقيدة تمدُّ العبد بالثقة، وتزوده بالقوَّة، وتورثه الطمأنينة؛ فلا يشعر بالوحدة، ولا يجد الوحشة، ولا يحس باليأس، بل يبقى في كلِّ أحواله وجميع أحيانه متصلًا بالله ، معتمدًا على مولاه، شاكرًا لتوفيقه، مُسَلِّمًا بقدره وقضائه.

---

(١) تمتلئ من السِّمَن.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وابن حبان (٦٨٢٩)، وأحمد (١٠٦٣٢)، والحاكم (٥٨٠١) بإسناد صحيح، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٧٣٥).

(٣) «العقيدة الطحاوية شرح وتعليق» للألباني (ص ٢١)، وانظر-أيضًا- (ص ٥٥).

(٤) وقد استقصاها الشيخ يحيى بن علي الحجوري وفقه الله في رسالة مستقلة: «من أهم الآداب الإسلامية قول (إن شاء الله) في الأمور المستقبلية» فلتراجع.

اليهود وتقديس المادة

من خلال أحداث قصة بقرة بني إسرائيل تظهر عقيدة اليهود المادية، وتتجلى في تقديسهم للمال، وأنهم لا يؤمنون إلا بما هو مادي تراه أعينهم، وتلمسه أيديهم!

وهذه الحقيقة التي هي من أخصِّ خصائص اليهود؛ يثبتها استقراء سورة البقرة على وجه الخصوص وباقي سور القرآن الكريم على وجه العموم؛ حيث يظهر أنهم ماديون عبر جميع مراحل تاريخهم، ومن ذلك:

١- التذكير بنعمة الله .

طلب الله جَلَّجَلَالُهُ من بني إسرائيل أن يذكروا نعمه:

فقال: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧]. ولذلك لأنهم ماديون؛ ذكَّرهم بنعمته المادية.

وأما أمة الإسلام المرحومة لما خاطبهم في هذا المقام:

قال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

لأنها أمة غير مادية، ولا تُألِّه المال.

وفرق كبير بين أن يكون الإنسان مع النِّعمة أو أن يكون مع المنعم: فالمادي لا يعيش إلا مع النِّعمة، ولا يحيا إلا بها، ولا يقدس إلا إياها.

ولذلك؛ فهو يعبد الله على حرف: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ ﴾ [الحج: ١١].

وأما الرباني؛ فهو يحبُّ المنعم[1]: يحيا بذكره، ويطمئن بشكره، ويعيش في معيَّته، ويكون في كنفه.

٢- الثمن القليل.

من آتاه الله علمًا ورفعة بآياته؛ فلابدَّ أن يطلب بها وجه الله والدار الآخرة، وأما من جعلها سُلَّمًا للوصول إلى مالٍ، أوجاه، أو مكسب زائل؛ فقد اشترى بها ثمنًا قليلًا، وهذا ما طبقه اليهود حيث جعلوا آيات الله صفقة للحصول على مكاسب دنيوية، ومغانم فانية؛ ولذلك قال جَلَّجَلَالُهُ مخاطبًا لهم: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

وكأنهم دفعوا آيات الله التي عليها مدار خير الدنيا والآخرة، وأخذوا مقابلها عَرَضًا زائلًا، وعوضًا فانيًا، ولذلك تجدهم يُقَدِّسون المال، ويؤلهون المادة، رغم ما هو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن ادم علِّم مجاناً؛ كما عُلِّمت مجاناً[2].

٣- عبادة العجل:

عقلية اليهود الهابطة وطبيعتهم المادية الرَّديَّة لم تجعلهم قادرين على تقدير الله حقَّ قدره، وتنزيهه عن نقائص المادة، ونقائض المخلوقين، فَتصوَّروا أن الله جَلَّجَلَالُهُ كالآلهة التي يعبدها البشر؛ فلما مرُّوا على قوم يعبدون الأصنام طلبوا من موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أن يجعل لهم إلهًا ماديًّا مثل هؤلاء القوم: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ و١٣٩].

ولكن المادة التي أُشربوها في قلوبهم لم تغادرهم؛ فلما ذهب موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لميقات ربه، وترك أخاه هارون عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مع قومه .. لم يكد موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يغيب عنهم حتى

---

(١) المنعم ليس من الأسماء الحسنى، وإنما هو من باب الخبر، والخبر أعم؛ وانظر: «الإنباه إلى ما ليس من أسماء الله» لصالح العصيمي (ص ٤٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٤٤).

عبدوا العجل: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١] . . لقد صنع لهم السامريُّ عجلًا جسدًا له خوار، وزعم: أنه إلههم وإله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وهذا الموقف برهان واضح، ودليل لائح: أنهم ماديون حتى النخاع، ولذلك قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٢ و ٩٣][1].

٤- طلبهم رؤية الله جهرة:

أظهر يهود ندمهم؛ لأنهم عبدوا العجل؛ فجعل الله جَلَّجَلَالُهُ توبتهم أن يقتلوا أنفسهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

لقد اتفق المفسرون من علماء السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أن: «هذه صفة توبته جَلَّجَلَالُهُ على بني إسرائيل من عبادة العجل.

قال الحسن البصري: في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾، فقال: ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، حين قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ

(١) وقصة عجل بني إسرائيل فصَّلنا القول فيها في كتابنا: «عجل بني إسرائيل ومرحلة التيه: دراسات استراتيجية في الصراع الإسلامي اليهودي»؛ يسّر الله إتمامه على خير وبركة.

﴿يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]؛ قال: فذلك حين يقول موسى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾.

وقال أبو العالية، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾؛ أي: إلى خالقكم.

قلت: وفي قوله ههنا: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾؛ تنبيه على عظم جرمهم؛ أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم، وقد عبدتم معه غيره.

عن ابن عباس؛ قال: قال الله جَلَّجَلَالُهُ: إن توبتهم أن يقتل كلُّ رجل منهم كلَّ من لقي من ولدٍ أو والدٍ، فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن؛ فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للقاتل والمقتول[1].

وعنه؛ قال: قال موسى لقومه: توبوا إلى بارئكم؛ فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم، فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم؛ قال: أمر موسى قومه عن أمر ربه جَلَّجَلَالُهُ أن يقتلوا أنفسهم. قال: واحتبى الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا،

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى (٢٦١٨)، وابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٦) وهو صحيح موقوفًا.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٩٣): «وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً».

وقال البوصيري «إتحاف الخيرة المهرة» (٨/ ١٢٤): «هذا إسناد صحيح».

قلت: ثبت عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنه لا يرى جواز الرواية عن بني إسرائيل؛ فظاهر القول: أنه مرفوع حكمًا، والله أعلم.

فانجلت الظلمة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة[1].

وعن سعيد بن جبير ومجاهد في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: قالا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر، يقتل بعضهم بعضًا؛ لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد، حتى ألوى موسى بثوبه، فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي؛ فقد اكتفيت؛ فذلك حين ألوى موسى بثوبه[2].

وقال قتادة: أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضًا، حتى بلغ الله فيهم نقمته، فسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل، فجعل لحيِّهم توبة، وللمقتول شهادة.

وقال الحسن البصري: أصابتهم ظلمة حندس[3]، فقتل بعضهم بعضًا، ثم انكشف عنهم، فجعل توبتهم في ذلك[4].

وقال السدي: في قوله: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ قال: فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيدًا، حتى كثر القتل، حتى كادوا أن يهلكوا، حتى قتل منهم سبعون ألفًا، وحتى دعا موسى وهارون: ربنا أهلكت بني إسرائيل، ربنا البقية البقية.

فأمرهم أن يضعوا السلاح، وتاب عليهم؛ فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدًا، ومن بقي مُكَفَّرًا عنه، فذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٦٨٠) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٧٩) بإسناد صحيح.

(٣) الحندس: الليل الشديد الظلمة، وأسود حندس: شديد السواد، وجمعه: حنادس، والحنادس ثلاث ليال في آخر الشهر؛ انظر: «المعجم الوسيط» (ص ٢٠٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٠) وسنده جيد.

(٥) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨٠) مطولًا وابن أبي حاتم (٥٣٣) وسنده حسن.

وقال الزهري: لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى، فاضطربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالخناجر، وموسى رافع يديه حتى إذا أفنوا بعضهم؛ قالوا: يا نبي الله، ادع الله لنا؛ وأخذوا بعضديه يسندون يديه؛ فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قَبِلَ الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض، فألقوا السلاح.

وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جَلَّجَلَالُهُ إلى موسى: ما يحزنك؟ أما من قتل منهم؛ فحيٌّ عندي يرزقون، وأما من بقي فقد قبلت توبته؛ فَسُرَّ بذلك موسى وبنو إسرائيل»[1]»[2].

لكن هذه التوبة الشديدة التي حصدت الآلاف منهم لم تستأصل طبعهم المادي، ونفوسهم التي أشربت ذلك.. لقد عادوا يريدون إلهًا ماديًا يرونه بأعينهم، ويلمسونه بأيديهم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥و٥٦].

٥- قسوة قلوبهم.

لقد رأى يهود جميع تلك الآيات، ودمغتهم بالحجج البيِّنات؛ لكن قلوبهم أقسى من الحجارة؛ لأن المادة تربعت على عرشها، والمال تغلغل إلى سويدائها... ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

يقيس قلوبهم إلى الحجارة؛ فإذا هي أشد قسوة.. لقد رأوا الحجر يَتَفَجَّرُ عيونًا؛ قد علم كل قوم مشربهم . . ورأوا الجبل يندك حين تجلَّى عليه الله جَلَّجَلَالُهُ وَخَرَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

---

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨٢) بإسناد جيد؛ كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٩٥-٩٦) باختصار.

صعقًا.. لكن قلوبهم لا تلين لذكر، ولا تنبض بخشية.. فهي قاسية كالحجارة مجدبة بل أشدُّ قسوة!!.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد التصوُّر فضلًا عن الوقوع؛ أشار إليه بقوله ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ من القسوة؛ وهي: اشتداد التصلُّب والتحجُّر ﴿قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعدما تقدم وصفه من الخوارق في المراجعات وغيرها تذكيرًا لهم بطول إمهاله لهم جَلَّجَلَالُهُ مع توالي كفرهم وعنادهم، وتحذيرًا من مثل ما أحل بأهل السبت؛ ﴿فَهِىَ﴾؛ أي: فتسبب عن قسوتها أن كانت ﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾ التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحيى حيٍّ والحجر أجمد جامد، ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، ولأنه قد يلين.

ولما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها ألين لين، وبالنظر إلى ثباتها على حالة أصلب شيء كانت بحيث تحيَّر الناظر في أمرها؛ فقال ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ لأنها لا تلين لما حقُّه أن يُلَيِّنها، والحجر يلين لما حقُّه أن يُلَيِّنَه، وكل وصف للحي يشابه به ما دونه أقبح فيه مما دونه، من حيث إن الحي مهيأ لضد تلك المشابهة بالإدراك.

ولما كان التقدير: فإن الحجارة تنفعل بالمزاولة عطف عليه مشيرًا إلى مزيد قسوتهم وجلافتهم بالتأكيد قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ وزاد في التأكد تأكيدًا لذلك قوله ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ﴾؛ يتفتح بالسعة والكثرة ﴿مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ذكر الكثير من ذلك، وتذكيرًا بالحجر المتفجر لهم منه بالأنهار بضرب العصا، ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾؛ من الشقِّ؛ وهو: مصير الشيء في الشقين؛ أي: ناحيتين متقابلتين؛ ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ الذي هو دون النهر، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفله لأمر الملك الأعلى له بذلك، وقلوبكم لا تنقاد لشيء من الأوامر؛ فجعل الأمر في حقِّ القلوب لما فيها من العقل كالإرادة في حق الحجارة لما لها من الجمادية، وفي ذلك تذكير لهم بالحجارة المتهافتة من الطور

عند تجلِّي الرب ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، فانتظروا عذابًا مثل عذاب أصحاب السبت: إما في الدنيا، وإما في الآخرة»[١].

وقال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... معنى ﴿ثُمَّ قَسَتۡ﴾ استبعاد القسوة بعد ما ذكر ما يوجب لين القلوب ورقَّتها... لأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر فيه من الاعتبار والعظات ما يقتضي لين القلوب، والإنابة إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، والتسليم لأقضيته؛ فصدر منهم غير ذلك، من غِلَظِ القلوب وعدم انتفاعها بما شاهدت...»[٢].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول الله توبيخًا لبني إسرائيل، وتقريعًا لهم على ما شهدوه من آيات الله جَلَّجَلَالُهُ وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ كلِّه؛ فهي كالحجارة التي لا تلين أبدًا، ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]»[٣].

٦- وصف اليهود الله جَلَّجَلَالُهُ بما لا يليق من الصفات المادية:

نظرًا لعقيدة اليهود المادية الغليظة؛ فإنهم وصفوا الله بأوصاف كلها مادية لا تليق به جَلَّجَلَالُهُ، والعهد القديم الذي بأيدي اليهود مليء بتلك الأوصاف التي لا تليق بذاته المنزهة، ومما وصف اليهود الله رب العالمين به، ومنه تتضح العقيدة المادية في حياتهم في هذا الجانب:

- زعمهم: أن الله يأكل ويشرب، ويمشي، ويصارع.
- زعمهم: بأن الله استراح في اليوم السابع (السبت) من جميع أعماله بعد أن تعب بعد الخلق.

---

(١) «نظم الدرر» (١/ ١٧٣-١٧٤) بتصرف.

(٢) «البحر المحيط» (١/ ٤٢٧-٤٢٨).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١١٧).

- وصفهم الله بأنه فقير: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

- وصفهم الله بأن يده مغلولة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] [1].

وهذه الحقائق تبين: أن تقديس المادة عند اليهود عقيدة متجذرة في قلوبهم.

وقد اعترف اليهود أنفسهم بذلك؛ ففي سنة (٢٠٠٢م) أصدر الباحث اليهودي الفرنسي (جاك أتالي) المستشار الثقافي للرئيس الفرنسي (هنري ميتران) كتابًا تحت عنوان: «اليهود: العالم والمال»: التاريخ الاقتصادي للشعب اليهودي[2].

والناظر في أحوال العالم يرى أن اليهود ترجموا هذه العقيدة:

- إلى معسكر شرقي ملحد: يؤله المادة، ويعبدها: «لا إله والحياة مادة».

- وآخر غربي رأسمالي: يؤله المال، ويقدسه.

وقد كشف هذه الحقيقة (جيري مولر) أستاذ التاريخ بالجامعة الكاثوليكية الأمريكية في واشنطن في كتابه: «الرأسمالية اليهودية»، الذي صدر سنة (٢٠١٠م) [3].

---

(١) وانظر للاستزادة: «اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري» للدكتور فرج الله عبد الباري (ص ١١٢-١٢٥).

(٢) انظر: قراءة في كتاب: «اليهود والمال»، إدريس الكنبوري: مقالة نشرت في موقع الإسلام، اليوم بتاريخ (١٥/ ١/ ٢٠٠٣م).

وللاستزادة في موضوع اليهود والمال؛ انظر: «العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية» للدكتور سعد الدين صالح، فصل (السيطرة على الاقتصاد العالمي - ص١٩٣ وما بعدها).

(٣) انظر «جريدة الاتحاد الإماراتية» بتاريخ (٥/ ٢/ ٢٠١٠م) حيث عرضت فكرته باختصار.

بنو إسرائيل
بين عقيدة القتل وعقدة سفك الدماء

من يتتبع تاريخ اليهود القديم وصندوقهم الأسود الحديث، سيجد حبَّهم الشديد للقتل، وعشقهم الأكيد لسفك الدماء؛ حقدًا على الحياة والإنسانية، واستمرارًا لعقدة السعي للفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ و٢٠٥].

فقد أثبت اليهود على مدى تاريخهم دموية لم تعرف البشرية مثلها؛ فلغتهم الوحيدة التي يخاطبون العالم بها؛ هي: إعمال السيف، وآلة القتل، بكل وحشية وإجرام، ومن ذلك:

- قتل الأنبياء:

اشتهر اليهود بقتل الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى أصبحت هذه السُنَّة السيئة وصمة عار على جبينهم، يُذْكَرون بها كلما ورد ذكرهم في الآفاق، ويوصفون بها كلما أزهقت روح بريئة، وقتلت نفس معصومة، ولأن هذه السنَّة السيئة من خصالهم الدَّنيئة، وأخلاقهم الذميمة؛ فقد ذكرها الله جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه المجيد في عدة مواضع؛ منها:

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٨١ و ١٨٣].

وقد ذكرت كتب التاريخ: أنهم قتلوا أشعياء، وأرميا، ودانيال، وحزقيل، وعاموص، ويحيى، وزكريا، وحاولوا قتل المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بل حاولوا قتل محمد ﷺ بالسُّمِّ.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة؛ فأكل منها؛ فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؛ فقالت: أردت لأقتلك. قال: «**ما كان الله ليسلطك على ذاك**» قال أو قال: «**عليَّ**» قال: قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «**لا**» قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول ﷺ شاة فيها سُمٌّ. فقال رسول الله ﷺ: «**اجمعوا إلي من كان ههنا من اليهود**» فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» قالوا: نعم. قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟**» فقالوا: نعم. فقال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: أردنا إن كنت كذابًا نستريح منك، وإن نبيًّا لم يضرك[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) واللفظ له.

والمعنى: أن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كان يعرف أثر السم بتغير لون لهوات النبي ﷺ أو بنتوء وحفر فيها؛ انظر: «منحة الباري شرح صحيح البخاري» لزكريا الأنصاري (٥/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٧).

قال الزرقاني في شرحه على «المواهب اللدنية» (١٢/ ٩٤): «ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته؛ لأنهم قالوا: إن كان نبيًّا لم يضره، وإن كان ملكاً استرحنا منه، فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوته؛ فلم يضره السم طول حياته، ولم يؤثر فيه في ذلك الوقت غير ما أثر بلهواته وغير كان يعاوده منه في أوقات».

وبقي هذا السُّمُّ يعاود رسول الله ﷺ حتى وفاته؛ فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: كان النبي ﷺ يقول -في مرضه الذي مات فيه-: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السُّمِّ**»[1].

ولذلك كان يجزم عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأن رسول الله ﷺ توفي شهيدًا.

فعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: لأن أحلف بالله تسعًا: أن رسول الله ﷺ قتل قتلًا أحب إلي من أحلف واحدة، وذلك بأن الله جَلَّجَلَالُهُ اتخذه نبيًا، وجعله شهيدًا[2].

فجمع الله لنبيه بين النبوة والشهادة مبالغة في الترفيع والكرامة وعلو المنزلة عند الله تبارك وجَلَّجَلَالُهُ.

وعقيدة القتل وعقدة سفك الدماء جزء من النفسية اليهودية[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) معلقًا، ووصله البزار والحاكم وغيرهما، وهو صحيح؛ انظر فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٣١).

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ١١٥- برقم ٣٦١٧)، والحاكم (٣/ ٥٨) وإسناده صحيح.

(٣) هذا ثابت تاريخيًا:

- فقد ذكر ذلك المؤرخ اليهودي (فلافيوس يوسيفوس) المتوفى سنة (٩٥م) في تاريخه للملك انطوفيوس الرابع.

- والمؤرخ الإنجليزي (أرنولد لويز) في كتابه: «طقوس الاغتيالات اليهودية».

- و(ول ديورانت) في كتابه: «قصة الحضارة».

- والدكتور (روهلنج) في كتابه: «اليهودي حسب التلمود».

- والأستاذ (حبيب فارس) في كتابه: «صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية» في ثلاثة أجزاء، وساق بيناتها، وأورد حجتها القضائية.

- وألمح إليها الكاتب الإنجليزي الشهير (شكسبير) في مسرحيته العالمية: «تاجر البندقية».

- ومعاصره (كريستوفر مارلو) في مسرحتيه الشهيرة: «يهودي مالطة».

وانظر -لزومًا- كتاب: «الذبائح البشرية التلمودية» لعبد العاطي جلال، وكتاب «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» لعبد الله التل، فصل (آكلو الدماء البشرية» (ص ٧٧)، وفصل «شهوة القتل» (ص ٣٢٥). =

وثمة كتاب خطير تحاول الصهيونية العالمية إخفاءه؛ لأنه برهان واضح على عقيدة القتل، ودليل لائح على عقدة سفك الدماء... اسمه : «إظهار سر الدم المكتوم» الذي ألفه الحاخام ناوفيطوس الذي اعتنق النصرانية بعد إطلاعه على جرائم اليهود، وقرأ بروتوكولاتهم السِّرِّيَّة التي تبيح لليهودي سفك غيرهم من الأمم.

وهذا الكتاب تفسير واقعي لقصة المجازر اليهودية التي اقترفها اليهود في أقطار شتى؛ فكانوا يستنزفون دماء النصارى بسبب عقيدة تدعوهم إلى استنزاف هذه الدماء؛ لصناعة الفطيرة المقدسة في عيد الفصح اليهودي: عيد عبور بني إسرائيل خارج مصر.

ومن تدبر جريمة «فطيرة الأب توما» التي وقعت في مدينة دمشق الشام سنة (١٨٤٠م) وجدها تفسر عقيدة فطيرة الدَّم التي يصنعها اليهود في يوم الفصح[1]:

(فرنسوا أنطوان توما) قسٌّ من رعايا الحكومة الفرنسية في دمشق، كان يمارس الطب، صنعت من دمائه فطيرة الدَّم.

فقد خرج (توما) في يوم كعادته وتوجه إلى حارة اليهود؛ ليلصق إعلانًا على واجهات البيوت والمعابد والمحال والكنس ببيع بيت في المزاد العلني لواحد من الرعايا الفرنسيين!

= ولشيخ الأزهر السابق (سيد طنطاوي) رسالة دكتوراة بعنوان: «بنو إسرائيل في الكتاب والسنة»، كشف فيها بالوثائق جذور دموية اليهود حتى تأسيس دولتهم سنة (١٩٤٨م) في فلسطين المسلمة – حررها الله من رجسهم–.

(١) راجع محاضر التحقيق في هذه القضية في كتاب: «تاريخ سوريا عام ١٨٤٠م» للمؤرخ الفرنسي (شارل لوران).

ونشرها كذلك الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي في كتابه «الكنز المرصود في فضائح التلمود».

وانظر «الكنز المرصود في قواعد التلمود» ترجمة يوسف نصر الله سنة (١٨٩٩م) (ص ٨٨ وما بعدها).

وقد صاغ القصة د. نجيب الكيلاني في روايته «دم لفطير صهيون» بأسلوب أدبي ماتع، وقد ألحق بها وثائق تاريخية للحادثة التي بنيت عليها الرواية.

لم يعد (توما) إلى الدير بعد الغروب، فخرج خادمه يبحث عنه في حارة اليهود؛ لكن لم يعد كسيده!!

بدأت الشرطة التفتيش في حارة اليهود بتتبع الإعلانات التي وضعها (توما)، وألصقها على الجدران: فوجدوا آخرها ملصقًا على دكان حلاق يهودي يدعى: سليمان، بالقرب من الكنيس اليهودي.

قبضت الشرطة على الحلاق، وأشبعوه ضربًا بالسياط؛ فاعترف بأن (توما) خطفه مجموعة من حاخامات اليهود، ودخلوا به بيت أحدهم، وأن الحاخامات دعوه بعد نصف ساعة من الغروب، وطلبوا منه ذبح (توما) الذي كان مربوط الذراعين . . فرفض الحلاق. . لكنهم أغروه بالذهب . . وأعطوه صكًّا: أنه بفعله ذلك يرضي الرب، ويدخل الجنة؛ ليلعب مع أنثى الحوت التي وعد الربُّ اليهود الصالحين بطعامها يوم القيامة.

وبعدما ذبحوا (توما) حافظوا على دمه؛ فلم تسقط قطرة واحدة خارج الطست، ثم جَرُّوه وجرَّدوه من ثيابه، وقطعوه إربًا إربًا، ووضعوه في كيس، وحملوه ورموه في قناة المجاري خارج حارة اليهود.

وقد جاء في محاضر التحقيق قول الحلاق: وقد استمر القسُّ على الطست نصف ساعة أو ثلثي ساعة حتى صفي دمه كاملًا، لقد كانوا حريصين على كلِّ نقطة دم حرصهم على الذهب والتلمود؛ كي يستعملوه في الفطيرة، فبعد أن وُضِعَ الدَّمُ في القنينة أرسلت إلى الحاخام موسى، وقد فعلوا ذلك اعتقادًا بأن الدَّم ضرورة لوضعه في الفطيرة، وهذا الدَّم لا يُعطى إلا للأتقياء من اليهود، وهؤلاء يرسلون الدقيق إلى الحاخام الأكبر، وهو يعجنه بنفسه، ويضع فيه الدَّم سرًّا دون أن يعلم أحد بالأمر، ثم يرسل الفطير لكل من أرسل الدقيق، وهو ملزم بإرسال الدَّم إلى اليهود الموجودين بالبلدان الأخرى.

لقد بات معروفًا: أن العقائد اليهودية التلمودية تؤكد وجوب سفك دماء غير اليهود.

فقد جاء في التلمود: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينقذ أحدًا من باقي الأمم من الهلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها».

والدم المسفوح من عروق غير اليهود يستعمل -أيضًا- في طقوس كثيرة؛ منها:

١- الزواج، وذلك بأن يصوم العروسان من المساء عن كلِّ شيء حتى يتمَّ عقد الزواج؛ فيتناولا بيضة مسلوقة مغموسة بدماء تدعوهم إلى إيقاع الأمم الأخرى في فخاخ الغش والخداع.

٢- ختان الأطفال في اليوم الثامن من ولادتهم؛ حيث يأخذ الحاخام كأسًا من خمر ممزوجة بنقطة دم مسفوح، ويضيف إليها دم الطفل المختون، ويمزجها مزجًا قويًّا، ثم يغمس خنصره في الكأس، ويدخله في فم الطفل مرتين، ويقول له: «إن حياتك هي بدمك».

٣- في التاسع من تموز يقيمون مناحات على خراب القدس، وكل يهودي ملزم بدهن جبهته من الصدغين برماد الكتان المغموس بالدم المسفوح.

وقد اضطر الرومان إلى إصدار قانون سنة (٦٥٨م) بمنع المذابح اليهودية، ومعاقبة من يرتكبها بالقتل؛ مما جعل حاخامات اليهود يلجؤون إلى ممارستها سرًّا.

ومن المذابح المسجلة في محاضر رسمية:

١- مذبحة بلواس سنة (١٠٧١م).

٢- مذبحة نورفيش سنة (١١٤٤م).

٣- مذبحة باريس سنة (١١٧٩م).

٤- مذبحة قصر بريسن سنة (١١٨١م).

٥- مذبحة لندن سنة (١١٨١م).

٦- مذبحة دورلينجين سنة (١١٩٨م).

٧- مذبحة فيسمبورج سنة (١٢٢٠م).

٨- مذبحة ميونيخ سنة (١٢٢٥م).

٩- مذبحة بورسعيد سنة (١٨٨١م).

١٠- مذبحة الأستانة سنة (١٨٨٣م).

وأما في تاريخنا المعاصر؛ فقد قام الكيان اليهودي الغاصب بكثير من المجازر الوحشية ضد المسلمين في فلسطين، ومصر، والأردن، ولبنان، وسوريا، وما جاورها من بلاد المسلمين بصورة تتقزز منها الأنفس البشرية، وتقشعر منها الأبدان.

وهذه البلاد يتعاملون معها وفق ما جاء في «سفر التثنية»: (٢٠: ١٥-١٨): «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا؛ فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرّمها تحريمًا: الحثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحوّيين، واليبوسيين؛ كما أمرك الرب إلهك؛ لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم؛ فتخطئوا إلى الرب إلهكم».

وأما الفلسطينيون خاصة؛ فمصيرهم الإبادة الجماعية؛ ففي «سفر أرميا: إصحاح ٤٧: فقرة ٤»: «بسبب اليوم الآتي لهلاك كلِّ الفلسطينيين، لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين؛ لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور».

وفي «سفر حزقيال» (٢٥: ١٦): «فلذلك هكذا قال السيد الرب: ها أنذا أمد يدي على الفلسطينيين، وأستأصل الكريتيين، وأهلك بقية ساحل البحر».

ومما لا يخفيه رئيس وزرائهم (إيهود أولمرت) إعجابه الشديد بيوشع[1] حيث يتخذه مثلًا؛ لأنه أسس للتقاليد العسكرية اليهودية المقدسة، والتي تطبقها جيوشهم حتى يومنا هذا:

---

(١) نبي الله يوشع بن نون -فتى موسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ- بريء من جرائم اليهود وما افتروه عليه زوراً وبهتاناً؛ ينظر نبذة من سيرته في كتابي: «صحيح قصص الأنبياء» لابن كثير (ص ٣٦٧)، و«صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء» (٢/ ٦٤٥).

القتل... والسحل... وتكسير العظام.. والطرد والتهجير:

ففي سفر «يشوع»: (٨: ٢٤-٢٥): «وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية؛ حيث لحقوهم وسقطوا جميعًا بحّد السيف حتى فنوا، إن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحدِّ السيف، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً، جميع أهل عاي».

وفي «سفر صموئيل الأول» (١٥: ٣): «فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ماله، ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلًا وامرأة، طفلًا ورضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملًا وحمارًا».

وفي «سفر العدد» (٣٣: ٥٥): «وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا في أعينكم، ومناخس في جوانبكم؛ يضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها».

إذًا:

لا للصلح؛ ففي «سفر الخروج» (٣٤: ١٢): «احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها؛ لئلا يصيروا فخًا في وسطك».

ولا سلام؛ ففي «سفر إشعياء» (٤٨: ٢٢): «لا سلام، قال الربُّ للأشرار».

وتأمل هذه الفتوى اليهودية التي قدَّمها الحاخام شيمون وايزر - حاخام القطاع الأوسط - للجندي موشيه، وورد ذكرها في كتاب: «إسرائيل شاحاك»: «اعلم يا بني بأنه حسب فتاوى موسى بن ميمون: أن شرَّ الأفاعي إسحق دماغها، وأن أفضل الأغيار يجب أن تستحق دماغه كالأفعى، وأما العربي فأفضل شيء تقدمه له هو أن تجعل حربتك تستقر في أمعائه».

ولذلك كان تاريخ اليهود في فلسطين كلُّه مجازر، وجميعه مذابح، تُبكي الصخور الصُّمَّ: «إن جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم.

ثم يرغمون الآخرين تحت لذع الرصاص على مغادرة منازلهم، وإخراجهم إلى البراري ومناطق احتلالهم؛ كما حدث في اللُّد والرملة والقرى المحيطة بهما.

وكان اليهود يقصدون إخراج العرب من ديارهم، ولهذا كانت أعمال الإرهاب إحدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها، وفي قرية ناصر الدين، لعل قصتيهما تكفيان للحديث عن مبررات الهجرة الفلسطينية»[1].

ودونك سرد تاريخي مختصر لتلك المجازر، وهاتيك المذابح؛ لأن التاريخ ذاكرة الأيام لمن أراد أن يتعظ بالأيام الخوالي، ويعتبر بالواقع الحالي، ويستعد للمستقبل الغالي:

- مذبحة سوق حيفا (٦/ ٣/ ١٩٣٧م)
- مذبحة فندق الملك داود (تموز ٢٢/ ٧/ ١٩٤٦م)
- مذبحة الطيرة قرب حيفا (١٣/ ١٢/ ١٩٤٧)
- مذبحة الخصاص (١٨/ ١٢/ ١٩٤٧)
- مذبحة قريتي الشيخ وحواسة جنوب شرق حيفا (٣١/ ١٢/ ١٩٤٧م)
- مجزرة السراي القديم - يافا (٤/ ١/ ١٩٤٨م)
- مجزرة الكرمل (١/ ١/ ١٩٤٨م)
- مجزرة فندق سمير أميس (٦/ ١/ ١٩٤٨م)
- مذبحة قرية سعسع (١٤ و ١٥/ ٢/ ١٩٤٨م)
- مذبحة رحوفوت قرب حيفا (٢٧/ ٢/ ١٩٤٨م)
- مذبحة كفر حسينية قرب صفد (١٣/ ٣/ ١٩٤٨م)
- مذبحة بنيا ميناه (٢٧/ ٣/ ١٩٤٨م)

---

(١) «جهاد شعب فلسطين في نصف قرن» صالح مسعود أبو يصير (ص٤٢٤).

- مذبحة دير ياسين	(٩/ ٤/ ١٩٤٨م)
- مذبحة صرفند	(١٠/ ٤/ ١٩٤٨م)
- مذبحة ناصر الدين - حطين	(١٤/ ٤/ ١٩٤٨م)
- مذبحة تل لتفنسكي	(١٦/ ٤/ ١٩٤٨م)
- مذبحة حيفا	(٢٢/ ٤/ ١٩٤٨م)
- مذبحة قالونيا - القدس	(٣/ ٥/ ١٩٤٨م)
- مذبحة الطنطورة	(١٥/ ٥/ ١٩٤٨م)
- مذبحة بيت دراس	(٢١/ ٥/ ١٩٤٨م)
- مذبحة اللُّد	(١٢/ ٧/ ١٩٤٨م)
- مذبحة الدوايمة	(٢٨/ ١٠/ ١٩٤٨م)
- مذبحة يازور	(٢٢/ ١/ ١٩٤٩م)
- مذبحة شرفات	(٧/ ٢/ ١٩٥١م)
- مذبحة بيت جالا	(٢٦/ ١/ ١٩٥٢م)
- مذبحة قرية فلمة	(٢٩/ ١/ ١٩٥٣م)
- مذبحة مخيم البريج	(٢٨/ ٨/ ١٩٥٣م)
- مذبحة قلقيلية	(١٠/ ١٠/ ١٩٥٣م)
- مذبحة قبية	(١٥/ ١٠/ ١٩٥٣م)
- مذبحة نحالين	(٩/ ٣/ ١٩٥٤م)
- مذبحة دير أيوب	(٢/ ١١/ ١٩٥٤م)

- مذبحة غزة الأولى (٢/ ١١/ ١٩٥٥م)
- مذبحة خان يونس الأولى (٣٠/ ٥/ ١٩٥٥م)
- مذبحة خان يونس الثانية (١/ ٩/ ١٩٥٥م)
- مذبحة غزة الثانية (٤ و ٥/ ١٩٥٦م)
- مذبحة كفر قاسم (٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م)
- مذبحة الرهوة (١١ و ١٢/ ٩/ ١٩٥٦م)
- مذبحة خان يونس الثالثة (٣/ ١١/ ١٩٥٦م)
- مذبحة رفح (١٢/ ١١/ ١٩٥٦م)
- مذبحة السَّموع (١٣/ ١١/ ١٩٦٦م)
- مذبحة مصنع أبي زعبل (١٢/ ٢/ ١٩٧٠م)
- مذبحة بحر البقر (٨/ ٤/ ١٩٧٠م)
- مذبحة صيدا (١٦/ ٦/ ١٩٨٢م)
- مذبحة صبرا وشاتيلا (١٦-١٨/ ٩/ ١٩٨٢م)
- مذبحة عين الحلوة (١٦/ ٥/ ١٩٨٤م)
- مذبحة سحمر (٢٠/ ٩/ ١٩٨٤م)
- مذبحة حمامات الشط (١١/ ١٠/ ١٩٨٥م)
- مذبحة الأقصى الأولى (٨/ ١٠/ ١٩٩٠م)
- مذبحة المسجد الإبراهيمي في الخليل (٢٥/ ٢/ ١٩٩٤م)
- مذبحة قانا (١٨/ ٤/ ١٩٩٦م)

- مذبحة الأقصى الثانية (١٣/ ٩/ ١٩٩٦م)

- مذبحة الأقصى الثالثة (٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠م)

- مذبحة مخيم جنين (١-١٢/ ٤/ ٢٠٠٢م)

- مجازر قطاع غزة (٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م- ١٨/ ١/ ٢٠٠٩، وما بعدها)[1].

---

(١) وانظرها مفصلة في «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» للدكتور عبد الوهاب المسيري، و«الهولوكوست الفلسطيني المفتوح» نواف الزرو، و«التطهير العرقي في فلسطين» إيلان بابيه، «والمذابح الإسرائيلية في فلسطين» داود سليمان، و«إسرائيل من الإرهاب إلى الدولة» إيلان هاليفي، و«المذابح الصهيونية بين عامي (١٩٤٧م - ١٩٩٦م)».

الاغتيالات إستراتيجية يهودية

إن قيام الفتى اليهودي باغتيال عمه من أجل حفنة من الدنانير، وقيامه بعد ذلك بإلقاء جثته على باب المدينة الحصينة، ثم أصبح يُوَلْوِلُ ويصرخُ طالبًا إيجاد قاتل عمه؛ يعدُّ أساسًا للسياسة اليهودية في عالم الاغتيالات الممنهجة؛ حيث يقتلون القتيل، ويشهدون جنازته، ويطالبون بأخذ ثأره.

وقد أثبتت السياسات اليهودية المعاصرة: أن الاغتيال أصبح فكرًا ومنهجًا منظمًا لدى قادة كيان اليهود وحكوماتهم المتعاقبة.

فبعد إنشاء كيان اليهود عام (١٩٤٨م) أصبحت الاغتيالات استراتيجية راسخة عند قادتها، لا سيما أنهم شاركوا بالعديد من الاغتيالات، وعلى رأس هؤلاء شخصيات تبوأت منصب رئيس وزراء إسرائيل من قبيل إسحاق شامير، وإسحاق رابين، وأرييل شارون، وشمعون بيريز، ومناحيم بيغن؛ حيث انضووا في إطار العصابات الصهيونية: الهاغانا، والشتيرن، والأرغون . . إلخ.

وقد يكون من أهم أعمالهم قبل عام (١٩٤٨م) التفجيرات في الأسواق العربية: في حيفا، ويافا، والقدس، وتوجت أعمالهم في اغتيال الوسيط الدولي (الكونت برنا دوت) في القدس في (١٧/ أيلول/ ١٩٤٨م) بسبب صياغته تقريرًا أمميًّا يدين كيان اليهود، ويحمله تبعات النكبة الكبرى في عام (١٩٤٨م).

ولم تكتف سياسة الاغتيالات اليهودية بملاحقة بعض الشخصيات العربية والفلسطينية التي تعدها مناهضة لتلك السياسة واغتيالها حتى في بعض دول أوروبا وأميركا وليس في العواصم العربية مثل تونس وبيروت فحسب، بل أصبحت

استراتيجية أمنية تمارس الإرهاب الدولي على أيدي مرتزقة عالميين ضدَّ كلِّ معارضي المشروع الماسوني اليهودي.

فقد تمَّ اغتيال اللورد موين -رجل أعمال وسياسي إنجليزي- عام (١٩٤٤م).

كما تورطت مجموعات من القتلة المأجورين التابعين للوكالة اليهودية في التنسيق مع الشرطة الألمانية (الغستابو) لاغتيال شخصيات يهودية؛ واضطهاد اليهود في ألمانيا وتسليط صنوف الأذى عليهم؛ لإثارة الرعب، ودفعهم للهجرة إلى فلسطين.

وتكررت عمليات مشابهة في العراق ومصر؛ حيث استهدفت اليهود هناك لدفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين، أبرزها فضيحة (لافون) في مصر عام (١٩٥٤م).

واستهدف القاتل اليهودي المأجور علماء الذرة العرب في مصر والعراق، التي امتدت عقودًا طويلة، فلاحقتهم لاغتيالهم في بلدانهم أو في بلدان أخرى؛ مثل:

اغتيال نبوية موسى في أمريكا عام (١٩٥٢م).

ويحيى المشدّ في باريس (١٩٨٠م).

وسعيد السيد بدير في الإسكندرية عام (١٩٨٩م).

وهكذا أصبح الاغتيال سياسة ممنهجة واستراتيجية مُقَنَّنَة تبنته كل الحكومات اليهودية المتعاقبة منذ عام (١٩٤٨م).

وهذا ما أكدته تانيا زاينهارت -أستاذة اللسانيات في جامعة تل أبيب- في كتابها المترجم في دار الفكر في دمشق: «أن سياسة الاغتيال السياسي ليست جديدة في إسرائيل، بل لقد استخدمتها داخل الأراضي المحتلة وخارجها منذ زمن طويل، بما في ذلك أثناء السنوات التي تلت اتفاقات أوسلو».

ويرى عوزي بنزيمان -المحلل السياسي في صحيفة هآرتس الإسرائيلية-: «أن عمليات الاغتيال التي تمَّ اتخاذها من أعلى الهرم السياسي تخلق ظروفًا تحفز إسرائيل على

استئناف عملياتها العسكرية وتسرع دائرة العنف بعد مرور فترة وجيزة من الهدوء مع الفلسطينيين».

وفي الاتجاه نفسه أعلن أفرايم سينيه -نائب وزير الحرب الأسبق أكثر من مرة-: «أن جيش الاحتلال سيواصل الاغتيالات والتصفية الجسدية للفلسطينيين التي تعد وسيلة فاعلة وأكثر دقة من غيرها».

بل صرح الرئيس اليهودي السابق موشيه كتساف -في أكثر من مناسبة-: «أن اغتيال إسرائيل لكوادر فلسطينية يندرج في إطار الدفاع عن النفس».

وهذا يوضح أن اليهود الصهاينة لن يلدوا إلا فاجرًا كفارًا.

الظاهر عنوان الباطن

القاتل اليهودي وعصابته: الذين أعانوه وآووه؛ اغتالوا القتيل، ومشوا في جنازته؛ وادَّعوا: أنهم أولياء الدَّم الذين يطلبون ثأره، بينما هم الذين سفكوا دمه.

لقد أخفوا ذلك عن الناس؛ لكن قرائن إدانتهم تظهر على صفحات وجوههم، وأدلة اقترافهم لجريمتهم تخرج من فلتات ألسنتهم . . يكاد المريب يقول: خذوني!

قال المُسيَّب بن رافع: ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله جَلَّجَلَالُهُ، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله ، وتصديق ذلك في كلام الله : ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢][١].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعني بقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: والله معلن ما كنتم تُسِرُّونهُ من قتل القتيل الذي قتلتم ثم ادَّارأتم فيه.. والذي كانوا يكتمونه فإخراجه؛ هو: قتل القاتل القتيل، كما كتم ذلك القاتل ومن علمه ممن شايعه على ذلك؛ حتى أظهره الله وأخرجه، فأعلن أمره لمن لا يعلم أمره»[٢].

وقال الرازي: «تدل الآية: على أنه ما يسرّه العبد من خير أو شرٍّ، ودام ذلك منه؛ فإن الله سيظهره»[٣].

ومما يشهد لهذا المعنى -أيضًا- قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٠٢).

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢/ ١٢٤).

(٣) «التفسير الكبير» (٢/ ١٣٤).

قال الإمام ابن كثير: «وقال بعضهم: إنَّ للحسنة نورًا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبَّة في قلوب الناس.

وقال أمير المؤمنين عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه[١].

والغرض: أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه؛ فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله جَلَّجَلَالُهُ أصلح الله جَلَّجَلَالُهُ ظاهره للناس؛ كما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته[٢]»[٣].

وهذا كلُّه يَدُلُّ على التلازم بين الظاهر والباطن:

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ: «وهذا الارتباط بين الظاهر والباطن مما قرَّره ﷺ في قوله الذي رواه النعمان بن بشير؛ قال: كان رسول الله ﷺ يسوِّي صفوفنا حتى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢١٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥١٠ و٥١١) من حديث عثمان مرفوعاً بلفظ: «من كانت له سريرة صالحة أو سيئة ألبسه الله جَلَّجَلَالُهُ منها رداء يعرف به».

قال السخاوي في «الأجوبة المرضية» (١/ ٣٠٠): «وسنده ضعيف والصحيح وقفه»، وانظر: «السلسلة الضعيفة» لشيخنا الألباني برقم (١٩٢٩).

(٢) مما ورد في كتاب عمر إلى أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ثم إياك والضجر والقلق والتأذي بالناس والتنكر بالخصوم في مواطن الحق التي توجب الله جَلَّجَلَالُهُ بها ويكسب بها الذخر، فإنه من يصلح سريرته فيما بينه وبين ربه أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه من خلاف ذلك يشنه الله».

أخرجه البيهقي«السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١٨١).

وقد ورد مرفوعًا بلفظ: «من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته» لكنه ضعيف؛ انظر «ضعيف الجامع» (٥٣٥٦).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٨٣).

كأنما يسوِّي بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يومًا؛ فقال: «**عباد الله! لتسونَّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم** (وفي رواية: **قلوبكم**)»[١].

فأشار إلى أن الاختلاف في الظاهر -ولو في تسوية الصف- مما يوصل إلى اختلاف القلوب؛ فدلَّ على أن الظاهر له تأثير على الباطن، ولذلك رأيناه ﷺ ينهى عن التفرُّق؛ حتى في جلوس الجماعة، ويحضرني -الآن- في ذلك حديثان:

١- عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فرآنا حِلَقًا؛ فقال: «**مالي أراكم عزين؟**»[٢].

٢- عن أبي ثعلبة الخشني؛ قال: كان الناس إذا نزلوا منزلًا تفرَّقوا في الشعاب والأودية؛ فقال ﷺ: «**إن تفرُّقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**».

فلم ينزل بعد ذلك منزلًا إلا انضم بعضهم إلى بعض؛ حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم»[٣].

ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ يَدُلُّ على تأثير الظاهر على الباطن، ومما يَدُلُّ على تأثير الباطن على الظاهر حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ؛ وفيه: «**..ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله؛ ألا وهي: القلب**»[٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على هذا الحديث: «فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملًا قلبيًا؛ لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق؛ كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل؛ قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر،

---

(١) «صحيح البخاري» (٧١٧)، «صحيح مسلم» (٤٣٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٣٠)، وقد عزاه شيخنا الألباني عزوه له.

عزين وعزون: الحلق والجماعات ومفردها: عزة؛ انظر: «مختار الصحاح» (ص ٢٠٨).

(٣) «جلباب المرأة المسلمة» (ص ٢١٠ - ٢١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن، وإذ أفسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[١].

وبهذا يَتبيَّن: أن قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن قاعدة شرعية ذات أهمية كبرى في ضبط حركة الأمة الإسلامية في جميع تصرفاتها.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن التفت إلى المسبِّبات من حيث كانت علامة على الأسباب في الصحة أو الفساد لا من جهة أخرى؛ فقد حصل على قانون عظيم يضبط به جريان الأسباب على وزن ما شُرِعَ أو على خلاف ذلك، ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلًا على ما في الباطن؛ فإن كان الظاهر منخرمًا حكم على الباطن بذلك، أو مستقيمًا حكم على الباطن بذلك -أيضًا-.

وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام العاديات والتجريبيات، بل والالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جدًّا، والأدلة على صحته كثيرة جدًا، وكفى بذلك عمدة: أنه الحاكم في إيمان المؤمن، وكفر الكافر، وطاعة المطيع، وعصيان العاصي، وعدالة العدل، وجرح المجروح، وبذلك تنعقد العقود، وترتبط المواثيق، إلى غير ذلك من الأمور، بل هو كلية التشريع، وعمدة التكليف بالنسبة على إقامة حدود الشعائر الإسلامية الخاصة والعامة»[٢].

وهذا باب عظيم تتبين منه ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، ويفتح له باب معرفة الانحراف؛ ليحذره؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما الغرض: أن تتبين ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، وأن ينفتح باب إلى معرفة الانحراف؛ ليحذره.

ثم إن الصراط المستقيم؛ هو:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٨٧).

(٢) «الموافقات» (١/ ٢٣٤).

أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك.

وأمور ظاهرة: من أقوال، وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون -أيضًا- عادات: في الطعام، واللباس، والنكاح، والمسكن، والاجتماع، والافتراق، والسفر، والإقامة، والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة: بينهما -ولابدَّ- ارتباط ومناسبة:

فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال؛ يوجب أمورًا ظاهرة.

وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال؛ يوجب للقلب شعورًا وأحوالًا.

وقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته؛ وهي: الشِّرعة والمنهاج الذي شرعه له.

فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة، لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر: تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة في الأخلاق والأعمال.

وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم -مثلًا- يجد من نفسه نوع انضمام إليهم.

واللابس لثياب الجند المقاتلة -مثلًا- يجد من نفسه نوع تَخَلُّق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضيًا لذلك؛ إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر: توجب مباينة ومفارقة، توجب الانقطاع عن موجبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام -لست أعني: مجرد التوسمُّ به ظاهرًا، أو باطنًا بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا: أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين: أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر: توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين.

إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا، لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم: فإنه يكون شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم.

فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له، والله أعلم».

ثم قال: «وهنا نكتة قد نبهت عليها؛ وهي: أن الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم: قد يكون لأن نَفْسَ قَصْدِ موافقتهم، أو نَفْسَ موافقتهم: مصلحة، وكذلك نَفْسُ قصد مخالفتهم؛ أو نَفْسُ مخالفتهم: مصلحة؛ بمعنى: أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد أو مفسدة، وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة، لو تجرد عن الموافقة والمخالفة: لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة، ولهذا نحن ننتفع بنفس متابعتنا لرسول الله ﷺ والسابقين: من المهاجرين والأنصار، في أعمال لولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا فيها مصلحة؛ لما يورث ذلك: من محبَّتهم وائتلاف قلوبنا بقلوبهم، وأن ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى، إلى غير ذلك من الفوائد.

كذلك: قد نتضرَّر بمتابعتنا الكافرين في أعمال، لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها.

وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة؛ لأن ذلك الفعل الذي يوافق فيه أو يخالف متضمِّن للمصلحة أو المفسدة ولو لم يفعلوه؛ لكن عُبِّر عنه بالموافقة والمخالفة على سبيل الدلالة والتعريف؛ فتكون موافقتهم دليلًا على المفسدة، ومخالفتهم دليلًا على المصلحة.

واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير: من باب قياس الدلالة.

وعلى الأول: من باب قياس العلَّة.

وقد يجتمع الأمران؛ أعني: الحكمة الناشئة من نفس الفعل الذي وافقناهم أو خالفناهم فيه، ومن نفس مشاركتهم فيه.

وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المأمور بها والمنهي عنها؛ فلا بدَّ من التفطن لهذا المعنى؛ فإنه به يعرف معنى نَهْي الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم مطلقًا ومقيدًا»[1].

وإليك- يا رعاك الله - أهم ضوابط هذه العلاقة بين الظاهر والباطن:

أولًا: يحكم على الناس بالظاهر، فالإنسان يحكم عليه بما ظهر منه، ويوكل باطنه إلى الله.

ويَدُلُّ على ذلك:

١ - عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ؛ قال: «**إنَّما أنا بشر، وإنَّه يأتيني الخصم، فلعلَّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعضٍ، فأحسب أنَّه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحقِّ مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها**»[2].

وترجم عليه النووي[3] وكذا النسائي[4]: باب الحكم بالظاهر.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ١١-١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

(٣) في «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٣٧).

(٤) في «المجتبى» (٨/ ٢٣٣).

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الذهيبة[١] بعث بها علي بن أبي طالب من اليمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ فقسمها بين أربعة نفر، فقام رجل؛ فقال: اتق الله .

فقال: «**ويلك، أولست أحقَّ أهل الأرض أن يتقي الله**».

فقال خالد: ألا أضرب عنقه؟

قال: «**لا؛ لعله أن يكون يصلِّي**».

فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لم أومر أن أنقب عن قلوب النَّاس، ولا أشق بطونهم**»[٢].

قال النووي: «معناه: إني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر؛ كما قال ﷺ»[٣].

قلت: أصاب الإمام النووي في تفسير معناه، وأخطأ في رفع لفظه ومبناه[٤].

٣- عن عبد الله بن عتبة؛ قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ يقول: «إن أناسًا كانوا يُؤْخَذُون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ[٥]، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم؛ فمن أظهر لنا خيرًا؛ أمَّناه، وقرَّبناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا؛ لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة»[٦].

---

(١) والذهيبة تصغير ذهبة؛ وهي: القطعة من الذهب؛ انظر: «فتح الباري» (٨/ ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٧/ ١٦٣).

(٤) انظر -تفضلًا- كتابي: «سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها» (٨).

(٥) أي كان الوحي يكشف عن سائر الناس في بعض الأوقات؛ انظر: «عمدة القاري» للعيني(١٣/ ٢٠٠).

(٦) أخرجه البخاري (٢٦٤١).

ثانياً- شعب الإيمان قد تتلازم عند القوَّة، ولا تتلازم عند الضَّعف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصرحًا بهذ الضابط: «إن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة، ولا تتلازم عند الضَّعف؛ فإذا قوي ما في القلب من التَّصديق والمعرفة والمحبَّة لله ورسوله؛ أوجب بغض أعداء الله :

كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[المائدة: ٨١].

وَقَالَ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد تحصل للرجل موادَّتهم لرحم أو حاجةٍ؛ فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافرًا؛ كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة؛ لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وأنزل الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١] [١].

وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أبيٍّ في قصة الإفك؛ فقال: لسعد ابن معاذ: كذبت والله ؛ لا تقتله ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحميَّة[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

ولهذه الشبهة سمَّى عمر حاطبًا: منافقًا؛ فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال: «**إنه شهد بدرًا**»، فكان عمر متأوِّلًا في تسميته: منافقًا للشبهة التي فعلها.

وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة؛ كذبت لعمر الله لنقتلنَّه؛ إنما أنت منافق تجادل عن المنافقين؛ هو من هذا الباب.

وكذلك قول من قال من الصَّحابة عن مالك بن الدخشم: منافق، وإن كان قال ذلك لما رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين[١].

ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا؛ بل:

فيهم: المنافق المحض.

وفيهم: من فيه إيمان ونفاق.

وفيهم: من إيمانه غالب، وفيه شعبة من النفاق، وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان؛ ولما قَوِيَ الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك؛ صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك»[٢].

فتحصل كان ذلك: «أن إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة؛ فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزَّق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبَّد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجِّه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧ / ٥٢٢-٥٢٣).

(٣) «الفوائد» لابن القيم (ص ٢١٠-٢١١) بتحقيقي.

فتبين من كل ذلك أن واسطة عقد نظام الإسلام، وسفينة النجاة إلى دار السلام هي قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن[1].

(١) وللتوسع في بيان أهمية هذه القاعدة: انظر -تفضلًا- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ١٩٨، ٢٣٤، ٦٤٢ - ٦٤٤)، و«مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (١/ ٥١٧، ٢/ ٢٣، ٣٩١، ٣/ ٢٨٠)، و«إعلام الموقعين» (١/ ٣٠٠، ٢/ ١٢٣)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٥٤، ٢٦٧، ٣٦٢).

ولشيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام كثير حول هذه القاعدة جمع ما وقف عليه منه الدكتور شادي آل نعمان في فصل نافع سماه: جماع أبواب الكلام حول تلازم الظاهر والباطن، فقف عليه في «جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة» (٤/ ٥٩ وما بعدها).

المفسد يعامله الله بنقيض مقصده

بنو إسرائيل قوم مردوا على مخالفة دين الله ، وانحرفوا عن منهجه، وكان تعاملهم معه ضلالات بعضها فوق بعض، كلما خرجوا من ضلاله أُركسوا في غيرها جزاء وفاقًا على ما اقترفوه، وعاملهم الله بنقيض مقصدهم:

١ - بنو إسرائيل يتخلَّون عن ربهم.

لقد منَّ الله جَلَّجَلَالُهُ على بني إسرائيل، فخرج بهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من مصر:

- أخرجهم من الاستعباد إلى الحرية.

- ومن الذل والاستضعاف إلى العز والكرامة.

. . .ولكنهم لم يشكروا الله بل ظنُّوا أن هذه حقوق واجبة لهم على الله ، وأنه جَلَّجَلَالُهُ ينبغي عليه أن يعطيهم المزيد في سبيل راحتهم؛ لذلك لما أمرهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بدخول الأرض المقدسة أجابوه بجواب غاية في الغرابة؛ لأنه يقوم على قلَّة الأدب مع الله جَلَّجَلَالُهُ ورسوله ﷺ؛ بل حتى مع أنفسهم؛ فهو جواب قوم استمرؤوا حياة الذُّلِّ والمهانة: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٠-٢٥].

لقد تخلى بنو إسرائيل عن ربِّهم ضربة لازب؛ فهم يقولون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .. ربُّك يا موسى وحدك .. وكأنه جَلَّ جَلَالُهُ ليس ربًّا لهم ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فعاملهم الله جَلَّ جَلَالُهُ بظلمهم وسوء أدبهم: أن حرَّمها عليهم، وعاقبهم بالتيه في الأرض:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٦].

٢- بنو إسرائيل يحتالون على أمر الله وشرعه:

من سنن بني إسرائيل في التعامل مع أوامر الله ونواهيه: التحايل على دين الله ، والتملُّص من أحكامه، وكأنهم لا يتعاملون مع الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ كما سبق في «فصل اليهود وصناعة الحيل».

ولقد اجتمعت هذه السنن السيئة كلها في قصة البقرة التي أُمِرُوا بذبحها:

ففي أول موقف مع نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تخلَّوا عن ربهم، وقالوا له: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، وأعادوا هذا السؤال مرارًا مما يَدُلُّ على أن هذه الأخلاق منهج في حياتهم، وليس موقفًا طارئًا في تلك القصة!

ثم لما رأوا الأمر فَصْلًا وليس بالهزل: أخذوا في نصب شباك حيلهم، ووضع عقابيل[1] تسويفهم، والتمترس خلف عراقيل مُطْلِهم . . فشدَّد الله عليهم؛ لتعنتهم، وضيَّق عليهم؛ لتملصهم، ومجادلتهم.

---

(١) العقبول: الشديد من الأمور، وبقية العلة والعداوة، جمعها: عقابيل.
والعقابيل: الدواهي.
انظر: «المعجم الوسيط» (ص ٦١٣).

وهذه سنة شرعية كونية فيمن عصى أمر ربِّه، وتمرد على دينه: أنه يعامله الله جَلَّجَلَالُهُ بنقيض قصده جزًاء وفاقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم إن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه: يثبته الله ؛ فيحفظه في أهله وماله بعده، والمطيع لهواه: يعاقبه الله بنقيض قصده؛ فيذل أهله، ويذهب ماله.

وفي ذلك الحكاية المشهورة: أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك؛ فقال: أدركت عمر بن عبد العزيز؛ قيل له: يا أمير المؤمنين أفقرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم- وكان في مرض موته- فقال: أدخلوهم عليَّ؛ فأدخلوهم؛ وهم بضعة عشر ذكرًا، ليس فيهم بالغ، فلما رآهم ذرفت عيناه، ثم قال لهم: يا بني والله ما منعتكم حقًّا هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس؛ فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين:

إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين.

وإما غير صالح؛ فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله ؛ قوموا عني.

قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مائة فرس في سبيل الله ؛ يعني: أعطاها لمن يغزو عليها.

قلت: هذا وقد كان خليفة المسلمين من أقصى المشرق بلاد الترك إلى أقصى المغرب بلاد الأندلس وغيرها، ومن جزائر قبرص وثغور الشام والعواصم؛ كطرسوس ونحوها إلى أقصى اليمن.

وإنما أخذ كلُّ واحد من أولاده من تركته شيئًا يسيرًا؛ يقال: أقل من عشرين درهمًا.

قال: وحضرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه: فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار؛ ولقد رأيت بعضهم يتكفَّف الناس- أي: يسألهم بكفِّه-.

وفي هذا الباب من الحكايات والوقائع المشاهدة في الزمان، والمسموعة عما قبله؛ ما فيه عبرة لكلِّ ذي لبٍّ»[١].

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو يعدد وجوه مفاسد الزنا-: «. . **ومنها**: الوحشة التي يضعها الله جَلَّجَلَالُهُ في قلب الزاني؛ وهي: نظير الوحشة التي تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أُنْسٌ، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش به.

ومنها: قلَّة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف؛ فإنه يرزق المهابة والحلاوة .

ومنها: أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحد على حرمته، ولا على ولده.

ومنها: الرائحة التي تفوح عليه؛ ليشمها كلُّ ذي قلب سليم، تفوح من فيه وجسده، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة؛ لفاحت من صاحبها، ونادت عليه، ولكن كما قيل:

كُلٌّ به مثل ما بي غير أنهم

من غيرة بعضهم للبعض عذال

ومنها: ضيقة الصدر وحرجه؛ فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم؛ فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرَّم الله عليه؛ عاقبه الله بنقيض قصده؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللَّذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش؛ لرأى أن الذي فاته من اللَّذة أضعاف أضعاف ما حصل له، دع ربح العاقبة، والفوز بثواب الله وكرامته»[٢].

وهذه سنة ماضية في بني إسرائيل كلما فسدوا وظلموا وعلوا في الأرض:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٤٩- ٢٥٠).

(٢) «روضة المحبين» (ص ٣٦١-٣٦٢).

قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧].

فالله أعلم إعلاماً صريحاً: أنه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يهينهم ويذلهم؛ بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه، واحتيالهم على المحارم[١].

وها هم اليوم علوا في الأرض علوًّا كبيرًا؛ باغتصابهم فلسطين المسلمة، وتشريد أهلها المسلمين، والتنكيل بهم، وتشتيتهم في الأرض أممًا؛ بدعاوى باطلة، وحجج واهية عاطلة: أنها أرض الميعاد التي وعد الله بها الآباء والأجداد؛ ففي التوراة: أن الله وعد إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وذريته من بعده أن يعطيه فلسطين؛ لإقامة دولة فيها .

وادِّعاؤهم -هذا- لنا عليه ملاحظات؛ منها:

أولًا: القارئ لنصوص التوراة التي تؤكد عقيدة أرض الميعاد يلاحظ- ولأول وهلة-: أنها نصوص محرفة ومزيفة، مكتوبة بأيدي أحبار اليهود أنفسهم، حيث يجد القارئ:

- أن هناك نصوصًا تحدِّد أرض الميعاد بأنها أرض فلسطين.
- ونصوصًا أخرى تدُّل على أن أرض الميعاد هي من النيل إلى الفرات.
- ونصوصًا أخرى ترى أن أرض الميعاد هي كلُّ أرض لمستها أقدام اليهود.

وهنا يأتي السؤال: هل من الممكن أن تكون هذه نصوصًا إلهية مقدسة وبينها هذا التعارض والتناقض؟!

ثانيًا: لو سلَّمنا جدلًا بصحة النصوص التي استدل بها اليهود؛ فإنها لا تعطيهم مدَّعاهم في أحقيَّتهم بهذه الأرض: ذلك أن الوعد من الله كان لنسل إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، فمن هم نسل إبراهيم؟.

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٩٧).

هل هم أبناؤه الذين آمنوا به واتبعوا ملَّته؛ مصداقًا لقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨].

وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

وبالتالي يكون الأحقُّ بهذا الوعد هم أمَّة رسول الله محمد ﷺ؛ لأنهم هم الذين حملوا لواء التوحيد، والتزموا بملَّة الخليل عَلَيْهِ‌ٱلسَّلَامُ، وأدخلوا الإسلام فلسطين بعد طرد الغزاة.

ولو فرضنا: أن المراد بنسل إبراهيم: أولاده من صلبه؛ فإنه بهذا: يتساوى في ذلك إسحاق وذريته، وإسماعيل وذريته -أيضًا-.

وهذا يعني: أن ذلك الوعد ليس مقصورًا على بني إسرائيل وحدهم، إنما هو لسلالة إبراهيم على الإطلاق؛ لأن إبراهيم عَلَيْهِ‌ٱلسَّلَامُ جدٌّ للعرب كما هو جدٌّ لبني إسرائيل؛ فلا اختصاص لهم -إذًا- بفلسطين بسببه، وهذا ما يؤيده نصُّ العهد إلى إبراهيم عَلَيْهِ‌ٱلسَّلَامُ بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات قبل أن يولد له إسماعيل وقبل إسحاق، فكيف يمكن تفسير اختصاص الإسرائيليين وحدهم -نسل إسحاق- دون إسماعيل -عَلَيْهِمَا‌ٱلسَّلَامُ- وذريته العرب؟ وهو الجدُّ الأعلى لمحمد ﷺ[1].

فالتعبير التوراتي في العهد مع إبراهيم عَلَيْهِ‌ٱلسَّلَامُ ينصُّ على «**نسلك**»، ومن نسله: (**إسماعيل**) إذ هو أب لعدد كثير من القبائل العربية، ثم إن التوراة تنصُّ على أن الحقَّ لإسماعيل؛ لأنه ابن إبراهيم، جاء في سفر التكوين: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح؛ فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك

(١) انظر: «عقيدة اليهود في تملك فلسطين»، عايد توفيق الهاشمي (ص ٣٣٦).

سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية -أيضًا- سأجعله أمة؛ لأنه نسلك»[1].

لذا؛ فإنَّ نسل إسماعيل لهم جميع الحقوق، وهم يعدُّون أنفسهم على حقٍّ، وإضافة إلى ذلك؛ فإن عهد الختان إلى إبراهيم في تمليكه أرض كنعان ملكًا أبديًّا كان في أيام إسماعيل.

جاء في سفر التكوين: «وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته»[2].

«وإذا كان إسحاق قد ولد بعد عام من ذلك؛ فإن إسماعيل كان عمره أربعة عشر عامًا يوم ولد إسحاق، فإسماعيل هو الابن الأكبر، وهو بكر إبراهيم، وحسب شريعة اليهود؛ فإن الابن الأكبر هو الذي يرث أكثر، كما أنه لا يهم ما إذا كان الابن الأكبر ابن حرَّة أو ابن أمة»[3].

ثالثًا: هل هذا الوعد -إن صحَّ- يمنح هذه الأرض وعدًا مطلقًا أو وعدًا مشروطًا؟ وإذا كان مشروطًا .. فهل تحققت شروط؟!

الذي يقرأ كتاب اليهود، وخاصة أسفار العهد القديم؛ يجد أن وعد الله لبني إسرائيل إنما هو وعد مشروط:

- بأن ينفذوا تعاليمه.
- ويحفظوا عهده.
- ويصونوا أوامر الرب ونواهيه؛ حتى يكونوا أهلًا لنصر الله وتمكينه.

---

(١) «سفر التكوين» (٢١ - ٩: ١٣).

(٢) «سفر التكوين» (١٧- ٢٥).

(٣) «العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق»، أحمد ديدات (ص ٦٣).

وهذا هو الموافق للعدالة الإلهية والحكمة الربانية: فإن الله لا يعامل الناس بأنسابهم بل بأعمالهم.

اليهود نقضوا عهد الرب:

«اعمل الصالح والحسن في عيني الرب؛ لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لآبائك».

هذه النصوص من سفر التثنية- العهد القديم- تشرح الشروط، وتفصِّل الأسس التي جعلها الرب «رب إسرائيل» جوهر «العهد».

لكن هل أدَّى بنو إسرائيل -الطرف الثاني- والتزموا وحافظوا على ما أمرهم الرب به؟!

كتاب اليهود الذي هو -حسب اعتقاد أتباعه- كتاب مقدس: نصوصه ربانية، واتباعه طاعة لأوامر الرب يسجل:

١- جاء في سفر الخروج: «فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتوني بها، فنزع كلُّ الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل وصنعه عجلًا مسبوكًا[(١)]، فقالوا: هذا آلهتك يا إسرائيل: التي أصعدتك من أرض مصر»[(٢)].

لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون الله الواحد الذي قام «العهد» بينه وبينهم، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية، وخرقوا -من جانبهم- شروط وأسس «العهد».

---

(١) الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل؛ هو: السامري، وليس هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بل إن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ نهاهم عن عبادته، وحذرهم من الشرك بالله ؛ كما فصلته في كتابي: «عجل بني إسرائيل ومرحلة التيه: دراسات استراتيجية في الصراع الإسلامي اليهودي»؛ يسَّرَ الله نشره على خير وبركة.

(٢) «سفر الخروج» (٣٢/ ٢ - ٤).

٢- النبي إيلياء بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات: «قد غرت غيرة للربِّ إلـه الجنود؛ لأنَّ بني إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي؛ ليأخذوها»[1].

٣- النبي موسى؛ يقول: «عصيتم قول الرب إلهكم، ولم تصدقوا، ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم»[2].

٤- الرب نفسه يقول ليشوع:

«الرب يقول: قد أخطأ بنو إسرائيل، بل تعدُّوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا..»[3].

٥- خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول: «حقًّا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا ختنموني يا بني إسرائيل؛ يقول الرب»[4].

٦- وفي مخاطبة وجَّهها موسى إلى بني إسرائيل: «يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضًا عن آبائكم تربية أناس خطأة؛ لكي تزيدوا -أيضًا- حنق (غضب) الرب على إسرائيل»[5].

٧- «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بني إسرائيل: الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعملون بالأجرة، وأنبياؤهم يعرفون بالفضة»[6].

---

(١) «الملوك الأول» (٩/ ١٠).

(٢) «سفر التثنية» (٩/ ٢٣ - ٢٤).

(٣) «يشوع» (٧/ ١١).

(٤) «نحميا» (٣/ ٢٠).

(٥) «سفر العدد» (٣٢/ ١٤).

(٦) «سفر ميخا» (٣/ ٩ - ١١).

هذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم: تكتشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود «العهد»: الذي يدَّعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده، ويعقوب من بعدهما.

وأيضًا في العهد الجديد -عندهم- توجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم»:

١- يوجِّه يسوع (عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إن العشَّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله ؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحقِّ؛ فلم تؤمنوا؛ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطي لأمة تعمل آثاره»(١).

٢- يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل: «قال لهم: يا أولاد الأفاعي»(٢).

٣- يسوع (عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) نفسه يقول لإسرائيل: «فأنتم تشهدون على أنفسكم: إنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيَّات، أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم»(٣).

هكذا: واستنادًا على نصوص توارتية إنجيلية أوردناها حرفيًا؛ يتضح منها:

- أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياء وأرميا وعزرا ونحميا وميخا ويوحنا المعمدان، وأخيرًا في زمن يسوع عيسى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: خُرِقَت من جانب واحد شروط وأسس وبنود «العهد المزعوم» الذي أبرم بين الله وإبراهيم؛ خُرِقَت مرارًا وفي عصور كثيرة.

---

(١) «إنجيل متى» (٢١ / ٣١ - ٣٣).

(٢) «إنجيل متى» (٣ / ٧).

(٣) «إنجيل متى» (٢٣ / ٣١ - ٣٣).

وعليه يبرز التساؤل: هل بالرغم من خرق اليهود عهد الرب لا تزال قائمة تلك الوعود التوراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة؛ مثل: فلسطين، ولبنان، ومصر، والأردن؟

لجماعات مثل «الفلاشا» الإثيوبيين!

أو المواطنين من روسيا وأوكرانيا!!

أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون في الكيبوتز)!!

باسم «عهد» خرقه بنو اليهود منذ عشرات القرون- مرات ومرات-في حقبات مختلفة من التاريخ؟!

هل في مثل هذه المطالبات بحقوق ذرَّةٌ: من إقناع أو منطق أو إنصاف؟!.

٤- لو سلمنا جدلًا بصحة العهود والمواثيق؛ فإن العهود والمواثيق لا تنطبق على يهود اليوم!

فالحقائق التاريخية تنصُّ على أن خروج بني إسرائيل من مصر كان حدًّا فاصلًا بين النقاء وعهد اختلاط الدم.

وفي ذلك يقول غوستاف لوبون: «لقد لحق ببني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين من الأسارى ومن العبيد، ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم- وهو البحر الأحمر- بدؤوا عشيرة تبدو كأنها نسل رجل واحد، وإن كانت- في الحقيقة- فاتحة صفوفها لجميع المستعدين لانتحال اسمها، وتقاليدها، ومعبوداتها»(١).

ويقول مارجليوث: «لقد تكونت في الموطن الشمالي لنهر الراين أكبر مجموعة يهودية بأوروبا؛ إذ وفد على ذلك المكان جماعة من أسباط العبريين الرُّحَّل الذين هجروا فلسطين إثر إحدى هزائمهم، واختلطوا في الطريق إلى أوروبا بعناصر سورية وأناضولية، وحطوا رحالهم بالحوض الشمالي لنهر الراين، وبمرور الزمن دخل عدد كبير من سكان هذه

---

(١) «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟» (ص ٣١و٣٢).

المنطقة ديانة العبريين الوافدين، وتفرع هؤلاء بعد فترة من الزمن فاستوطن بعضهم بولندا، واستوطن آخرون أوروبا، واتجه فريق منهم إلى روسيا».

ويقول لامبروز: «إن اليهود المحدثين هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي؛ وهم: عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية، وانضم إليها في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس، ومن مختلف صنوف البشر، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق:

فمنهم: الفلاشا: سكان الحبشة.

ومنهم: الألمان: ذوو السحنة الألمانية.

ومنهم: السامي؛ أي اليهود في الهند.

ومنهم: الخزر؛ وينتمون للجنس التركي.

ومن المستحيل: أن نتصور أن اليهود ذوي الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو الكستنائي، وذوي العيون الصافية اللون الزرقاء، ممن نلقاهم اليوم في أوروبا الوسطى يمتون بصلة الدم إلى إسرائيل أرض الميعاد، أو يهود فلسطين القدماء، الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم»[1].

ويقول «روفائيل بتاي»: «لقد ثبت من كشوف الانثربولوجيا الفيزيقية: أنه لا يوجد جنس يهود خلافًا للفكرة الشائعة».

ويقول جارودي: «إن الواقع يقرر أن (٩٩٪) على الأقل من اليهود المعاصرين ليس من أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين؛ بسبب التحول من ناحية، وبسبب الزيجات المختلفة خلال القرون من ناحية أخرى».

---

(١) «اليهودية» أحمد شلبي (ص ٧٦، ٧٧).

ويقول اللورد موين: «إن اليهود الحاليين لم يكونوا أحفاد بني إسرائيل القدماء، وليس لهم شرعًا أن يستردوا الأرض المقدسة في أرض فلسطين»[1].

وبناء على ما تقدم: يتضح أن الجنس اليهودي تعرض للذوبان والانصهار في بوتقة الأجناس الأخرى، ولم يَعُدْ له وجود، وبالتالي ليس لهم أدنى حقٍّ في أرض فلسطين.

ولئن كانت الوعود والعهود التوراتية لبني إسرائيل، فليس فيها عهد واحد لليهود:

فماذا يملك يهود العالم اليوم من حقٍّ في تملك فلسطين؟

ولم تنص التوراة لهم -ولو بإشارة- في حقِّ تملك فلسطين؟

لا بنص اليهود، ولا بنص غير الساميين الذين يمثلون الأغلبية الساحقة لسكان فلسطين؟

وبعد:

فإننا نضع هذه الحقائق أمام كلِّ مسلم، وكل صاحب عقل في العالم؛ ليرى بنفسه المزاعم والخرافات التي لا يملُّ اليهود من ترديدها كلَّ يوم: لإقناع العالم بها زورًا وبهتانًا!

إن الدعم الاستعماري؛ هو: سبب وجود وبقاء اليهود، ويوم يزول هذا الدعم سوف يزول هذا الكيان الباغي: الذي ليس له مقوِّمات الدول، ولا يملك الشرعية الدينية أو السياسية لبقائه، وسوف يأتي هذا اليوم بإذن الله ، وهو اليوم الذي يرونه بعيدًا ونراه -بإذن الله - قريبًا.

إن المعركة بين قوى الإسلام واليهودية معارك عقيدة، وهي لا تُحْسَم بالحملات الإعلامية أو المناقشات الفكرية واللقاءات الثقافية، بل تحسم بالعقيدة القوية السليمة، والمنهج الواعي المستنير، والإعداد المادي والأدبي والجهاد المقدس: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي -عدد ذو القعدة ١٤٠٩هـ / يونية ١٩٨٩م «يهود اليوم وادعاءاتهم الكاذبة» د. أحمد عيسى الأحمدي . بتصرف.

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

الله جَلَّجَلَالُهُ ناصر الحق يمهل ولا يهمل، وسوف يعيد الحق لأصحابه، وهو جَلَّجَلَالُهُ على كل شيء قدير: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

إن عهد الله قائم ومتجدد: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨].

ومن هنا يجب أن تكون ثقتنا بالله كبيرة: فلقد وعد الله ، ولن يخلف الله وعده، إذ يقول جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]»[1].

---

(١) انظر: «مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية»، (المجلد/ ٢٢ ، والعدد / ٦٨) بحث: «العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري» الدكتور محمد محمد عيسى (ص٤٠١-٤١٠) .

زوال (دولة إسرائيل = دولة اليهود) اللقيطة في فلسطين بين الحقيقة والكهنوت

وفي هذا برهانٌ جليٌّ: أن هذا الكيان اللقيط الظالم الغاصب مصيره إلى زوال حسب سنن الله الكونية والشرعية.

فعندما قررت الماسونية العالمية اختراع شعب يهودي[1]؛ كما قال أوسكار ليفي: «العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية، نحن الذين اخترعنا حكاية الشعب المختار، والذين نصبنا أنفسنا مُخلِّصين للعالم، ونتباهى بخروج المسيح منا، لسنا اليوم سوى مفسدي العالم ومخربيه، وصانعي الفتن فيه وجلاديه، نحن الذين وعدناكم: أن نقودكم إلى الجنة والسعادة، نقودكم فعلًا إلى الجحيم الجديد» . . . اخترعوا: (عصبة الأمم)، ثم أنشؤوا (هئية الأمم المتحدة)، وسيطروا على (مجلس الأمن)؛ تنفيذًا لما جاء في بروتوكولاتهم من إنشاء منظمة عالمية يخضع لسلطانها جميع ملوك الأرض وحكامها.

قال (إسرائيل زانغويل): «إن هذه العصبة -عصبة الأمم- هي سفارة إسرائيل»[2].

وقال (ناحوم سوكولوف) في مؤتمر «كارلسباد» في (٢٧/ آب/ ١٩٢٢م): «فكرة عصبة الأمم فكرة يهودية، خلقناها بعد صراع استمر (٢٥) عامًا، وستكون القدس يومًا ما عاصمة السلام العالمي، وإن ما حققناه نحن اليهود بعد كفاح (٢٥) سنة يرجع الفضل فيه إلى زعيمنا الخالد ثيودور هرتزل»[3].

---

(١) انظر كتاب: «اختراع الشعب اليهودي» لأستاذ التاريخ المعاصر في جامعة تل أبيب شلومو ساند، الصادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) سنة (٢٠١٠م).

(٢) «حكومة العالم الخفية» لشيريب سبيريدوفيتش (ص١٥٩).

(٣) المرجع السابق (ص١٦٠).

علَّق اللورد (ألفرد جوجلاس) محرر «بلين أنكلش» على إنشاء عصبة الأمم بقوله: «إن عصبة الأمم ستصبح حكومة اليهود المركزية؛ لسيطرتهم العالمية».

وبعد الحرب الكونية الثانية سعت اليهودية العالمية لإنشاء (هيئة الأمم المتحدة) و(مجلس الأمن)؛ بحيث يكون مقرهما الدائم في (منهاتن -نيويورك) حيث يوجد بنك اليهود: مركز النشاط الاقتصادي لليهودية العالمية، وكان معظم العاملين فيها يهود، ولذلك قال (وليام جاي كار) في كتابه «حجارة على رقعة الشطرنج»: «إن الأمم المتحدة ليست إلا حصان طروادة لأصحاب المؤامرات العالمية، وما هي إلا رأس الحربة للحركة الثورية العالمية».

ومما يؤكد هذا الواقع حقيقتان لا يختلف فيهما اثنان:

الأولى: أن كيان دولة اليهود اللقيط في فلسطين المسلمة المغتصبة هو الكيان الوحيد في التاريخ الذي أُنشئ بقرار أممي من الأمم المتحدة.

الأخيرة: أن كيان اليهود في فلسطين المسلمة المغتصبة هي الكيان الوحيد المدلل الذي يتمتع بأكبر قدر من قرارات الحماية الدولية (الفيتو).

. . . قام كيان المسخ اليهودي في فلسطين على قدميه وسط المسلمين المشدوهين، ووقف المسلم المعاصر مندهشًا أمام هذا التمكن اليهودي في أرض فلسطين الذي تمارسه قيادته السياسية، والتغطرس الذي تمارسه آلته العسكرية؛ لكنه سرعان ما يزول عجبه، ويتلاشى يأسه؛ وهو يتلو قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢].

فلن يجد اليهود أمانًا:

إلا إذا أعطاهم المسلمون أمانًا؛ كما حصل لهم على طوال التاريخ الإسلامي ما التزموا بعقد الذِّمَّة، وهذا معنى قوله: ﴿بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

أو إذا حالفوا دولًا قويَّة، وعاشوا في حمايتهم، وهذا معنى قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

وهاهم اليوم يتشبثون بحبال تلقى إليهم من وراء البحار في مصالح متبادلة بينهم وبين دول النصارى الصليبية التي تلقي إليهم بأنشوطة المدد، وثم حبال دون ذلك من المحيط العربي تحمي كيان المسخ في فلسطين، وتتملق لدول الغرب مفتخرة: بأن حدودها مع كيان المسخ آمنة، وأنها لم تطلق عبرها رصاصة واحدة من عقود:

- صهاينة فرحون.
- ومسلمون مشدوهون.
- وفي الجانب الآخر يهود يبكون!!

ففي محاضرة بعنوان: «النظام العالمي الجديد» ألقاها (محمد أحمد الراشد = عبد المنعم العزي) سنة (١٩٩٣م) ذكر قصة عجوز يهودية عراقية؛ قال: «في سنة (١٩٤٨م) وكنت صغيرًا، في بيتنا القديم في بغداد، دخلت جارتنا اليهودية العجوز على والدتي وهي تصرخ وتولول، ولما سألتها أمي عن سبب بكائها؟ أجابت: لقد سمعت الآن: أن دولة إسرائيل قامت، واعترفت بها الأمم المتحدة، إن هذه الدولة قامت لذبح اليهود ولن تدوم. .».

بكى هؤلاء اليهود؛ لأنهم يعلمون علم اليقين: أن قيام كيان اليهود الظالم بداية النهاية لوجودهم؛ حتى أن ساسة اليهود المعاصرين وزعماءهم الذين يحكمون: يَعْتَرِفُون بِذَلكَ ويَعْرِفُونَهُ؛ كما يعرفون أبناءهم؛ فهم يقرون: بأنه سيأتي جيل مسلم رباني في يوم ما ليحرر فلسطين من شرِّهم، ويرفع عن المسجد الأقصى نير استعمارهم، ولكنهم يدركون

تمام الإدراك: أن (المسلمين الجغرافيين) ليسوا من ذلك الجيل الرباني في نفير ولا قطمير، ولذلك فهم يسعون جادِّين، ويعلمون كادِّين على الفصل التام بين (المسلمين الجغرافيين) وإسلامهم المنزل على محمد ﷺ، ونقله أصحابه الكرام ﷺ.

وهذا ما أقرَّ به علماؤهم وأحبارهم وعرفه زعماؤهم:

- ففي تصريح لوكالة (فارس) قال الحاخام اليهودي البارز (آران كوهيه): «إن قيام دولة إسرائيل على غير أساس مشروع؛ لأنه يعارض الأوامر الصريحة للتوراة؛ حيث إن الله يأمر اليهود بأنه لا يحق لهم امتلاك حكومة وبلد مستقل بسبب تعاملهم السيِّئ».

- ونقلت صحيفة (الشروق) التونسية عن الحاخام (ديفيد شلومو فيلدمان) عضو حركة (ناطوري كارتا): «هناك أمر يقلقنا اليوم: نريد أن نقول للعرب والمسلمين: إن الإرهاب والوحشية في فلسطين جانب من الممارسات الصهيونية، وأن في قيام إسرائيل شرًّا على العالم».

- ونشرت صحيفة «الاتحاد» بتاريخ (٢٢ / ٧ / ٢٠١١م) تقريرًا جاء فيه: «أثار فيديو لحاخام يهودي روسي نشر على موقع (يوتيوب) انبهار كثير من المسلمين، بعدما تحدث فيه عن عظمة الإسلام من بين كلِّ الأديان، وأنه هو دين المستقبل.

كما أكد أنه في حال زوال إسرائيل، والتي أسماها: بدولة الشَّرِّ؛ سيدخل معظم سكان العالم في الإسلام.

وأضاف: أن النبي محمدًا بدأ بناء مجتمعه الديني، وعلى هذا الأساس بنى دولة جديدة، مشيرًا إلى أنه يتضح -الآن-: أن التعاليم لديها القدرة على الصمود في وجه التغيرات، وهو أمر جلي في القرآن حتى في الحالات الصعبة، وقال: «تعاليم الإسلام صمدت في الأوقات الصعبة».

وأضاف: «كان للإسلام ميزةُ تَفَوُّقٍ؛ وهي: ظهوره في الشرق، بعيدًا عن أوروبا وثوراتها الصناعية والاجتماعية، فالإسلام ولد بعيدًا، وتطور بعيدًا، وقوي بدرجة كافية».

وأوضح: أنه في هذا العصر -حيث الإلحاد الجامح- عندما جاءت الديمقراطية وأغرقت العالم؛ لم يتبق من المسيحية سوى المباني الأثرية فقط، كما لم يتبق من اليهودية أي شيء لوقوعها تحت ضغط الصهيونية، ففي العالم اليوم لم يتبق إلا الإسلام.

وأضاف إن المسلمين الذين اتبعوا محمدًا ﷺ هم في اتصال دائم مع الخالق، في أداء الصلوات الخمس كلَّ يوم، عندما يجثون على ركبهم خمس مرات محددة بمواعيد دقيقة.

واستشهد الحاخام اليهودي: بواقعة عندما كان ذاهبًا إلى أوروبا، فكان في المطار مكان هادئ، وعندما جاء وقت الصلاة، وجد المسلمين قد تجمعوا وافترشوا الجرائد؛ ليؤدوا صلاتهم؛ وقال: «**هذا هو الإسلام**».

وتابع هذا في المجمل له معانٍ كثيرة: إنسان يصلي خمس مرات في اليوم، وعلى الرغم من أنها خمس صلوات إلا أنها ليست طويلة، بل هي جادة جدًّا، وعميقة.

وقال الحاخام: إن العالم يتجه نحو الانغلاق بسبب وجود إسرائيل، وإذا لم يتم القضاء على إسرائيل التي هي في الحقيقة أصل الشَّرِّ؛ سيزداد العالم خرابًا.

وأكد: أنه في حال القضاء على إسرائيل؛ فإنه بعد سبعين عامًا سيدين معظم سكان الكرة الأرضية بالإسلام؛ لأنه دين قوي بما فيه الكفاية، ويقود الناس في الاتجاه الصحيح[1].

وأوضح الحاخام: إن انتشار الإسلام أصبح أمرًا بديهيًا ومعروفًا؛ خاصة في أوروبا[2]، الأمر الذي دفع بعض الدول مثل سويسرا إلى منع بناء المساجد الجديدة».

---

(١) انظر -تفضلًا- كتابي: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام» ففيه حسن تأصيل، وبسطة في التفصيل.

(٢) وفي كتابي: «خريطة المستقبل الإسلامي في ضوء المبشرات النبوية»: تفصيل لهذه الجملة.

أخبرني الثقات من أهل فلسطين المحتلة سنة (١٩٤٨م) -أثناء رحلتي إلى فلسطين سنة (٢٠١٣م) للمشاركة في مؤتمر بيت المقدس الثاني المنعقد في مدينة رام الله -: «أن عبد الوهاب دراوشة -مؤسس الحزب الديمقراطي العربي في فلسطين المحتلة!!- أخبرهم: إنه قاد مظاهرة إلى بيت رئيس وزراء اليهود شارون للمطالبة بمسجد استولى عليه اليهود، ومنعوا المسلمين من الصلاة فيه، فخرج إليهم شارون، وقال: اسمع يا دراوشة إن هذه الأرض هي أرض إسرائيل!

فقال له دراوشة: إن هذه أرض آبائنا وأجدادنا وُجِدْنا عليها منذ مئات السنين!

قال شارون: هي أرضنا مادمنا نحكمها(!!!) ولكني أعرف: أنه سيأتي مسلمون يذبحون اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي تعال؛ فاقتله، لكن يا دراوشة يومها سيكون اليهود مثلكم ضعفاء، وتكونون أنتم مثلنا أقوياء؛ لكن لن يتم ذلك وأنا وأنت من الأحياء!!

إن هذا الأمر معلوم بالضرورة عند يهود؛ ففي (٢٩/ ٤/ ٢٠٠٨م) أكد ثلاثة حاخامات يهود؛ وهم: (أهارون كوهين) و(إسرائيل دوفيد) و(ودوفد شلومو فيلدمان) الذين يمثلون حركة (نوتورا كارتي – اليهود ضد الصهيونية) التي تأسست عام (١٩٣٥م)، ويسمون أنفسهم: (اليهود الربانيون) ... أكد هؤلاء الحاخامات أثناء زيارتهم للدوحة عاصمة قطر(!) بدعوة من قناة الجزيرة(!!): أن إسرائيل ستزول؛ مستندين إلى حقائق من التوراة، وشواهد من التاريخ.

يقول (يزرائيل ووفير وايس) -المتحدث الرسمي لحركة نوتورا كارتي-: «نحن ندعو حتمًا بالتأكيد لإزالة إسرائيل بالكامل، وليس كما قالت اتفاقية أوسلو أو غيرها من الاتفاقيات التي تقول: إنه يجب أن يكون هناك دولتان؛ لأننا نحن نعمل بموجب التوراة .. إن إسرائيل سوف تنتهي لا محالة؛ لأنها ضد الله .. الله لا يريد إسرائيل».

ويقول (دانيال) في سفره الشهير (٨: ٣-٢٦) بعد تأويل رؤيا طويلة تقوم عليها نبوءته بانتهاء كيان اليهود نهاية شنيعة: «.. فسمعت قدوسًا واحدًا يتكلم، فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب؛ لبذل القدس والجند مدوسين؟ فقال لي: إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء، فيتبرأ القدس».

وله رؤيا مشهورة تؤكد نهايتهم بدقة هي: «رؤيا الأسابيع» (٩: ٢٤-٢٧) فيها يقول الملك له: «سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين، فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا .. وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس، وانتهاؤه بغمارة، وإلى النهاية حرب وخرب قضي بها، ويثبت عهدًا مع كثيرين في أسبوع واحد، وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة، وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب».

بل إن كتبهم تتحدث عن جهاد المسلمين ضدهم؛ ففي «يوئيل سفر» (٤: ٩-١١): «نادوا بهذا بين الأمم، قدسوا حربًا، أنهضوا الأبطال، ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب، اطبعوا سكاتكم سيوفًا، ومناجلكم رماحًا، ليقل الضعيف: بطل أنا: أسرعوا وهلموا يا جميع الأمم من كل ناحية واجتمعوا إلى هناك أنزل يا رب أبطالك».

ويخيفهم «سفر إرمياء» (٥٠: ٤١-٤٢): «هو ذا شعب مقبل من الشمال، وأمة عظيمة، ويوقظ ملوك كثيرون من أقاصي الأرض. يمسكون القوس والرمح، هم قساة لا يرحمون، صوتهم يعج كبحر، وعلى خيل يركبون، مصطفين كرجل واحد لمحاربتك يا بنت بابل».

ويتحدث «سفر عاموس» (٨: ٢-٣) عن نهايتهم المرعبة: «قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل، لا أعود أصفح له بعد، فتصير أغاني القصر ولأول، في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، الجثث كثيرة يطرحونها في كل موضع بالسكوت».

ونحن نصدق بذلك؛ فربنا جَلَّجَلَالُهُ يقول:

قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وقال عز ذكره: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٧].

ورسولنا ﷺ حدثنا بذلك:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول ﷺ؛ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»[1].

وفي الباب عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[2].

لكن من المؤسف جدًّا أن تتحول هذه الحقيقة من خلال أطروحات المستعجلين، وأدبيات الحركيين الحزبيين إلى كهانة سياسية، وخيانة منهجية:

فأحدهم من خلال الوصفة البهائية (العدد ١٩): يتنبأ بزوال إسرائيل سنة (٢٠٢٢م).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١).

وانظر -تفضلًا- كتابي: «بذل المجهود في مرويات قتال اليهود».

وقائد فصيل فلسطيني في شهادته على العصر يتنبأ بزوال دولة إسرائيل في سنة (٢٠٢٧م).

ومستشار في الرئاسة المصرية يتنبأ بزوال دولة إسرائيل خلال (١٠) سنوات.

إن زوال كيان اليهود اللقيط حقيقة دينية وتاريخية وسياسية، ولكنها لا يمكن أن تتحقق إلا باجتماع شروطها:

إقامة العبودية لله في الأرض بالرجوع إلى الدين المنزل على محمد ﷺ، والذي بلَّغه عنه ونقله إلينا صحابته الكرام، وسار عليه أئمة السلف الأعلام.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾ [الإسراء: ٥١].

اليهود وإيقاد الحروب وصناعة الفتن

اغتال ذاك الفتى اليهودي عمَّه؛ طمعًا في ماله، وألقاه بين القريتين؛ إخفاء لجريمته، وجلس يبكي عنده إمعانًا في تضليل بني جنسه، فكادت الحرب تشتعل بين قومه!

هذه الحادثة تُوَضِّحُ بجلاء النفسية اليهودية على مدار التاريخ التي لا يَقَرُّ لها قرار إلا بالفساد العريض في الأرض وتدميرها، وإفساد العالم وخرابه، في سبيل تحقيق مصالحهم، وإيقاع الضرر بمخالفيهم.

وإن كنت في مرية من ذلك، فَقَلِّب طرفك في حصاد التاريخ البشري ستجد أن كلَّ فتنة في العالم، وكلَّ خراب في الأرض؛ فلليهود يد فيه، ومصلحة من ورائه.

ولذلك؛ فهم يسعون دائمًا في إيقاد نار الحروب، وصناعة الفتن، ونشر القلاقل في البلاد، وزعزعة أمن العباد، حتى أصبحت صناعة الفتن وإيقاد الحروب ماركة يهودية مسجلة؛ يشهد لذلك قول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

فعندما نستقصي التاريخ سنجد أن اليهود كانوا وراء أكثر الحروب في العالم وأخطرها:

فقديمًا أشعلوا نار الحروب بين دول الشرق؛ بالإفساد بينهم، وزرع العداوة والبغضاء في ديارهم.

وكانوا وراء الفتن التي كانت تجري في جزيرة العرب في الجاهلية.

وقادوا من وراء ستار معظم الحروب ضدَّ الرسول ﷺ.

ونشروا الثورات على الدولة الإسلامية: من حركة الرِّدَّة مرورًا بمؤامرات عبد الله بن سبأ إلى ثورة الزنج، وخروج بابك الخرمي، وتمرد القرامطة والحشاشين.

وأما الحروب الصليبية في آخر القرن الحادي عشر النصراني حيث استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس، وعلى شريط ساحلي ضيِّق، فإنه يتضح من دراسة هذه الحروب:

أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين، ومن الأسباب الخفية التي دفعتهم لغزو البلاد المقدسة؛ وذلك: أن اليهود لما رأوا عجزهم من العودة إلى البلاد المقدسة بأنفسهم تستروا خلف النصارى؛ فأخفوا مشاعرهم الدينية خلف المال؛ حيث كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالي للبحر المتوسط، فساعدوا الصليبيين؛ ليقوموا بهذه المغامرة باسم الصليب؛ لفتح الطريق التجاري إلى الشرق عبر فلسطين[1].

لقد دفع اليهود النصارى دفعًا للأخذ بثأرهم التجاري من الكنيسة عندما صدرت فتوى تقضي بكسر الاحتكارات اليهودية في التجارة والعملة والمبادلات في أوروبا، لقد دفع النصارى الملايين من الأموال والأرواح لخوض هذه الحرب المقدسة، ولكن الذين كسبوا من وراء تلك الحرب وَأَثْرَوا ثراءًا فاحشًا هم اليهود[2].

وجاءت الثورة الفرنسية مستخدمة شعارها المزيف: (الحرية -الإخاء -المساواة) الذي شكَّلَ مثلث الخداع العالمي الذي اخترعته الماسونية اليهودية لخديعة شعوب العالم، وللقضاء على مقومات بقاء الدول، والتحكُّم في مصائرهم[3].

ولذلك حين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهوديًا تلموديًا ماسونيًا؛ حيث بدت الروح التلمودية في خطط الثورة ودستورها واضحة جلية؛ كما ظهر ذلك في

---

(١) «اليهودية» للدكتور أحمد شلبي (ص٩٧).

(٢) «المخططات الماسونية العالمية» (ص٦٦).

(٣) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص١٢).

وثيقة وجدت بين أوراق (ميرابو) التي ضبطت في منزل (مدام لجاي) زوج ناشر كتب (ميرابو) في(٦/ أكتوبر/ ١٧٨٩م)[١].

بعد نجاح اليهود الحاسم في الثورة الفرنسية وما نالوه من مكانه مرموقة في فرنسا وغيرها من بلدان أوروبا؛ تشجعوا على التمادي في خلق الفتن، وتدبير المؤامرات، وتحريك الثورات، وتنفيذ الاغتيالات السياسية والانقلابات[٢].

ولذلك حرص اليهود على إسقاط الخلافة الإسلامية؛ بتدمير الدولة العثمانية عن طريق يهود سالونيك، الذين أظهروا الإسلام، وأطلق عليهم (الدونمة)، وتزعمهم (سبتاي سيفي) الذي ادعى: أنه المسيح.

لقد اتجه يهود الدونمة إلى تحطيم الخلافة العثمانية بعد فشلهم في حمل السلطان عبد الحميد الثاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على موالاة هدفهم في جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود، ودليل ذلك: أن الذي أبلغه قرار عزله؛ هو: (قره صو) نائب سلانيك اليهودي، كما دعوا إلى الطورانية في تركيا؛ للتخلص من الإسلام واللغة العربية، وأنشأوا حزب الاتحاد والترقي الماسوني[٣].

بدأ اليهود يمهِّدون للحرب الكونية الأولى؛ فزجُّوا بريطانيا في حرب دامية شملت أوروبا كلها، وألحقوا بها الولايات المتحدة الأمريكية، وعملوا على إفشال جميع محاولات الصلح أثناء الحرب؛ فلم تخرج الدولة العثمانية منها إلا بعد هزيمة ماحقة، وخسر العالم ملايين النفوس البشرية، ودفعوا الثروات الطائلة؛ لكن اليهود كسبوا كلَّ شيء، وحصلوا على (وعد بلفور) بتحقيق أطماعهم في فلسطين المسلمة[٤].

---

(١) المرجع السابق (ص١٤-١٥).

(٥) المرجع نفسه (ص٢٧).

(٣) المرجع نفسه (٧٤-١٠٤)، و«المخططات التلمودية» (ص٦٦-١٠٤).

(٤) «المخططات الماسونية العالمية»(ص٨٥-٨٧).

قال ماركوس رافاج: «نحن اليهود من وراء جميع حروبكم، وإن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم».

وأما روسيا القيصرية التي دمرت (دولة الخزر اليهودية)؛ فرسَّخ اليهود أقدامهم فيها؛ حيث سيطروا على الاقتصاد سنة (١٨٨٢م)، وأوصلوها إلى حالة الإفلاس، ثم انقضوا عليها بإقامة النظام الشيوعي[1].

لقد ركز اليهود على الشيوعية كأسلوب لاقتلاع القيصرية الروسية انتقامًا منها، وعملًا على تمزيق العالم إلى نظريتين متصارعتين هما:

- الرأسمالية.

- والشيوعية.

وقد أكد هذا (روبرت وليمز) في كتابه «اليهود في أمريكا»؛ حيث قال: «إن الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمُّها».

تبدو الشيوعية وكأنها عدوٌّ للصهيونية، ولكن هذا تخطيط مرحلي، فهما توأمان ولدتهما اليهودية التلمودية؛ لأن الشيوعية أفكار صهيونية من قبل (كارل ماركس) بوقت طويل، وكلُّ ما فعله أنه جمع تلك الأفكار، وجعل لها ثلاث قواعد في وقت انهيار الحضارة الأوروبية، وزعم: أنه يعيد بناءها، ولكن بأسلوب روائي، فهو إمعان في التخريب، فقواعد الشيوعية الثلاث؛ هي:

١- محاربة الأديان، وتفريغ الإنسان من كلِّ عقيدة دينية، واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية

٢- الانسلاخ من كلِّ انتماء وطني؛ ليظلَّ الفرد عضوًا في التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والألوان والأقنعة المختلفة، التي تنبع من أصل واحد، وتلتقي في مَصَبٍّ واحد

---

(١) «المخططات التلمودية» (ص ٣٨و٦٧).

٣- مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون[١].

إذًا؛ فقطبا الصهيونية والشيوعية تجمعهما اليهودية العالمية؛ فـ(موسى هيس) يهودي متعصب معروف بتطرفه، و(كارل ماركس) يهودي قحٌّ: والده حاخام يهودي.

وعليه فإن الماركسية لا يجوز فصلها عن كونها فكرة يهودية قصد من ورائها (كارل موردخاي =ماركس) واليهودية العالمية السيطرة على العالم، عن طريق عقيدة كفرية هدامة: تحارب الدين والأخلاق والقيم، تحت راية العلم والموضوعية والحتمية التاريخية.

وهذا ما تؤكده أصح الروايات، وأوثق الدراسات: أن الصهيونية مؤامرة شيوعية، والشيوعية مؤامرة يهودية، ولا ريب أن (كارل ماركس) حين قدَّم نظريته أراد التمويه والخداع؛ بأنه لا صلة له بالصهيونية أو اليهودية جملة، ولا ريب أن الشيوعية تعمل لتحقيق الهدف الصهيوني الأخير؛ وهو: السيطرة على العالم، وأن تعاليم (كارل ماركس) و(فردريك)، و(لينين)، و(ستالين) لا تختلف عن تعليمات بروتوكولات بني صهيون، بل إن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت مبادئ من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة[٢].

ومما يؤكد بأن اليهود حققوا بغيتهم في روسيا حيث فصلوا أوربا الغربية عن روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحفروا هوَّة كبيرة بينهما، حفرتها كراهية اليهود، وحافظت عليها بواسطة سلطة اليهود العالمية والتي تعدُّ من أكثر الأشياء قوَّة في التضليل و الخداع، وأصبح اليهود يسيطرون على كلِّ شيء، فهم يسيطرون على أكثر من (٩٠٪) من الوظائف المهمة في روسيا، وهذا ما يؤكده دعاء (لينين)في أيامه الأخيرة - وهو يزحف على أربع في حجرة ويصرخ؛ قائلًا: الله م أنقذ روسيا، واقتل اليهود!![٣].

---

(١) المرجع السابق (ص٧٠-٧١).

(٢) المرجع نفسه (ص٢٣٧).

(٣) «حكومة العالم الخفية» (ص١٤٩-١٥١).

وبرهان تغوُّل اليهودية العالمية في روسيا، وتغلغلها في مفاصلها: أن الاتحاد السوفيتي كان أول دولة تعترف بالكيان اليهودي اللقيط في فلسطين المسلمة السليبة؛ كما صرح بذلك (غورباتشوف) في «إعادة البناء»؛ حيث قال: «الغرب يتهموننا بأنا متحيزون مع العرب ضد إسرائيل؛ ونحن أول دولة اعترفت بإسرائيل».

بل إن مؤسس الماركسية: كارل ماركس كان ماسونيًا، وحركته «الشيوعية وليدة الماسونية أو على الأقل تربطهما صلة القربى الوثيقة عن طريق الأم -اليهودية العالمية- فقد جاء في بيان الشرق الأوسط سنة (١٩٠٤ م) (ص ٢٣٧): «الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية؛ لأن مؤسسها: كارل ماركس وإنجليزهما من ماسون الدرجة الحادية والثلاثين، ومن أعضاء المحفل الإنجليزي، وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية، وبفضلهما أصدرا البيان الشيوعي المشهور»[١].

وقد اعترفت الصهيونية العالمية بأن النظام الشيوعي أكبر عون لدولة اليهود في فلسطين:

قال (دافيد كوهين): «كلما ارتفعت أسهم السوفييت، وعقيدتهم الاشتراكية، وسياستهم في المنطقة العربية؛ ازدادت إسرائيل سلامًا، ورسوخًا في المنطقة»[٢].

وقال (يعقوب ريفيتين): «سياسة السوفييت في الشرق العربي عظيمة النفع والفائدة والنفع لنا، وستظهر ثمارها على أطيب شكل، وأعظم المواقف لصالح إسرائيل»[٣].

وقال (شالوم اسش): «إن تعرض الحكم السوفييتي لأيَّة هزَّة؛ يعني: فناء اليهود»[٤].

---

(١) «الأفعى اليهودية» عبد الله التل (ص ٤٩).

(٢) «اليهود» لزهدي الفاتح، (ص١٣١).

(٣) المرجع السابق (ص١٣١).

(٤) المرجع السابق (ص١٢٩).

وقال (يشوعا أريبلي): «إن السوفييت أشدُّ حرصًا من أيِّ قوَّة في العالم على صيانة إسرائيل التي تعتبر نموذجًا بديعًا للتجربة الاشتراكية؛ والشعب اليهودي لا يمكن أن يخاصم زعيمة الماركسية»[١].

وقد يعارضنا من لا بصيرة عنده بما يراه من تصريحات عدائية تطلقها الحركات الاشتراكية والأحزاب الشيوعية وخاصة في العالم العربي.

وردُّنا عليهم: أنهم غابت عنهم الحقيقة كاملة؛ إذا لم يعلموا أن هذه التصريحات إعلامية مفبركة، وهذا العداء مع الصهيونية مصطنع باعتراف منظري هذه الحركات والأحزاب الشيوعية أنفسهم الذي هو سيِّد الأدلة:

«وأن التصريحات العدائية: التي تصدر عن الألسنة الاشتراكية العربية، ليست سوى تكتيك دعاوى وتبجح (شوفونيوم)، مرجعه كون الوسط العربي غير الاشتراكي، لا يزال قوميًا في فلسفته، وفي معاشه، وفي تصرفاته. وكلُّ ذلك سيزول كلما تعمَّقت الاشتراكية العربية قوَّة في المنطقة، وكلما تعمَّقت الجماهير العربية في فهم الاشتراكية...»[٢].

ومن اعترافات الحزب الشيوعي الإسرائيلي: «أن التصريحات المعادية لإسرائيل والوعيد بالقضاء عليها، تصريحات لابدَّ للاشتراكية العربية أن تدلي بها بين آن وآخر؛ لتحتفظ لنفسها بالمركز القيادي في السياسة العربية، وبذلك تضمن المضي في التحويل الاشتراكي لكل الساحة العربية.

وهذا التحويل الاشتراكي هو السبيل الوحيد للتعايش السلمي بين العرب وإسرائيل»[٣].

ويؤكده ما جاء في بروتوكولات بني صهيون:

---

(١) المرجع السابق (ص١٢٩).

(٢) «موسكو وإسرائيل» (ص٤٥٦).

(٣) «المرجع السابق» (ص٤٥٥).

جاء في البروتوكول التاسع ما يأتي:

«وحين تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر، فإنَّما ذلك أمر صوري متخذ بكامل معرفتنا ورضانا، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية»[١].

وجاء في البروتوكول الثاني عشر:

«فإن الصحف الدورية التي ننشرها سنظهرها كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا، فتوحي بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظرًا جذابًا لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا، وسيقعون لذلك في شَرَكِنا» [٢].

لم يكتف اليهود بالنتائج التي حصلوا عليها بعد الحرب الكونية الأولى، بل شرعوا يدبِّرون لإشعال الحرب الكونية الثانية؛ فأعلنوا المعركة الدعائية ضد (هتلر) و(النازية) التي أظهرت عداءها لليهود منذ تسلم (هتلر) الحكم في ألمانيا سنة (١٩٣٣م) [٣].

وكيف لا ينجح اليهود في إشعال نار الحرب الكونية الثانية ولهم في الوزارة البريطانية سنة (١٩٣٩م) عدد كبير من اليهود، وأما فرنسا فقد غدت يهودية من مفرق رأسها إلى أخمص قدميها؛ حيث تم تهويدها -تدريجيًا- بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩م)، ولم يدخل النصف الأول من القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون على جوانب الحياة كلها: التجارية، والسياسية، والعسكرية، والثقافية.

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» ترجمة محمد خليفة النونسي، (ص ١٤٤).

(٢) المرجع السابق (ص ١٦٢).

ومن شاء التوسع في هذه المسألة فلينظر: «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد الغادري، و«موسكو وإسرائيل» للدكتور عمر حليق، و«دور الدول الاشتراكية في تكوين إسرائيل» للدكتور إبراهيم الشريقي.

(٣) انظر: «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص٣٤).

ومما جاء في البروتوكول الثالث: «تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى: أن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدًا؛ لأنها من صنع أيدينا»[١].

ومما ذكره (وليم غاي كار) في كتابه: «أحجار على رقعة الشطرنج»: «أنه بعد الحرب العالمية الثانية أضحت الكرة الأرضية؛ كرقعة الشطرنج: عليها قطع من أناس يتخيلون أنفسهم زعماء وقادة دول كبرى، وكانت اليد الخفية تحرك (ستالين)، و(تشرشل)، و(روزفلت) حتى اشتعلت الحرب، وانتهت وتحطمت النازية، وأنشئت دولة إسرائيل، وبدأ السباق الرهيب، فلم تنته الحرب بحكم الصراعات الدائرة على الأرض بقدر ما فتحت مجالات أخرى للصراع تكمن في نهايتها الحركة الأخيرة في لعبة الشطرنج الدولية»[٢].

وهكذا يتبين لذي عينين: أن صناعة الفتن تجري في دمائهم، حتى خيِّل إليهم: أن إشعال الحرب غاية وجودهم، ومقصد خلقهم، وسبب بقائهم؛ وذلك بالقضاء على غير اليهود، وتقتيلهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، فمن سياستهم المعلنة: أنهم كل عشر سنوات لا بًد أن يشعلوا نارًا للحرب:

قال رئيس وزراء دولة العدو اليهودي الأسبق شامير: «يتعيَّن علينا في كلِّ عشر سنوات مرة: أن نجلس العرب على كرسي طبيب الأسنان؛ كي نقلع أسنانهم التي نبتت حتى لا يعضونا بها».

وقال رئيس وزرائهم الأسبق مناحيم بيغن: «نحن نحارب نحن نكون»!.

وقال عاموس بادين -رئيس المخابرات العسكرية اليهودية- في خطاب تنحيه عن منصبه في (٢/ ١١/ ٢٠١٠م): «لقد أحدثنا الاختراقات السياسية والأمنية والاقتصادية والعسكرية في أكثر من موقع، ونجحنا في تصعيد التوتر والاحتقان الطائفي والاجتماعي؛ لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائمًا، ومنقسمة إلى أكثر من شطر؛ في سبيل

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» (ص ١٢٩).

(٢) وانظر -أيضا-: «المخططات التلمودية» (ص٢١٩-٢٢١).

تعميق حالة الاهتراء داخل البيئة والمجتمع والدولة المصرية؛ لكي يعجز أي نظام يأتي من معالجة الانقسام والتخلُّف والوهن المتفشي في مصر».

إن هذه السياسة اليهودية ليست خطة طارئة، بل هي خيارهم الاستراتيجي الذي صرح به ثيودور هرتزل الملقب بأبي الصهيونية الحديثة في كتابه «الدولة اليهودية»؛ حيث قال: «نحن اليهود عندما نغرق نتحول إلى عناصر ثورية مخربة، وحينما ننهض تنهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع مال العالم في بنك اليهود»[1].

ومما جاء في مجلة (lavielle france) في عددها بتاريخ (١٥/ يونيو/ ١٩٢٩م): «هنالك مؤامرة يهودية ضد جميع الشعوب، إنها تملك قوَّة المال في كلِّ مكان، وتحارب في جبهتين قويتين: جبهة المال، وجبهة الثورات»[2].

وقال هنري فورد: «إنني واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرف ما منها، وإن الطرف الذي استفاد دائمًا هم اليهود العالميون، يبدؤون الحروب بالدعاية التي يوجهونها من بلد ضد الآخر، وقبل الحرب يتاجرون بالسلاح والذخيرة، ويثرون من وراء تلك التجارة، وأثناء الحرب نفسها يثرون من القروض التي يقدمونها للطرفين المتحاربين، وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة في البلاد»[3].

إن هذه الحروب التي يفتعلها اليهود ويخططون لها، إنما هي لنشر الفساد بين جميع العباد، وإيقاع الخراب في كل البلاد، ولذلك ربط الله جَلَّجَلَالُهُ بين إيقادهم نار الحرب والإفساد في الأرض بقوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) ومن تتبع ذيول المشكلة الاقتصادية العالمية (٢٠٠٨م) سيجد أن جميع مال العالم تجمع في بنك اليهود؛ لأنهم يهيئون العالم لحرب كونية ثالثة!

(٢) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص٣٠).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٠ – ٣١).

وهذا ما اعترف به يهود أنفسهم:

قال أوسكار ليفي: «العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية، نحن الذين اخترعنا حكاية الشعب المختار، والذين نصَّبنا أنفسنا مُخَلِّصين للعالم، ونتباهى بخروج المسيح منا، لسنا اليوم سوى مفسدين في العالم، ومخرِّبين له ومدمرين، نحن الذين وعدنا أن نقودكم إلى الجنة والسعادة، نقودكم فعلًا إلى الجحيم الجديد»[١].

إنَّ هذا الإفساد العريض الذي أحدثه اليهود في الأرض مستخدمين كلَّ السبل التي توصلهم إلى هدفهم الأخير؛ وهو: حكم العالم من بيت المقدس عاصمة ملكهم الذي يدَّعون، بعد إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى[٢].

ولذلك عندما احتل اليهود مدينة القدس الشرقية وبقية فلسطين المسلمة في (٥/ حزيران/ ١٩٦٧م) كان على رأس العصابات اليهودية (موشي دايان) -وزير حربهم-، وكان معه في دبابة القيادة القس الأمريكي (بات روبرتسون)؛ حيث قام اليهود بهدم حي المغاربة المجاور للأقصى، وعندئذ قال (روبرتسون) -وهو يتفرج فرحًا-: «إن المعجزة الثانية المتعلقة بعودة المسيح الثانية قد تحققت، وإن علينا من -الآن- العمل على تحقيق المعجزة الثالثة؛ وهي: بناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى، وفي موقعه، أما المعجزة الأولى فكانت قد تحققت بقيام دولة اليهود في عام (١٩٤٨م)» [٣].

ولذلك؛ فاليهود -الآن- يهيئون العالم لحرب كونية ثالثة؛ ليقولوا كلمتهم الأخيرة بتحقيق المعجزة الثالثة:

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٠).

(٢) المرجع السابق (ص٩).

(٣) «الأصولية الإنجيلية وتهويد القدس» لمحمد السماك؛ مقالة نشرت في «جريدة الإتحاد الإماراتية» بتاريخ (١٦/ ٤/ ٢٠١٠م).

قال (أوسكار ليفي): «نحن معشر اليهود صنعنا الحرب العالمية، نحن اليهود لسنا إلا مضللي العالم وحارقيه وقاتليه، إن ثورتنا الأخيرة لم تقم بعد، ونحن وضعنا أسطورة الشعب المختار»(١).

وهذا ما اعترف به (هنري كيسنجر) - مهندس السياسة الأمريكية، وعرَّاب العقائد التلمودية: مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية الأمريكي السابق- في لقاء مع صحيفة (ديلي سكيب) الأمريكية في (٦/ فبراير / ٢٠١٢م)؛ حيث قال: «ما يجري -الآن- هو تمهيد للحرب العالمية الثالثة التي ستكون شديدة القسوة، بحيث لا يخرج منها سوى منتصر واحد؛ هو: الولايات المتحدة! . . إن الدوائر السياسية والاستراتيجية الأمريكية طلبت من العسكريين احتلال سبع دول شرق أوسطية، من أجل استغلال مواردها الطبيعية، خصوصًا الغاز والنفط؛ لأن السيطرة على البترول هي الطريقة للسيطرة على الدول، وأما السيطرة على الغذاء فهي الطريق للسيطرة على الشعوب . . ونحن نمهد الطريق لذلك، وبخاصة بعد ما تشن إسرائيل حربًا جديدة بكل ما أوتيت من قوة؛ لقتل أكبر قدر من العرب .. ومن ركام الحرب سيتم بناء قوة عظمى وحيدة صلبة منتصرة؛ هي: الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم».

.. وأخيرًا بعد أن وقفت على نزر يسير من أخبار الفتن السود التي صنعها اليهود، ورأيت آثار الحروب التي أوقدوا نارها.. هل يمكن أن تصدق خرافة السلام العام الذي يدَّعيه اليهود؛ لتخدير العرب المسلمين بعد ما انتزعوا من أيديهم الأرض المقدسة، وأنشؤوا عليها كيانهم الهزيل.

إن خيار السلام اخترعه اليهود، وصدَّقه المخَذِّلون.. وإن كُنتَ في ريب من ذلك؛ فتأمل ما قاله (هتلر) -وهو من خَبَرَ اليهود- في كتابه: «كفاحي» (ص ٤٩): «وهل من المعقول أن يصافح الشعب الألماني اليد التي عملت على إذائه، ومتى كان الألماني الحقيقي يضحي بمصلحة وطنه في سبيل مبدأ هوائي؛ كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود

(١) «حكومة العالم الخفية» (ص١٠٠).

والماركسيين؟»، إلى قوله: «ولن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي أي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد» (١).

---

(١) ومع ما فعله هتلر مع اليهود بإحراق بعض اليهود فيما سمي (الهولوكوست)، والتي اتفق عليها مع أبالسة اليهود: الذين ضخموها رغم حقارتها؛ ليجعلوها -رغم هزالها-: مظلوميتهم التاريخية؛ للضغط على يهود العالم للفرار إلى فلسطين، ولتتحول -كذلك- إلى قضية تجارية من أجل ابتزاز الدول، وتجويع الشعوب، وتكميم الأفواه التي تنتقد اليهود وتعارضهم.

حيث سيعلن هناك عن دولة اليهود في بضع سنين، وقد حصل لهم ما يريدون، وهذا يرجح قول من ذهب إلى أن هتلر هو يهودي دمًا ونسبًا، وإن حاول إخفاء ذلك؛ كما في «هتلر والرايخ الثالث»، مقالة ليقظان التقي؛ يعرض فيها كتابًا للمؤرخ الفرنسي فرانسوا كيرسودي بعنوان: «أسرار الرايخ الثالث» نشرت جريدة المستقبل اللبنانية بتاريخ (١٦/ ٤/ ٢٠١٣م).

وإليكم القصة الكاملة:

في (٣٠/ يناير/ ١٩٣٣م) وصل هتلر إلى السلطة، وفي نيسان من العام نفسه حصلت حادثة مهمة؛ وهي: رحلة قام بها ضابط نازي و زوجته مع شخص يهودي و زوجته إلى فلسطين والمشهورة برحلة (تاتش لار- منجلستان)؛ جاؤوا إلى فلسطين لدراسة كيفية تهجير اليهود إلى فلسطين، وكانت هذه الرحلة في (٢١/ حزيران/ ١٩٣٣م)، وفي (٧/ آب/ ١٩٣٣م) وقعت اتفاقية «الهافارا» أو «معاهدة الترانسفير - Transfer Agreement».

و«الهافارا» هي الاتفاق الاقتصادي الذي عقد عام (١٩٣٣م)، واستمر تنفيذه حتى عام (١٩٤٢م)؛ لتهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين، وفعلًا في البداية كان اقتراح من مدير شركة الاستيطان بأن يفك الحصار-المفروض من قبل الدول الأوروبية - عن ألمانيا بالطريقة التالية: أن يودع اليهودي الذي يريد الهجرة إلى فلسطين أمواله في بنك في ألمانيا، هذا البنك يشتري بها آلات زراعية وآلات عسكرية ومعدات ويرسلها إلى فلسطين، وهنا يأتي المزارع؛ فيستعيد ثمنها من بنك في فلسطين.

وعندما وصلوا إلى هذا الاتفاق احتجت المنظمة الصهيونية؛ لأن هذا الاتفاق حصل مع شركة خاصة، فعاد (هيدرج) الألماني ودعا مسؤول المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس الشركة الخاصة التي كانت عرضت مع (حاييم أورلوزوروف) الذي أرسله (بن غوريون) خصيصًا لهذه الغاية، وعُقد الاتفاق بين أربعة مسؤولين صهاينة مع اثنين ألمان، وقع الاتفاق في برلين، وبمقتضى هذا الاتفاق حصلت عملية تهجير اليهود من ألمانيا إلى فلسطين، وتحت إشراف بن غوريون شخصيًا.

وفي سنة (١٩٣٥م) صرحت جريدة تابعة للجيستابو -أي: البوليس السري الألماني-: بتمويل يهودي سري قائلة: «لم يعد بعيدًا الوقت الذي تصبح فيه فلسطين قادرة على استقبال أبنائها الذين فُصلوا عنها منذ أكثر من ألف عام».

=

إن السلام بالنسبة لليهود؛ يعني: زوالهم من الوجود، ولذلك يتغنون به . . ولكن يفرُّون منه؛ فقد سئل دافيد بن غوريون -أول رئيس وزراء لدولة اليهود- سنة (١٩٦٧م): لماذا لا تمدُّون أيديكم بالسلام إلى العرب وهم يمدُّون؟! فقال: «نحن قوم لا نحيا إلا بعدوٍّ، فإذا لم نجد عدوًّا صنعنا عدوًّا».

هذه الحقيقة التي يتعامى عنها المُخَذِّلون، وَيُخْدَعُ بها المُخَذَّلون المخدَّرون.

وهذا ما اعترف به كلُّ الساسة الذين ركضوا وراء سراب السلام ومعاهداته مع اليهود، وعقدوا اتفاقيات صلح واستسلام معهم . . فما رجعوا من عندهم إلا بخفي حنين، ولم يظفروا منهم بأدنى شيء[1]: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء: ٥٣].

تمَّ بحمد الله وتوفيقه وهداه.

لا رب -بصدق- غيره.

ولا إله -بحق- سواه.

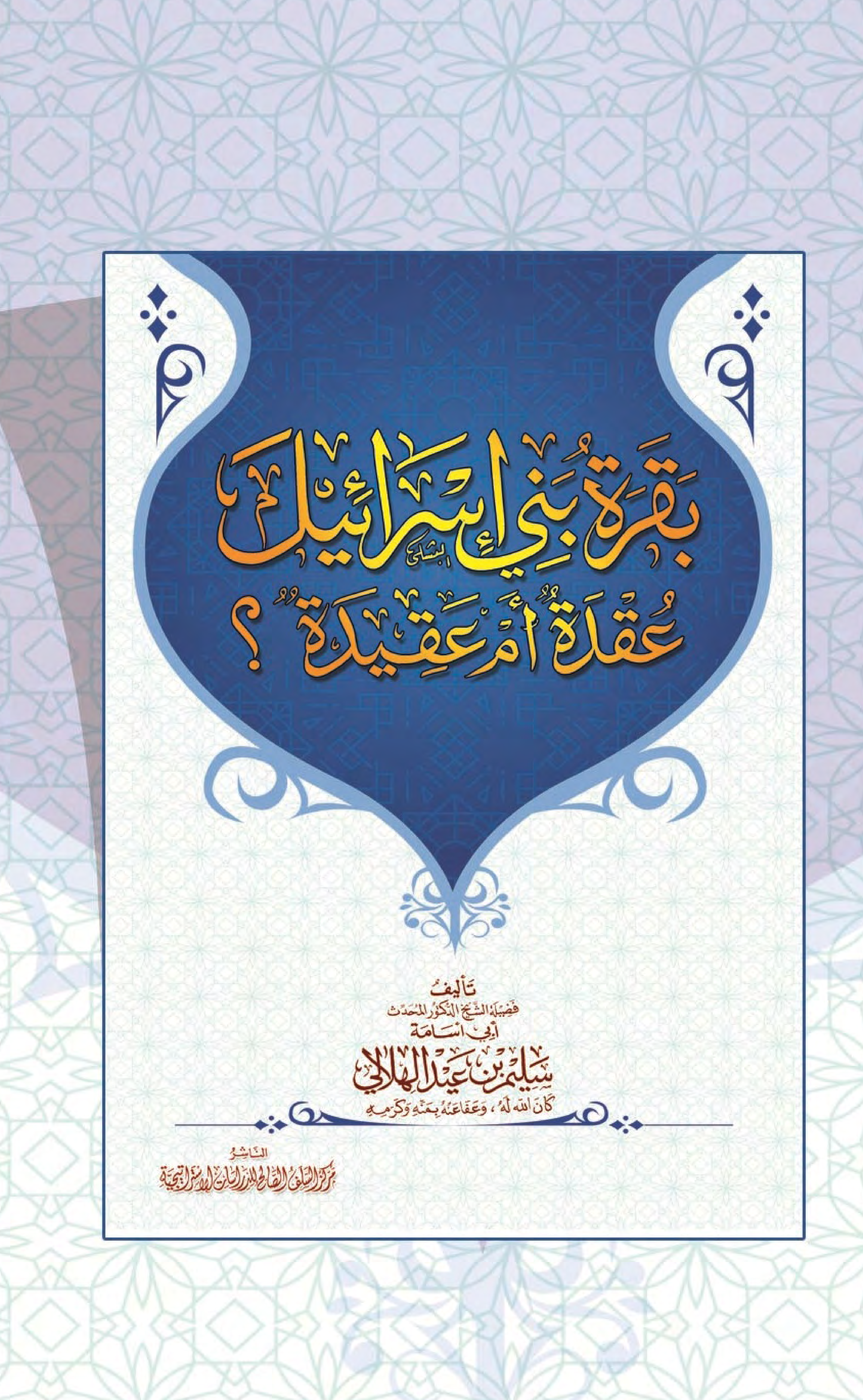
ولذلك؛ فإن اليهود يعترفون بالخدمات التي قدَّمها هتلر وحزبه النازي لليهود في العالم؛ يقول اليهودي روبرت ويلتش رئيس تحرير «جودش راندشو» -المجلة اليهودية- في افتتاحية عدد (٤/ نيسان ١٩٣٣م): «لقد قدمت النازية فرصة تاريخية لتأكيد الهوية اليهودية واستعادة الاحترام الذي فقده اليهود بالاندماج. إنهم مدينون لهتلر وللنازية» (!)

وانظر -تفضلاً-: «جولة داخل عقل هتلر»، مينا كمال، دار اكتب للنشر والتوزيع، «والأسرار الكبرى للماسونية» منصور عبد الحكيم (٤/ ١٣٠- ١٣٦).

(١) وحدثت أمور كثيرة تدل على أن السلام مع اليهود مؤامرة لصالح اليهود لابتلاع الأرض، وتقسيم البلاد العربية الإسلامية بعد اختراقها، وإشعال نار الحروب الأهلية على أساس طائفي وإثني بين مكونات المجتمعات العربية الإسلامية . . وأخيرًا استيقظ العالم الإسلامي على قرار الرئيس الأمريكي ترامب باعترافه في (٦/ ١٢/ ٢٠١٧م) بأن القدس الشريف عاصمة أبدية للكيان اليهودي، وأنه على أتم الاستعداد لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس بلا مثنوية.

هذا القرار الذي عدَّه نتنياهو في زيارته لأمريكا في (٥/ ٣/ ٢٠١٨م) قرارًا تاريخيًا لن ينساه اليهود، وعدَّه مثل وعد بلفور الذي أعطى اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين سنة (١٩١٧م) . . وبذلك يكون الأمريكان واليهود دقوا المسمار الأخير في نعش عمليه السلام، التي ولدت ميتة في معاهدة الاستسلام (معاهدة أوسلو) كما اعترف بذلك رئيس السلطة الفلسطينية وسائر قياداتها.

الفهرس العام


بقرة بني إسرائيل
عقدة أم عقيدة ؟
تأليف
سليم بن عيد الهلالي


الناشر
مركز السلف الصالح للدراسات الإستراتيجية